كتاب

رنات المثالث والمثاني

في

روايات الاغاني

كتاب

رنات المثالث والمثاني

في

روايات الاغاني

جمعهُ ووقف على طبعهِ احد الآباء اليسوعيين

الجزء الاول

في

الروايات الادبيَّة

المطبعة الكاثوليكية
للآباء المرسلين اليسوعيين في بيروت
سنة ١٨٨٨

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي تتغنّى بشكر آلائهِ خلائقهُ . وتسبّح لهُ من المعمور مغاربهُ ومشارقهُ . ويشهد بوحدانيَّته صامت الكون وناطقهُ . حمدًا تستدرّ بهِ نعماؤه . ويستدام بهِ عطاؤه

وبعدُ فلما كان كتاب الاغاني لابي الفرج الاصبهاني كآلة فرحٍ وسرور . طال نزاع النفس الى ان تجسّ اوتارها . وتقضي من تلك النغمات اوطارها . فصرفنا قطعةً من الزمان في اختيار ارخمها واطربها . وانتقاء اجودها واجذبها . من خير ما يليق ان تُهدى الى الاسماع لذَّته . والى العقول حكمته . ألا وهو الكتاب الذي طار ذكره في البلاد . ولهج بحديثه كل رائح وغاد . وانتجع روضه كل مرتاد

اقول ويُغنينا عن استيعاب وصفه ما قالهُ فيهِ مؤلفه . وهذا هو بنصِّه الشائق . ومبناه الانيق الفائق . قال انه « جمع فيهِ ما حضره وأَمكن جمعه من الاغاني العربيَّة قديمها وحديثها . ونسب كل ما قاله منهـا الى قائل شعره وناظم لحنه » . الى ان يقول : « واعتمد في هذا على ما وَجدَ لشاعره او مغنّيه او السبب الذي من اجله قيل الشعر او صُنع اللحن خبرًا يُستفاد ...... واتى في كُل فصل بنُتَف تشاكلهُ ولُمع تليق بهِ وِفقَر اذا تأَملها قارئُها لم يزل متنقلًا بها من فائدة الى مثلها ومتصرّفًا بهـا بين جدٍّ وهزلٍ . وآثار واخبـار . وسِيَر واشعار . مُتصلة بايام العرب المشهورة . واخبارها المأْثورة . وقصص الملوك في الجاهلية . والخلفاء في الاسلام . تجمُـل بالمتأَدبين معرفتها . ويحتـاج الاحداث الى دِراستها . ولا يرتفع مَن فوقهم من الكهول عن الاقتباس منها . اذ كانت منتحلة من غرر الاخبار . ومنتقاة من عيونها . ومأخوذة من مظانّها . ومنقولة عن اهل الخبرة بها »

فلا جرم ان كتابًا هذه صفته . تستصبي القلوبَ مطالعته . ولكن كيف الوصول اليه وهو كالتبر في معدنه . واللؤلوء في صدفهِ . فانَّ صاحبه ملأَهُ بالاسانيد وشحنه باسماء الرواة ومختلف

الروايات مما يصدِف عنهُ السامع . ويضيق دونه صدر المطالع . فاستخرجنـا جواهره . وانتقينا اطايبه واخايره . وجلُّ القصد ان نتحف طلَّاب البلاغة بكتاب يرشدهم الى سعة اللغة العربيَّة في التعبير عن الوجدانيات والافصاح عن حركات النفوس على اختلاف المقـامات وصنوف المخاطبات . فلكثُرَ ما سمعنـا الكتَّاب من اهـل هذا الزمان يشكون خلوَّ اللغة عن ذلك مع انَّ اسفـار اهلها طافحة بهِ . واذا قُرئت بهـذه الملاحظة أَغنت القارئ وأَمدَّته بكل ما يحتاج اليهِ في الانشاء والتعريب

ذلك وانَّ ابا الفرَج المشار اليهِ من ابرع اهل العربيَّة وادقّهم علمًا بمواضع اللفظ وارحبهم فهمًا برونق التـأليف . فاذا نظرت الى كلامه كلمةً كلمةً حسبتهُ جواهر يشُبُّ بعضها بعضًا . أَلا وهو البليغ الذي لم تكسر الفهـاهةُ معنًى خلج في صـدره . والفصيح الذي لم تحجب اللكنة خاطرًا دار في خَلَده . فايُّما خاطر خطر لهُ وايُّما معنًى تصوَّره ابرزه كاسيًا بحلَّة البيان . وتلك وما ينِدُّ عن علمك غايةٌ قـلَّ من انتهى اليها . هذا ومن ابدع ما امتاز بهِ الكتاب خلوّ عبارتهِ عن الحشو والتطويل وهـو من ذلك بحيث اذا حذفتَ كلمة من احدى عباراته فكأَنما قطعت من الكفّ اصبعًا .

او قلعتَ من الوجه عينًا . ومن اجمل ما عُرف بهِ براءَتهُ من عيب التكلُّف وبرودة الاستعارات وسلامته من استئسار المعنى للفظ كما هو داء الضعفاء من اهل صنعة الكتابة . فانك اذا تصفحتهُ من اوَّله الى آخره فلا ترى صاحبَهُ فدى لفظةً استفصحها او سجعة استحسنها بمعنًى من المعاني . قلتُ ذكرنا ذلك ليعلم القارئ علوَّ مقام الكِتاب في البلاغة ورصانة العبارة

ومن حلية الكتاب المشار اليه انهُ متى طالعهُ الكاتب حدثتهُ النفس بسهولة معارضتهِ وسوَّلت لهُ الهجومَ على محاكاتهِ . ولكن اذا اجرى القلمَ تردَّى عن متن مطيَّته . فما اشبهَهُ بالنهر الغزير الصافي يراه النـاظر لصفائهِ قريب القرار . واذا خاضـهُ رأى ما يكذّب ناظرهُ . على انَّ من يُداوم مطالعته ويتحرَّى فهمَ تراكيبه من طريق الصنعة لا يشقُّ عليهِ بعد الدأب ان يعارضهُ فيما يكتب . فان مثَل من يلازم الكتب البليغة مثَل من يعـاشر الرجل البليغ فهو يأخذ عنهُ وجوه الكلام وطُرُقهُ . ويذهب فيهِ مذاهبه

فهو حبُّ احياء البلاغة قد دعانا الى ان نختار من ذلك الكتـاب غرره . ونستخرج دررَه . نطرف بهـا فريق الادب وآله . وحزب البيـان ورجاله . وقد وسمناه بهـذا الاسم

(رنَّات المثالث والمثاني في روايات الاغاني) . و قسمناه الى جزءَين الاول في اخبار المغنّين والشعراء والثاني في ايام حروب العرب في الجاهلية والاسلام . فجاءَ والحمد لله موردًا تتزاحم عليهِ عطاش الادب . وسراجًا ينسل للاستصباح به من كل حدَب . والله تعالى مُحقّق الآمال والموفّق الى الاكمال

ترجمة

ابي الفرج الاصبهاني

٢٨٤ — ٣٥٦ ه (٨٩٦ — ٩٦٦ م)

نقلًا عن وفيات الاعيان لابن خلكان والتاريخ الكامل لابن الاثير وتاريخ ابي الفداء وكتاب كشف الظنون في اسماء الكتب والفنون للحاج خليفة وكتاب النجوم الزاهرة لابي المحاسن بن تغري بردي وعن نسخة خطيّة من كتاب الاغاني

هوابو الفرج عليّ بن الحسين بن محمد بن احمد بن الهيثم بن عبد الرحمن ابن مروان بن عبد الله بن مروان بن محمد بن مروان بن الحكم بن ابي العاص بن امية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشيّ الامويّ الامام العلّامة الكاتب الاصبهاني صاحب كتاب الاغاني. وجدُّه مروان بن محمد المذكور آخر خلفاء بني اميّة. وكان مولده في خلافة المعتضد بالله وهو اصبهاني الاصل بغدادي المنشإ. سمع الحديث وتفقّه وبرَع واستوطن مدينة السلام من صباه. وكان من اعيان ادبائها وافراد مصنّفيها . روى عن عالم كثير من العلماء يطول تعدادهم. وكان اخباريًّا نسَّابة شاعرًا. وكان على أمويّتهِ متشيّعًا . قال ابن الاثير : وهذا من العجب . وكان عالمًا بايام النـاس والانساب والسيَر

قال التنوخيّ: ومن المتشيّعين الذين شاهدناهم ابو الفرج الاصبهاني. كان يحفظ من الشعر والاغاني والاخبار والآثار والاحاديث المسنـدة

والنسب ما لم أرَ قط من يحفظ مثله . ويحفظ دون ذلك من علوم أُخر منها اللغة والنحو والخرافات والسيَر والمغازي. ومن آلة المنادمة شيئًا كثيرًا مثـل علم الجوارح والبيطرة . ونُتَف من الطبّ والنجوم والاشربة وغير ذلك. ولهُ شعر يجمع اتقان العلماء واحسان الظرفاء الشعراء . ولهُ المصنفات المستملحة . منها كتاب الاغاني هذا الذي وقع الاتفاق على انهُ لم يُعمل في بابه مثله

قال ابو محمد المهلّبي (١) : « سألت ابا الفرج في كم جمَع هـذا. فذكـر انه جمعهُ في خمسين سنة وانهُ كتَب في عمره مرة واحدة بخطـهِ واهـداه الى سيف الدولة فانفذ له الف دينار . ولمـا سمع الصاحب بن عبَّاد (٢) قال: لقد قصَّر سيف الدولة وانهُ ليستحقّ اضعافها اذ كان مشحونًا بالمحاسن المنتخبة والفقر الغريبة . فهو للزاهد فاكهة. وللعالم مادَّة وزيادة . وللكاتب والمتأدّب بضاعة وتجارة . وللبطل رُجلة وشجاعة . وللمضطرب رياضة وصناعة. وللملك طيبة ولذاذة. ولقد اشتملت خزانتي على مائة الف

---

(١) هو ابو محمد الحسن بن محمد بن هارون الاسدي المهلّبي . استوزر لمعزّ الدولة ببغداد . سنة ٣٣٩ ه (٩٥١ م) وكانت وفاتهُ بالبصرة سنة ٣٥٢ ه (٩٦٣ م)

(١) هو ابو القاسم اسماعيل بن عبَّاد الطالقاني. كان نادرة الدهر واعجوبة العصر في فضائله ومكارمه . وانما لقّب ابو القاسم بالصاحب لانهُ كان يصحب ابا الفضـل بن العميد . ثم أُطلق عليهِ هـذا اللقب لمَّا تولَّى الوزارة . بل قيل لانهُ صحب مؤيّد الدولة بن بويهِ منذ صباه فاستوزرهُ . ولما توفي مؤيّد الدولة استولى على المملكة اخوه فخر الدولة فأقرَّ الصاحبَ على وزارته . وتوفي الصاحب سنة ٣٨٥ ه (٩٩٦ م)

وسبعة عشر الف مجلد ما فيها سميري غيره . ولقد عنيتُ بامتحانه في العرب وغيرهم فوجدت جميع ما يعز عن اسماع من قرّفة بذلك قد اورده العلماء في كتبهم ففاز بالسبق في جمعه وحسن وضعه وتأليفه . ولقد كان عضد الدولة لا يفارقه في سفره ولا حضره . وقد بيعت مسودّته بسوق بغداد باربعة آلاف درهم». وذكر ابن خلكان ان ابن عبّاد كان يستصحب في اسفاره حمل ثلاثين جمل من كتب الادب. فلما وصل اليهِ هذا الكتاب لم يكن بعد ذلك يستصحب غيره لاستغنائهِ عنها (١)

ومن مصنّفات ابي الفرج كتاب نزهة الملوك والاعيان في اخبار القيان

(١) وقد اختار من كتاب الاغاني جماعة . منهم الوزير الحسين بن عليّ بن حسين ابو القاسم المعروف بابن المغربي المتوفّى سنة ٤١٨هـ (١٠٢٧ م)
ومنهم القاضي جمال الدين محمد بن سالم المعروف بابن واصل الحمويّ المتوفّى سنة ٦٩٧ هـ (١٢٩٧ م). قال عنهُ ابو الفداء وكان قد درس عليهِ « واختصر الاغاني اختصاراً حسناً . . . . وصحّحتُ عليهِ اسماء من له ترجمة من كتاب الاغاني »
ومنهم ابو القاسم عبد الله المعروف بابن ناقياء الكاتب الحلبي المتوفّى سنة ٤٨٥ هـ (١٠٩٢ م). قال عنهُ ابن خلكان : « واختصر الاغاني في مجلد واحد »
ومنهم الامير عزّ الملك محمد بن عبد الله بن احمد الحرّاني المسبّحي الكاتب المتوفّى سنة ٤٢٠ هـ (١٠٢٩ م) . قال عنهُ ابن خلكان انهُ صنع « مختار الاغاني ومعانيها »
ومنهم جمال الدين محمد بن مكرّم الانصاري المتوفّى سنة ٧١١ هـ (١٣١١ م) ومختاره مُرتّب على الحروف سمّاه مختار الاغاني في الاخبار والتهاني
ومنهم الرشيدي. ذكره ابن مكرّم . قال: « أُقدّم هنا حكاية وجدتها في آخر مختصر من هذا الكتاب اختصرهُ الرشيديّ ابو الحسين احمد بن الرشيد بن الزُبير »
ومنهم ابن النذير . والدخوار

المغنيات الدوائل الحسان . وهو مشتمل على لطائف مستحسنة واخبار مستظرفة من اخبار القيان قديمهنّ وحديثهنّ وشرح احوالهنّ . وكتاب الإماء الشواعر . وكتاب الديارات . وكتاب دعوة التجار . وكتاب مجرّد الاغاني . وكتاب اخبار جحظة البرمكيّ . وكتاب مَقاتل الطالبيّين. وكتاب الحانات. وكتاب ادب الغرباء

وحصل لهُ ببلاد الاندلس كتب صنّفها لبني أميّة ملوك الاندلس يوم ذاك وسيّرها اليهم سرًّا وجاءه الانعام منهم سرًّا . فمن ذلك كتاب نسب بني عبد شمس . وكتاب ايام العرب الف وسبعمائة يوم . وكتاب التعديل والانتصاف في مآثر العرب ومثالبها وهو ذات كتاب جمهرة النسب (١) . وكتاب نسب بني شيبان. وكتاب نسب المهالبة . وكتاب نسب بني تغلب ونسب بني كلاب . وكتاب الغلمان المغنّين

وللاصبهاني تصانيف غيرها لم يذكرها اصحاب التراجم تيسّر لنا ان نجمعها بالاستقراء من كتاب كشف الظنون وغيره . منها كتاب مجموع الاخبار والنوادر . وكتاب المماليك الشعراء . وكتاب اعيان الفُرس . وكتاب الفرق والمعيار بين الاوغاد والاحرار (٢) . وهو في معارضة

(١) ذكر ابن خلكان كتاب جمهرة النسب كانهُ كتاب مختلف عن كتاب التعديل والانتصاف . وعندنا ان المسمّى واحد وانما الاسم مختلف . ويصدّق قولنا هذا ما ذكره صاحب الاغاني في ترجمة خالد بن عبد الله . قال : « وانما نذكر هنا لمعاً . وسائره مذكور في كتاب جمهرة انساب العرب الذي جمعت فيهِ انسابها واخبارها وسميتهُ كتاب التعديل والانتصاف

(٢) وفي نسخة : الاحوار. وهو تصحيف

كتاب اللفظ المحيط بنقض ما لفظ بهِ اللقيط لابي الحسن عليّ بن عبد الله ابن المنجم . وكتاب تحف الوسائد في اخبار الولائد . وكتاب تفضيل ذي الحجّة. وكتاب الطفيليّين . وكتاب مناجيب الخصيان . وجمع ايضاً ابو الفرج ديوان ابي تمّام ولم يرتبهُ على الحروف بل على الانواع كما هو الآن في نسخة مصر . وجمع ديوان ابي نواس . وجمع ديوان البحتري ولم يرتبهُ على الحروف بل على الانواع كما فعل بديوان ابي تمّام . ولهُ ايضاً كتاب في النغم. ورسالة في الاغاني (١)

وكان ابو الفرج منقطعاً الى الوزير المهلّبي . ولهُ فيهِ مدائح. فمنها قولهُ:

ولمّا انتجعنا لائذين بظلّهِ ... اعانَ وما عنّا ومنَّ وما منّا
وردنا عليه مقترين فراشنا ... وردْنا نداه مجدبين فاخصبنا

ولهُ من قصيدة يهنئهُ بمولود :

اسعدْ بمولودٍ اتاك مباركاً ... كالبدر اشرق جنحَ ليلٍ مقمرِ
سعدٌ لوقت سعادةٍ جاءت بهِ ... أمٌّ حَصانٌ من بناتِ الاصفرِ
مُتبجبحٌ في ذروتَي شرف الورى ... بين المهلّب منتماه وقيصرِ
شمسُ الضحى قُرِنَتْ الى بدر الدجى ... حتى اذا اجتمعا اتت بالمشتري

(١) ورد ذكر هذه الرسالة في ترجمة اسحق بن ابراهيم الموصلي في كتاب الاغاني . قال « والكلام في هذا طويل ليس موضعهُ ههنا وقد ذكرتهُ في رسالة عملتها لبعض اخواني ممَّن سألني شرح هذا لهُ فاثبتهُ واستقصيتهُ استقصاء يُستغنى بهِ عن غيره » . وعثرنا على نصّ آخر لابي الفرج ذكر فيهِ كتاب النغَم قال : « وشرحت العلل المبسوطة في كتاب أَلَّفتهُ في النغَم شرحاً ليس هذا موضعه »

وكتب الى بعض الرؤَساء وكان مريضاً :

ابا محمد المحمودِ ياحسن م الاحسان والجود يا بحر الندى الطامي
حاشاك من عوْد عوَّاد اليك ومن ... دواءِ داءِ ومن إلمام آلامِ

وشعره كثير ومحاسنهُ شهيرة . وكانت ولادته سنة اربع وثمانين ومائتين وهي السنة التي مات فيها البحتري الشاعر . وتوفي يوم الاربعاء رابع عشر ذي الحجة سنة ست وخمسين وثلثمائة ببغداد . وقيل سنة سبع وخمسين والاول اصحّ . وكان قد خُولط قبل ان يموت رحمهُ الله تعالى . وهذه سنة ستّ وخمسين مات فيها عالمان كبيران وثلثة ملوك كبار . والعالمان ابو الفرج المذكور وابو عليّ القالي . والملوك الثلاثة سيف الدولة ومعزّ الدولة بن بويهِ وكافور الاخشيدي . اه

هذا ولما قُبض ابو الفرج جفَّت حدائق الادب. وذوَتْ اشجار النسب. واصبح الادباء ايتاماً . وهانوا بعد اذ كانوا كراماً . على انَّ مَن ترك مؤلفاً مثل هذا لا يموت لهُ ذكر ولا ينقطع لهُ نشر

وما مات من ابقى لنا ذخر علمهِ ... وأحيا له ذكرًا على غابر الدهرِ

كتاب

رنّات المثالث والمثاني

في

روايات الأغاني

ابراهيم الموصليّ وابنه اسحق وابن جامع

اخبر حمّاد بن اسحق عن ابيه انّهُ أتى اباه ابراهيمَ بن ميمون يوماً مسلّماً . فقال لهُ ابوهُ : يا بنيَّ ما اعلم احداً بلغ من برّ ولده ما بلغتهُ من برّك . واني لاستقلّ ذلك الك فهل من حاجةٍ اصير فيها الى محبتك . قلت : قد كان جعلتُ فداك كلُّ ما ذكرت فاطال الله لي بقاءك . ولكني أسألك واحدةً يموت هذا الشيخ غداً او بعد غد ولم اسمعهُ فيقول النّاس لي ماذا . وانا أحلّ منك هذا المحلّ . قال لي : ومن هو . قلت : ابن جامع . قال : صدقت يا بنيَّ أسرجوا لنا . فجئنا ابنَ جامع فدخل عليهِ أبي وأنا معهُ . فقال : يا ابا القاسم قد جئتك في حاجةٍ فان شئت فاشتمني وان شئت فاقذفني غير انهُ لا بدَّ لك من قضائها . هذا عبدك وابن اخيك اسحق قال لي كذا وكذا فركبت معهُ أسألك ان تسعفهُ فيما سأل . فقال : نعم على شريطةٍ تقيمان عندي اطعمكما مشوشة وقليّة واسقيكما من نبيذي التمر واغنّيكما . فان جاءنا رسول الخليفة مضينا اليهِ والّا

اقمنا يومنا. فقال ابي : السمع والطاعة. وامر بالدواب فردّت. فجاءنا ابن جامع
بالمشوشة والقلية ونبيذهِ التمري فاكلنا وشربنا. ثمَّ اندفع فغنَّانا فنظرت الى ابي
يقلّ في عيني ويعظم ابن جامع حتى صار ابي في عيني كلا شيء. فلما طربنا
غاية الطرب جاء رسول الخليفة فركبا وركبت معهما فلمَّا كنا في بعض الطريق
قال لي ابي : كيف رأيت ابن جامع يا بنيَّ. قلت لهُ : او تعفيني جُعلتُ فداك.
فقال : اعفيك فقل. فقلتُ لهُ : رأيتك ولا شيء اكبر عندي منك قد صغرتَ
عندي في الغناء معهُ حتى صرتَ كلا شيء. ثمَّ مضيا الى الرشيد وانصرفت
الى منزلي وذلك لاني لم اكن بعد وصلتُ الى الرشيد. فلمَّا اصبحت أرسل
اليَّ ابي فقال : يا بنيَّ هذا الشتاء قد هجم عليك وانت تحتاج فيهِ الى معونة
(واذا مال عظيمٌ بين يديه) فاصرف هذا المال في حوائجك. فقمت فقبلت يده
ورأسهُ وامرت بحمل المال واتبعتهُ فصوَّت بي : يا اسحق ارجع فرجعت فقال
لي : أتدري لِمَ وهبت لك هذا المال. قلتُ : نعم جعلت فداك. قال : لِمَ.
قلت : لصدقي فيك وفي ابن جامع. قال : صدقت يا بنيَّ امضِ راشدًا

زهد ابي العتاهية

حدَّث مخارق قال : جاءني ابو العتاهية فقال : قد عزمت على ان اتزود
منك يومًا تهبهُ لي فمتى تنشط. فقلت : متى شئتَ. فقال : اخاف ان تقطع
بي. فقلت : والله لا فعلت وان طلبني الخليفة. فقال يكون ذلك في غد.
فقلت : أفعل. فلما كان من غد باكرني رسوله فجئته فادخلني بيتًا لهُ نظيفًا فيهِ
فرشٌ نظيف. ثمَّ دعا بمائدة عليها خبز سميذ وخلّ وبقل وملح وجدي مشويّ

فاكلنا منهُ ثم دعا بسمك مشويّ فاصبنا منهُ حتى اكتفينا. ثم دعا بحلواء فاصبنا
منها وغسلنا ايدينا وجاؤونا بفاكهة وريحان والوان من الانبذة فقال : اختر ما
يصلح لك منها. فاخترت وشربت وصبَّ قدحًا ثم قال : غنِّني في قولي :

فيا ليت الشباب يعود يومًا   فاخبرهُ بما فعل المشيبُ

فغنيتهُ فشرب قدحًا وهو يبكي احرَّ بكاء ثمَّ قال غنني في قولي :

ليس لمن ليست لهُ حيلةٌ   موجودة خيرٌ من الصبرِ

فغنيتهُ وهو يبكي وينشج. ثمَّ شرب قدحًا آخر ثمَّ قال : غنني فديتك في
قولي :

خليليَّ ما لي لا تزال مضرَّتي   تكون مع الاقدار حتمًا من الحتمِ

فغنيتهُ اياه وما زال يقترح عليَّ كل صوت غُنِّيَ بهِ في شعره فاغنيهِ ويشرب
ويبكي حتى صارت العتمة. فقال : احب ان تصبر حتى ترى ما اصنع.
فجلست فامر ابنهُ وغلامهُ فكسرا كل ما بين أيدينا من النبيذ وآلتهِ والملاهي.
ثمَّ امر باخراج كل ما في بيتهِ من النبيذ وآلتهِ فاخرج جميعهُ فما زال يكسره
ويصب النبيذ وهو يبكي حتى لم يبقَ من ذلك شيء. ثمَّ نزع ثيابهُ واغتسل
ثم لبس ثيابًا بيضًا من صوف ثمَّ عانقني وبكى ثمَّ قال : السلام عليك يا حبيبي
وفرحي من النَّاس كلهم سلام الفراق الذي لا لقاء بعده. وجعل يبكي وقال :
هذا آخر عهدي بك في حال تعاشر اهل الدنيا. فظننت انها بعض حماقاتهِ
فانصرفت وما لقيتهُ زمانًا. ثم تشوقتهُ فاتيتهُ فاستأذنت عليهِ فاذن لي فدخلت
فاذا هو قد اخذ قَوصرَّتين وثقب احداهما وأدخل راسهُ ويديهِ فيها واقامها
مقام القميص وثقب اخرى واخرج رجليهِ منها واقامها مقام السراويل. فلمَّا
رايتهُ نسيت كل ما كان عندي من الغمّ عليهِ والوحشة لعشرتهِ وضحكت والله

ضحكًا ما ضحكت مثله قطّ. فقال: من أي شيءٍ تضحـك. فقلت: اسخن الله
عينك. هذا اي شيءٍ هو. من بلغك عنهُ انهُ فعل مثل هذا من الانبياء والزهاد
والصحابة والمجانين. انزع عنك هذا يا سخين العين. فكأنهُ استحيا مني. ثم بلغني
انهُ جلس حجامًا. فجهدت ان اراه بتلك الحال فلم ارهُ. ثم مرض فبلغني انهُ
اشتهى ان اغنيهُ فاتيتهُ عائدًا فخرج اليَّ رسولهُ يقول: ان دخلتَ اليَّ جددت
لي حزنًا وتاقت نفسي من سماعك الى ما قد غلبتها عليهِ وانا استودعك الله
واعتذر اليك من ترك الالتقاء. ثم كان آخر عهدي بهِ

مالك بن ابي السمح وحمزة بن عبد الله بن الزُّبير ومعبد

كان مالك بن ابي السمح المغنّى من طيءٍ. فاصابتهم حَطمة في بلادهم
بالجبلين فقدمَت بهِ امه وباخوة لهُ واخوات ايتام لا شيء لهم. فكان يسأل
الناس على باب حمزة بن عبد الله بن الزُّبير. وكان معبد منقطعًا الى حمزة يكون
عنده في كل يوم يغنيـه فسمع مالك غناءه فاعجبهُ واشتهاه فكان لا يفارق باب
حمزة يسمع غناء معبد الى الليل فلا يطوف بالمدينـة ولا يطلب من أحد شيئًا
ولا يريم موضعهُ. فينصرف الى امهِ ولم يكتسب شيئًا فتضربهُ وهو مع ذلك
يترنم بالحان معبد ويؤدّيها دورًا دورًا في مواضع صيحاتهِ واسجاحاتهِ ونبراتهِ نغمًا
بغير لفظ ولا رواية شيءٍ من الشعر. وجعل حمزة كلّما غدا وراح رآهُ ملازمًا
لبابهِ. فقال لغلامهِ يومًا: أدخل هذا الغلام الاعرابي اليَّ. فأدخلهُ. فقال لهُ: من
انت. فقال: انا غلامٌ من طيءٍ اصابتنا حطمة بالجبلين فحطّتنا اليكم ومعي امٌّ
لي واخوة واني قد لزمتُ بابك فسمعتُ من دارك صوتًا اعجبني فلزمت بابك

من اجله. قال: فهل تعرف منهُ شيئًا. قال: اعرف لحنه كله ولا اعرف الشعر.
فقال: ان كنتَ صادقًا انك لفهمٌ. ودعا بمعبد فامره ان يغنّي صوتًا فغناه. ثمَّ
قال لمالك: هل تستطيع ان تقولهُ. قال: نعم. قال: هاتهِ. فاندفع فغنّاه فأدّى
نغمه بغير شعر يؤدي مدّاتهِ وليّاتهِ وعطفاتهِ ونبراتهِ وتعليقاتهِ لا يخرم حرفًا. فقال
لمعبد: خذ هذا الغلام اليك وخرّجه فليكونن لهُ شأن. قال معبد: ولِمَ افعل ذلك
قال: لتكون محاسنه منسوبة اليك والا عدل الى غيرك فكانت محاسنه منسوبة
اليهِ. فقال: صدق الامير وأنا افعل ما امرتني بهِ. ثم قال حمزة لمالك: كيف
وجدت ملازمتك لبابنا. قال: ارأيت لو قلتُ فيك غير الذي انت لهُ مستحق
من الباطل أكنت ترضى بذلك. قال: لا. قال: وكذلك لا يسرّك ان تحمد
بما لم تفعل. قال: نعم. قال: فوالله ما شبعت على بابك شبعةً قط ولا انقلبت
منهُ الى اهلي بخير. فامر لهُ ولامهِ ولاخوتهِ بمنزلٍ واجرى لهم رزقًا وكسوة وامر
لهم بخادم يخدمهم وعبد يسقيهم الماء واجلس مالكًا معهُ في مجالسهِ وامر معبدًا
ان يطارحه. فلم ينشب ان مهر وحذق وكان ذلك بعقب مقتل هدبة بن خشرم
فخرج مالك يومًا فسمع امرأة تنوح على زيادة الذي قتلـه هدبة بن خشرم
بشعر اخي زيادة:

ابعد الذي بالنعف نعف كويكب   رهينة رمس ذي تراب وجندلِ
اذكّرُ بالبُقيا على من اصـابني   وبقيايَ اني جاهدٌ غير مؤتلِ
فلا يدعني قومي لزيد بن مالكٍ   لئن لم اعجّـل ضربةً او اعجّـلِ
والّا أنل ثاري من اليوم او غدٍ   بني عمنـا فالدهر ذو متطوّلِ
انختم علينـا كلكل الحرب مرّةً   فنحن منيخوهـا عليكم بكلكلِ

فغنّى في هـذا الشعر لحنين احدهما نحا فيهِ نحو المرأة في نوحهـا ورقّقه

واصلحه وزاد فيهِ والآخر نحا فيهِ نحو معبد في غنائهِ. ثم دخل على حمزة فقال لهُ:
ايها الامير اني قد صنعت غناء في شعرٍ سمعت بعض اهل المدينة ينشده وقد
اعجبني فان أذن الامير غنّيته فيهِ. قال: هاتهِ فغناه اللحن الذي نحا فيهِ نحو معبد
فطرب حمزة وقال لهُ: احسنت يا غلام هذا الغناء غناء معبد وطريقته. فقال:
لا تعجل ايها الامير واسمع مني شيئاً ليس من غناء معبد ولا طريقتهِ. قال: هات
فغنّاه اللحن الذي تشبّه فيهِ بنوح المرأة فطرب حمزة حتى ألقى عليهِ حلة كانت
عليهِ قيمتها مائة دينار. ودخل معبد فرأى حلة حمزة عليهِ فانكرها. وعلم حمزة
بذلك فاخبر معبداً بالسبب وامر مالكاً فغنّاه الصوتين. فغضب معبد لمّا سمع
الصوت الأوّل وقال: قد كرهت ان آخذ هذا الغلام فيتعلّم غنائي فيدّعيهِ
لنفسه. فقال لهُ حمزة: لا تعجل واسمع غناء صنعه ليس من شأنك ولا غنائك.
وامره ان يغنّي الصوت الآخر فغنّاه فاطرق معبد. فقال لهُ حمزة: والله لو انفرد
بهذا لضاهاك ثم يتزايد على الايام وكلّما كبر وزاد شخت انت ونقصت فلأن
يكون منسوباً اليك أجمل. فقال لهُ معبد وهو منكسر: صدق الامير. فامر
حمزة لمعبد بخلعة من ثيابهِ وجائزة حتى سكن وطابت نفسه. فقام مالك على
رجله فقبّل راس معبد وقال لهُ: يا ابا عباد أساءك ما سمعت منّي والله لا اغني
لنفسي شيئاً ابداً ما دمتَ حيّاً وان غلبتني نفسي فغنيت في شعر استحسنته
لا نسبتُهُ الّا اليك فطب نفساً وارض عنّي. فقال لهُ معبد: او تفعل هذا
وتفي بهِ قال: اي والله وازيد. فكان مالك بعد ذلك اذا غنّى صوتاً وسئل
عنه قال: هذا لمعبد ما غنيت لنفسي شيئاً قط وانما آخذ غناء معبد فانقلهُ الى
الاشعار وأُحسنهُ وازيد فيهِ وانقص منهُ

مَعبد في السفينة

كان معبد قد علّم الغناء جاريةً من جواري الحجاز تُدعى ظبية وعُني بتخريجها.
فاشتراها رجل من اهل العراق فاخرجها الى البصرة وباعها هناك فاشتراها
رجل من اهل الاهواز فأُعجب بها. ثمّ ماتت بعد ان اقامت عنده برهة من
الزّمان واخذ جواريهِ اكثر غنائها عنها. فكان لمحبتهِ اياها واسفهِ عليها لا يزال
يسأل عن اخبار معبد وأين مستقره ويظهر التعصب لهُ والميل اليهِ والتقديم
لغنائهِ على سائر اغاني اهل عصره الى ان عُرف ذلك منهُ وبلغ معبداً خبرهُ
فخرج من مكة حتى اتى البصرة. فلما وردها صادف الرجل وقد خرج عنها في
ذلك اليوم الى الاهواز. فاكترى سفينة. وجاء معبد يلتمس سفينة ينحدر
فيها الى الاهواز فلم يجد غير سفينة الرجل وليس يعرف احد منهما صاحبه.
فامر الرجل الملاّحَ ان يجلسه معه في مؤخر السفينة ففعل وانحدروا. فلما صاروا
في فم نهر الابلة تغدوا وشربوا وامر جواريه فغنّينَ ومعبد ساكت وهو في
ثياب السفر وعليهِ فروة وخفّان غليظان وزيّ جافٍ من زي اهل الحجاز الى
ان غنت احدى الجواري:

لقد راعني للبين نوحُ حمامةٍ   على غصن بانٍ جاوبتها حمائمُ
هواتف أما مَن بكينَ فعهدُهُ   قديمٌ واما شجوهنّ فدائمُ

(والغناء لمعبد) فلم تجد أداءه فصاح بها معبد: يا جارية ان غناءكِ هذا
ليس بمستقيم. فقال لهُ مولاها وقد غضب: وانت ما يدريك الغناء ما هو. ألّا
تمسك وتلزم شأنك. فامسك. ثمّ غنت اصواتاً من غناء غيره وهو ساكت
لا يتكلم حتى غنت غناء لمعبد فاخلّت ببعضهِ. فقال لها معبد: ياجارية لقد

اخللت بهذا الصوت اخلالًا شديدًا . فغضب الرجل وقال لهُ : ويلك ما أَنت والغناء . أَلَا تكفّ عن هذا الفضول . فأَمسك . وغنَّى الجواري مليا ثم غنت احداهنَّ

الى جيداء قد بعثوا رسولًا ليحزنها فلا صحب الرسولُ
كأَن العام ليس بعام صبحٍ تغيرت المواسم والشكولُ

(الغناء لمعبد) فلم تصنع فيهِ شيئًا فقال لها معبد : يا هذه أَما تقوين على أَداء صوتٍ واحد . فغضب الرجل وقال لهُ : ما اراك تدع هذا الفضول بوجهٍ ولا حيلة . فاقسم بالله لأَن عاودت لاخرجنك من السفينة . فامسك معبد حتى اذا سكتت الجواري سكتةً اندفع يغنّي الصوت الاول حتى فرغ منهُ فصاح الجواري : احسنت والله يا رجل فاعدهُ . فقال : لا والله ولا كرامة . ثم اندفع يغني الثاني . فقلن لسيدهنَّ : ويحك هذا والله احسن الناس غناءً فسله ان يعيدهُ علينا ولو مرَّة واحدة لعلنا ناخذه عنه فانه ان فاتنا لم نجد مثله ابدًا . فقال : قد سمعتنَّ سوء رده عليكنَّ وانا خائف مثله منهُ وقد اسلفناه الاساءة فاصبرنَ حتى نداريَهُ ثم غنَّى الثالث فزلزل عليهم الارض . فوثب الرجل فخرج اليهِ وقبل راسهُ وقال : يا سيدي اخطأنا عليك ولم نعرف موضعك . فقال لهُ : فهبك لم تعرف موضعي قد كان ينبغي لك ان تتثبَّت ولا تسرع اليَّ بسوء العشرة وجفاء القول . فقال لهُ : قد اخطأْت وانا اعتذر اليك ممَّا جرى واسأَلك ان تنزل اليَّ وتختلط بي . فقال : امَّا الآن فلا . فلم يزل يرفق بهِ حتى نزل اليهِ . فقال لهُ الرجل : ممن اخذت هذا الغناء . قال : من بعض اهل الحجاز . فمن اين اخذه جواريك . فقال : اخذنهُ عن جارية كانت لي ابتاعها رجل من اهل البصرة من مكة . وكانت قد اخذت عن ابي عباد معبد وعُني بتخريجها . فكانت تحلّ مني محل

الرُّوح من الجسد ثم استأْثر الله عزَّ وجل بها وبقي هؤلاء الجواري وهنَّ من تعليمها فانا الى الآن اتعصب لمعبد وافضله على المغنين جميعًا وافضل صنعتهُ على كلّ صنعة . فقال لهُ معبد : او انك لانت هو افتعرفني . قال : لا . (قال) فصاكَّ معبدٌ بيده صلعتَه ثم قال : فانا والله معبد واليك قدمت من الحجاز ووافيت البصرة ساعة نزلت السفينة لاقصدك بالاهواز ووالله لا قصرت في جواريك هؤلاء ولأَجعلنَّ لك في كل واحدة منهنَّ خلفًا من الماضية . فاكب الرجل والجواري على يديه ورجليهِ يقبلونها ويقولون كتمتنا نفسك طول هذا حتى جفوناك في المخاطبة واسأْنا عشرتك وانت سيدنا ومن نتمنَّى على الله ان نلقاه . ثم غيَّر الرجل زيه وحاله وخلع عليهِ عدَّة خلعٍ واعطاه في وقتهِ ثلثمائة دينار وطيبًا وهدايا بمثلها وانحدر معهُ الى الاهواز فاقام عنده حتى رضي حذق جواريه وما اخذنهُ عنهُ ثم ودعهُ وانصرف الى الحجاز

الشاعر نصيب بن رباح عند عبد العزيز بن مروان

قال نصيب : قلتُ الشعر وانا شاب فاعجبني قولي . فجعلتُ آتي مشيخة من بني ضمرة بن بكر بن عبد مناة (١) ومشيخة من خزاعة فانشدهم القصيدة من شعري ثم انسبها الى بعض شعرائهم الماضين فيقولون : احسنَ والله هكذا يكون الكلام وهكذا يكون الشعر . فلمَّا سمعت ذلك منهم علمت اني محسن فازمعوا وازمعت الخروج الى عبد العزيز بن مروان وهو يومئذٍ بمصر فقلت لاختي أُمامة وكانت عاقلة جلدة : أَي اخية اني قد قلتُ شعرًا وانا اريد عبد العزيز بن مروان وارجو ان يعتقك الله بهِ وامك ومن كان مرقوقًا من اهل قرابتي . قالت :

(١) كان بنو ضمرة موالي النصيب

انا لله وانا اليهِ راجعون . يا ابن امِّ . اتجتمع عليك الخصلتان السواد وان تكون ضحكةً للناس . (قال) قلتُ : فاسمعي . فانشدتها فسمعت . فقالت : بابي انت احسنت . والله في هذا رجاءٌ عظيم فاخرج على بركة الله . فخرجتُ على قعودٍ لي حتى قدمت المدينة فوجدت الفرزدق في مسجد الرسول فعرجتُ اليهِ فقلت : انشده واستنشده واعرض عليهِ شعري . فانشدتهُ فقال لي : ويلك أهذا شعرك الذي تطلب بهِ الملوك . قلت : نعم . قال : فلستَ في شيءٍ ان استطعت ان تكتم هذا على نفسك فافعل . فانفضحت عرقًا فحصبني رجل من قريش كان قريبًا من الفرزدق وقد سمع انشادي وسمع ما قال لي الفرزدق فأومأ اليَّ فقمت اليهِ فقال : ويحك أهذا شعرك الذي انشدتهُ الفرزدق . قلت : نعم . فقال : فقد والله اصبت ولئن كان هذا الفرزدق شاعرًا لقد حسدك فانا لنعرف محاسن الشعر فامض لوجهك ولا يكسرنَّك . (قال) فسرَّني قولهُ وعلمت انهُ قد صدقني فيما قال . فاعتزمت على المضي . فمضيت فقدمت مصر وبها عبد العزيز بن مروان فحضرت بابهُ مع الناس . فنُحّيتُ عن مجلس الوجوه فكنت وراءهم ورايت رجلًا جاء على بغلةٍ حسن الشارة سهل المدخل يؤذن لهُ اذا جاء . فلما انصرف الى منزلهِ انصرفت معهُ أُماشي بغلتهُ فلماَّ رآني قال : أَلكَ حاجة . قلت : نعم انا رجل من اهل الحجاز شاعر وقد مدحت الامير وخرجت اليهِ راجيًا معروفه وقد ازدُريت فطردت من الباب ونحيت عن الوجوه . قال : فانشدني . فانشدته فاعجبهُ شعري فقال : ويحك أهذا شعرك فاياَّك ان تنتحل فان الامير راوية عالم بالشعر وعنده رواة فلا تفضحني ونفسك . فقلت : والله ما هو الَّا شعري . فقال : ويحك فقل ابياتًا تذكر فيها جوف مصر وفضلها على غيرها والقني بها غدًا فغدوت عليهِ من غد فانشدتهُ قولي :

سرى الهم تثنيني اليك طلائعهْ ... بمصر وبالجوف اعترتني روائعهْ
وبات وسادي ساعدٌ قلَّ لحمهُ ... عن العظم حتى كاد تبدو اشاجعهْ

(قال) وذكرت فيها الغيث فقلت :

وكم دون ذاك العارض البارق الذي ... لهُ اشتقتُ من وجه اسيل مدامعهْ
تمشَّى بهِ افناء بَكرٍ ومذحجٍ ... وافناء عمرو وهو خصب مرابعهْ
فكل مسيل من تهامة طيب ... دميث الربى تسقي البحارَ دوافعهْ
أَعنّي على برق اريك وميضهُ ... تضيءُ دجنَّاتِ الظلام لوامعهْ
اذا اكتحلت عينا محبّ بضوئهِ ... تجافت بهِ حتى الصباح مضاجعهْ
هنيئًا لامّ البختري الروا بهِ ... وان انهج الحبل الذي انا قاطعهْ
وما زلت حتى قلت اني لخالع ... ولائيَ من مولًى نمتني قوارعهْ
ومانح قوم انت منهم مودتي ... ومتخذ مولاك مولى فتابعهْ

فقال : انت والله شاعرٌ احضر بالباب حتى اذكرك للامير . (قال) فجلست على الباب ودخل . فما ظننت انهُ امكنهُ ان يذكرني حتى دُعي بي فدخلت على عبد العزيز فسلمت فصعَّد فيَّ بصره وصوَّب . ثم قال : انت شاعر ويلك . قلت : نعم ايها الامير . قال : فانشدني . فانشدتهُ فاعجبهُ شعري . وجاء الحاجب فقال : ايها الامير هذا ايمن بن خزيم الاسدي بالباب . قال : ائذن لهُ فدخل فاطمأنَّ فقال لهُ الامير : يا ايمن بن خزيم كم ترى ثمن هذا العبد فنظر اليَّ . فقال : والله لنعم الغادي في اثر المخاض . هذا ايها الامير ارى ثمنهُ مائة دينار . قال : فانَّ لهُ شعرًا وفصاحة . فقال لي أيمن : أتقول الشعر . قلت : نعم . قال : قيمتهُ ثلاثون دينارًا . قال : يا ايمن ارفعهُ وتخفضهُ انت . قال : لكونهِ احمق ايها الامير ما لهذا وللشعر امثل هذا يقول الشعر او يحسن شعرًا . فقال : انشدهُ يا نصيب . فانشدتهُ

فقال لهُ عبد العزيز : كيف نسمع يا ايمن . قال : شعر اسود هو اشعر اهل جلدتهِ . قال : هو والله اشعر منك . قال : أمني ايها الامير . قال : اي والله منك . قال : والله ايها الامير انك لملَول ظَرفٍ . قال : كذبت والله ما انا كذلك ولو كنت كذلك ما صبرت عليك تنازعني التحية وتواكلني الطعام وتتكئ على وسائدي وفرشي وبك ما بك (يعني وضحًا كان بايمن) . قال : ائذن لي اخرج الى بشر بالعراق واحملني على البريد . قال : قد أذنت لك . وامر بهِ فحمل على البريد الى بشر . وابتاع عبد العزيز نصيبًا من مواليه واعتقهُ

قدوم معبد الى المدينة وسماعهُ من المغنين وغناؤُهُ لهم

قال معبد : غنيت فاعجبني غنائي واعجب الناس وذهب لي بهِ صيت وذكر . فقلت : لآتينَّ مكة فلأَسمعنَّ من المغنين بها ولأُغنينهم ولا تعرّفنَّ اليهم . فابتعت حمارًا فخرجت عليهِ الى مكة . فلما قدمتها بعت حماري وسالت عن المغنين اين يجتمعون . فقيل : بقعيقعان في بيت فلان . فجئت الى منزلهِ بالغلس فقرعت الباب . فقال : من هذا . فقلت : انظر عافاك الله . فدنا وهو يسبح ويستعيذ كانهُ يخاف ففتح فقال : من انت عافاك الله . قلت : رجل من اهل المدينة . قال : فما حاجتك . قلت : انا رجل اشتهي الغناء وازعم اني اعرف منهُ شيئًا وقد بلغني ان القوم يجتمعون عندك وقد احببت ان تُنزلني في جانب منزلك وتخلطني بهم فانهُ لا مؤونة عليك ولا عليهم مني . فاوى شيئًا ثم قال : انزل على بركة الله . (قال) فنقلت متاعي فنزلت في جانب حجرتهِ ثم جاء القوم حين اصبحوا واحدًا بعد واحد حتى اجتمعوا فانكروني وقالوا : من هذا الرجل . قال : رجل من

اهل المدينة خفيف يشتهي الغناء ويطرب عليهِ ليس عليكم منهُ عناء ولا مكروه . فرحبوا بي وكلمتهم ثم انبسطوا وشربوا وغنوا فجعلت اعجب بغنائهم واظهر ذلك لهم ويعجبهم مني حتى اقمنا اياما واخذت من غنائهم وهم لا يدرون اصواتًا واصواتًا واصواتًا ثم قلت لابن سريج . اني فديتك امسك عليَّ صوتك

قل لهند وتربها قبل شحط النوى غدا

قال : أَو تحسن شيئًا . قلت : تنظر وعسى ان اصنع شيئًا واندفعتُ فيهِ فغنيتهُ فصاح وصاحوا . وقالوا : أحسنت قاتلك الله . قلت : فامسك عليَّ صوت كذا فامسكوه عليَّ فغنيتهُ فازدادوا عجبًا وصياحًا فما تركت واحدًا منهم الَّا غنيتهُ من غنائهِ اصواتًا قد تخيرتها . (قال) فصاحوا حتى علت اصواتهم وهربوا بي وقالوا : لانت احسن باداء غنائنا عنّا منّا . قلت : فامسكوا عليَّ ولا تضحكوا بي حتى تسمعوا من غنائي . فامسكوا عليَّ فغنيت صوتًا من غنائي فصاحوا بي ثم غنيتهم آخر وآخر فوثبوا اليَّ وقالوا : نحلف بالله ان لك لصيتًا واسمًا وذكرًا وان لك فيما ههنا لسهمًا عظيمًا . فمن أنت . قلت : انا معبد . فقبلوا راسي وقالوا : لفقت علينا وكنا نتهاون بك ولا نعدك شيئًا وأنت أنت . فاقمت عندهم شهرًا آخذ منهم وياخذون مني ثم انصرفت الى المدينة

ابن الاهتم يحبّب الزهد الى هشام

حدَّث خالد بن صفوان بن الاهتم قال : اوفدني يوسف بن عمر الى هشام بن عبد الملك في وفد اهل العراق فقدمت عليهِ وقد خرج بقرابتهِ وحشمهِ وغاشيتهِ وجلسائهِ فنزل في ارض قاع صحصح منيف أفيح في عام قد

بكر وسميُّه وتتابع وليّه واخذت الارضُ زينتها على اختلاف الوان نبتها من نَور ربيع مونق فهو في احسن منظر واحسن مختبر. واحسن مستمطر. بصعيد كانّ ترابهُ قطع الكافور. (قال) وقد ضرب لهُ سرادق من حبرة كان يوسف بن عمر صنعهُ لهُ باليمن فيهِ فسطاط فيهِ اربعة افرشة من خزّ احمر مثلها مَرافقها وعليهِ درّاعة من خز احمر مثلها عمامتها وقد اخذ الناس مجالسهم . (قال) فاخرجت راسي من ناحية السماط فنظر اليَّ شبه المستنطق لي . فقلت: اتمّ الله عليك يا امير المؤمنين نعمة وجعل ما قلدك من هذا الامر رشدًا وعاقبة ما يَؤول اليهِ حمدًا واخلصهُ لك بالتقى وكثّرهُ لك بالنما ولا كدر عليك منهُ ما صفا ولا خالط سروره بالردى فلقد اصبحت للمؤمنين ثقة ومستراحًا. اليك يقصدون في مظالمهم ويفزعون في امورهم وما اجد شيئًا يا امير المؤمنين هو ابلغ في قضاء حقك وتوقير مجلسك وما منّ الله جل وعز عليَّ بهِ من مجالستك من ان اذكّرك نعم الله عليك وانبهك لشكرها. وما اجد في ذلك شيئًا هو ابلغ من حديث من سلف قبلك من الملوك فان أذن امير المؤمنين اخبرتهُ بهِ. (قال) فاستوى جالسًا وكان متكئًا ثم قال: هات يا ابن الاهتم. (قال) قلت: يا امير المؤمنين ان ملكًا من الملوك قبلك خرج في عام مثل عامك هذا الى الخوَرنَق والسدير في عام قد بكر وسميُّه وتتابع وليُّه واخذت الارض زينتها على اختلاف الوان نبتها في ربيع مونق فهو في احسن منظر واحسن مختبر بصعيد كانّ ترابهُ قطع الكافور وقد كان أُعطي فتاء السن مع الكثرة والغلبة والقهر فنظر فابعد النظر ثم قال لجلسائهِ: لمن مثل هذا. هل رايتم مثل ما انا فيهِ وهل أُعطي احد مثل ما أُعطيت. (قال) وعندهُ رجل من بقايا حمَلة الحجّة والمضي على ادب الحق ومنهاجه (ولم تخلُ الارض من قائم لله بحجة في عباده) فقال: ايها الملك انك

سألت عن امر أفتاذن في الجواب عنهُ . قال: نعم . قال: أرايت هذا الذي انت فيهِ . أشيء لم تزل فيهِ ام شيء صار اليك ميراثًا وهو زائل عنك وصائر الى غيرك كما صار اليك . قال: كذلك هو. قال: فلا اراك الا عجبت بشيء يسير تكون فيهِ قليلًا وتغيب عنهُ طويلًا وتكون غدا بحسابهِ مرتهنًا . قال: ويحك فاين المهرب واين المطلب . قال: امّا ان تقيم في ملكك فتعمل بطاعة الله ربك على ما ساءك وسرّك ومضّك وارمضك. وامّا ان تضع تاجك وتخلع اطمارك وتلبس امساحك وتعبد ربك حتى ياتيك اجلك . قال: فاذا كان السحَرُ فاقرع عليَّ بابي فاني مختار احد الرايين فان اخترتُ ما انا فيهِ كنتَ وزيرًا لا تُعصى . وان اخترت فلوات الارض وقفر البلاد كنت رفيقًا لا تُخالف . (قال) فقرع عليهِ عند السحر بابهُ فاذا هو قد وضع تاجه وخلع اطماره ولبس امساحه وتهيأ للسياحة فلزما والله الجبل حتى اتاهما اجلهما. فبكى والله هشام حتى اخضلَ لحيتهُ وبل عمامتهُ وامر بنزع ابنيتهِ وبنقلان قرابتهِ واهلهِ وحشمهِ وغاشيته من جلسائهِ ولزم قصره فاقبلت الموالي والحشم على خالد بن صفوان فقالوا: ما اردت الى امير المؤمنين افسدت عليهِ لذته ونغصت عليه مادبته . فقال: اليكم عني فاني عاهدت الله عزّ وجل ان لا اخلو بملك الّا ذكّرتهُ الله عزّ وجلّ

معبد والاسود

قال معبد: بعث اليَّ بعض امراء الحجاز وقد كان جمع لهُ الحرمان ان اشخص الى مكة فشخصت. (قال) فتقدّمت غلامي في بعض تلك الايام واشتدّ

علي الحر والعطش فانتهيت الى خباء فيهِ اسود واذا حباب ماء قد بردت فملت
اليـه فقلت : ياهذا اسقني من هذا الماء . فقال : لا. فقلت : فأذن لي في
الكنّ ساعة . قال : لا. فانخت ناقتي ولجأت الى ظلها فاستترت بهِ . وقلت : لو
احدثت لهذا الامير شيئًا من الغناء اقدم بهِ عليهِ ولعلي ان حركت لساني ان
يبل حلقي ريقي فيخفف عني بعض ما اجدهُ من العطش فترنمت بصوتي :
« القصر فالنخل فالجماء بينهما » فلما سمعني الاسود ما شعرت بهِ الا وقد احتملني
حتى ادخلني خباءه ثم قال : اي بابي انت وامي هل لك في سويق السُلت
بهذا الماء البارد . فقلت : قد منعتني اقل من ذلك وشربة ماء تجزئني . فسقاني
حتى رويت وجاءَ الغلام فاقمت عنده الى وقت الرواح فلما اردت الرحلة . قال :
اي بابي انت وامي الحرّ شديد ولا آمن عليك مثل الذي اصابك فأذن لي ان
احمل معك قربة من ماء على عنقي واسعى بها معك فكلما عطشت سقيتك
صحنًا وغنيتـــني صوتًا. (قال) قلت : ذاك لك. فوالله ما فارقني يسقيني
واغنيه حتى بلغت المنزل

بطش هلال برجلين اغلظا لهُ بالكلام

كان هلال فارسًا شجاعًا شديد الباس والبطش اكثر الناس اكلًا واعظمهم
في حربٍ غناء . وكان يرد مع الابل فياكل ما وجد عند اهلهِ ثم يرجع اليهـــا
ولا يتزوّد طعامًا ولا شرابًا حتى يرجع يوم ورودها لا يذوق فيما بين ذلك طعاما
ولا شرابًا وكان عاديّ الخلق لاتوصف صفتهُ . فكان يومًا في ابل لهُ وذلك عند
الظهيرة في يوم شديد وقع الشمس محتدم الهاجرة وقد عمـــد الى عصاه فطرح

عليها كساءه ثم ادخل راسهُ تحت كسائهِ من الشمس . فبينما هو كذلك اذ مرّ بهِ
رجلان احدهما من بني نهشل والآخر من بني فقيم كانا اشدّ تميميين في ذلك
الزمان بطشًا يقال لاحدهما الهيّاج . وقد اقبلا من البحرين معهما انواط من تمر
هَجَر وكان هلال بناحية الصعاب . فلما انتهيا الى الابل ولا يعرفان هلالًا بوجههِ
ولا يعرفان انّ الابل لهُ ناديَا : ياراعي أَعندك شرابٍ تسقينا وهما يظنانه عبدًا
لبعضهم . فناداهما هلال وراسهُ تحت كسائهِ : عليكما بالناقة التي صفتها كذا في
موضع كذا فانيخاها فان عليها وَطبين من لبن فاشربا منهما ما بدا لكما . (قال)
فقال لهُ احدهما : ويحك انهض ياغلام فأتِ بذلك اللبن . فقال لهما : ان تكُ
لكما حاجة فستأتيانها فتحدران الوطبين فتشربان . (قال) فقال احدهما : انك
لغليظ الكلام قم فاسقنا . ثم دنا من هلال وهو على تلك الحال . وقال لهما
(حيث قال لهُ احدهما : انك يا لئيم لغليظ الكلام) : اراكما والله ستلقيان هوانًا
وصغارًا . وسمعا ذلك منهُ فدنا احدهما فاهوى لهُ ضربًا بالسوط على عجزهِ وهو
مضطجع . فتناول هلال يده فاجتذبهُ اليهِ ورماه تحت فخذه ثم ضغطهُ ضغطة
فنادى صاحبَهُ : ويحك اعنّي قد قتلني . فدنا صاحبهُ منهُ فتناولهُ هلال ايضًا
فاجتذبهُ فرمى بهِ تحت فخذه الاخرى . ثم اخذ برقابهما فجعل يصكّ برؤوسهما
بعضًا ببعض لا يستطيعان ان يمتنعا منهُ . فقال احدهما : كن هلالًا ولا نبالي ما
صنعت . فقال لهما : انا والله هلال ولا والله لاتفلتان مني حتى تعطياني عهدًا
وميثاقًا لا تخيســـان بهِ . لتأتيان المِربَد اذا قدمتما البصرة ثم لتناديان باعلى
اصواتكما بما كان مني ومنكما . فعاهداه واعطياه نوطًا من التمر الذي معهمـــا
وقدما البصرة فاتيا المربد فناديا بما كان منهُ ومنهما

ابن مِسجحٍ (*) والقرشيّون وعبد الملك

حدّث دحمان الاشقر قال : كنت عاملاً لعبد الملك بن مروان بمكة فنمى اليهِ انَّ رجلاً اسود يقال لهُ سعيد بن مسجح افسد فتيان قريش وانفقوا عليهِ اموالهم . فكتب اليَّ ان : اقبض مالهُ وسيّره . ففعلت . فتوجه ابن مسجح الى الشام فصحبهُ رجل لهُ جوار مغنيات في طريقهِ . فقال لهُ : اين تريد . فاخبره خبره وقال لهُ : اريد الشام . قال لهُ : فتكون معي . قال : نعم . فصحبهُ حتى بلغا دمشق فدخلا مسجدها فسألا مَن أخصُّ الناس بامير المؤمنين . فقالوا : هولاء النفر من قريش وبنو عمهِ فوقف ابن مسجح عليهم وسلم ثم قال : يافتيان هل فيكم من يضيف رجلاً غريباً من اهل الحجاز . فنظر بعضهم الى بعض وكان عليهم موعد ان يذهبوا الى وليمة فتثاقلوا بهِ الّا فتًى منهم تذمم فقال : انا اضيفك . وقال لاصحـابهِ : انطلقوا انتم وانا اذهب مع ضيفي . قالوا : لا بل تجيء انت وضيفك فذهبوا جميعاً فلما اتوا بالغداء قال لهم سعيد : اني رجل اسود ولعلّ فيكم من يقذرني فانا اجلس وآكل ناحية . وقام . فاستحيوا منهُ وبعثوا اليهِ بما كل . فلما صاروا الى الشراب قال لهم مثل ذلك . ففعلوا بهِ واخرجوا جاريتين فجلستا على سرير قد وضع لهما فغنتا الى العشاء ثم دخلتا وخرجت جارية حسنة الوجه والهيئة وهما معها فجلست على السرير وجلستا اسفل منهـا عن يمين السرير وشمالهِ . قال ابن مسجح : فتمثّلتُ هذا البيت

فقلت اشمس ام مصابيح بيعة بدت لك خلف السجف ام انت حالمُ

فغضبت الجارية وقالت : أيضرب هذا الاسود بي الامثال . فنظروا اليَّ نظراً منكرًا ولم يزالوا يسكّنونها . ثم غنت صوتاً . فقـال ابن مسجح : احسنتِ والله

(*) وفي نسخة : ابن مُسَجِّج

فغضب مولاها وقال : أَمثل هذا الاسود يقدم على جاريتي . فقال لي الرجل الذي أنزلني عنده : قم فانصرف الى منزلي فقد ثقّلت على القوم . فذهبت اقوم فتذمم القوم وقالوا لي : بل أَقم واحسن ادبك . فاقمت وغنتْ . فقلت : أَخطأتِ والله ياخبيثة واسأْت ثم اندفعتُ فغنيت الصوت . فوثبت الجارية فقالت لمولاها : هذا والله ابو عثمان سعيد بن مسجح . فقلت : اني انا هو والله لا اقيم عندكم . فوثب القرشيون . فقال هذا : يكون عندي . وقال هذا : يكون عندي . وقال هذا : بل عندي . فقلت : والله لا اقيم الّا عند سيدكم (يعني الرجل الذي انزلهُ منهم) ثم سالوهُ عمّا اقدمهُ فاخبرهم الخبر . فقال لهُ صاحبهُ : اني اسمر الليلة مع امير المؤمنين فهل تحسن ان تحدو . قال : لا ولكني استعمل حداء . قال : فان منزلي بحذاء منزل امير المؤمنين فان وافقتَ منـهُ طيبَ نفس ارسلتُ اليك . ومضى الى عبد الملك فلما رآهُ طيّب النفس ارسل الى ابن مسجح واخرج راسهُ من وراء شُرف القصر ثم حدا :

انك يامعـاذ ياابن الفضلِ ان زلزل الاقدام لم تزلزلِ
عن دين موسى والكتاب المنزلِ تقيم اصداع القرون المُيَّلِ
للحق حتى ينتحوا للاعدلِ

فقـال عبد الملك للقرشي : من هذا . قال : رجل حجازي قدم عليَّ . قال : احضرهُ . فاحضرهُ لهُ . وقال لهُ : احدُ مجدًا . ثم قال لهُ : هل تغنى غناء الركبان . قال : نعم . قال : غنِه . فتغنى . فقال لهُ : فهل تغني الغناء المتقن . قال : نعم . قال : غنه . فتغنى . فاهتز عبد الملك طربًا . ثم قال لهُ : اقسم ان لك في القوم لاسمًا كثيرًا . من انت ويلك . قال لهُ : انا المظلوم المقبوض مالُهُ المسيّر عن وطنـهِ سعيد بن مِسجَح قبض مالي عامل الحجاز ونفاني . فتبسّم عبد الملك . ثم قال

لهُ: قد وضح عذر فتيـان قريش في ان ينفقوا عليك اموالهم. وأمّنه ووصله وكتب الى عامله بردّ مالهِ عليهِ وان لايعرض لهُ بسوء

موسى شهوات وسعيد بن خالد وسليمان بن عبد الملك

حدَّث الحرث بن سليمان الجهمي قال: شهدت مجلس امير المؤمنين سليمان بن عبد الملك واتاه سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان بن عفّان فقال: يا امير المؤمنين اتيتك مستدعياً. قال: ومن بك. قال: موسى شهوات. قال: وما لهُ. قال: سمع بي واستطال في عرضي. فقال: يا غلام عليَّ بموسى فأْتني بهِ. فاتى بهِ. فقال: ويلك اسمعتَ بهِ واستطلت في عرضهِ. قال: ما فعلت يا امير المؤمنين ولكني مدحت ابن عمهِ فغضب هو. قال: وكيف ذلك. قال: علقتُ جاريةً لم يبلغ ثمنها جِدَتي فاتيتهُ وهو صديقي فشكوت اليـهِ ذلك فلم أُصب عندهُ شيئاً فاتيت ابن عمهِ سعيد بن خالد بن عبدالله بن خالد بن اسيـد فشكوت اليهِ ما شكوتهُ الى هذا فقال: تعود اليَّ. فتركتهُ ثلاثاً ثم اتيتهُ فسهل من اذني. فلما استقرّ بي المجلس قال: ياغلام قل لقيِّمتي هاتي وديعتي. ففتح باباً بين بيتين واذا بجارية. فقال لي: أهذه بغيتك. قلت: نعم فداك ابي وامي قال: اجلس ثم قال: ياغلام قل لقيِّمتي هاتي ظبية نفقتي. فاتى بظبية فنثرت بين يديه فاذا فيها مائة دينار ليس فيها غيرها. فردَّت في الظبية ثم قال: عتيدة طيبي. فاتى بها فقال: ملحفة فراشي. فاتى بها فصيَّرما في الظبية وما في العتيدة في حواشي الملحفة ثم قال: شانَك بهواك واستعن بهذا عليهِ. فقال لهُ سليمان ابن عبد الملك: فذلك حين تقول ماذا: قال قلت:

أَبا خالدٍ اعني سعيدَ بن خالد   أخا العرف لااعني ابن بنت سعيدِ

ولكنني اعني ابن عائشةَ الذي   أبو ابويهِ خالد بن اسيدِ
عقيد الندى ما عاش يرضى بهِ الندى   فان مات لم يرضَ الندى بعقيدِ
دعوهُ دعوهُ انكم قد رقدتمُ   وما هو عن احسابكم برَقودِ

فقـال سليمان: عليَّ ياغلام بسعيد بن خالد فاتى بهِ. فقال: أحق ما وصفك بهِ موسى. قال: وما ذاك يا امير المؤمنين. فاعاد عليـهِ. فقال: قد كان ذلك يا امير المؤمنين. قال: فما طوقتك هذه الافعال. قال: دين ثلاثين الف دينار. فقال لهُ: قد امرت لك بمثلها وبمثلها وبمثلها وبثلث مثلها. فحملت اليـهِ مائة الف دينار. (قال) فلقيت سعيد بن خالد بعد ذلك فقلت لهُ: ما فعل المال الذي وصلك بهِ سليمان. قال: ما اصبحت والله أَملك منهُ الّا خمسين ديناراً. قلت: ما اغتالهُ. قال: خلة من صديق او فاقة من ذي رحم

ابراهيم الموصلي يستوهب بالغناء ثمن ضيعة من البرامكة

حدَّث مُخارق قال: اشتغل الرشيد يوماً واصطبح واصبحتِ السماء متغيمة تطشّ طشّاً خفيفاً. فقلت: والله لاذهبنّ الى استاذي ابراهيم فاعرف خبرهُ ثم أعود. فامرت مَن عندي أن يسوّوا مجلساً لنا الى وقت رجوعي فجئت الى ابراهيم الموصلي فاذا الباب مفتوح والدهليز قد كنس والبوّاب قاعد فقلت: ما خبر استاذي. فقال: ادخل. فدخلت فاذا هو جالس في رواق لهُ وبين يديه قدور تتغرغر واباريق تزهر والستارة منصوبة والجواري خلفها واذا قدّامهُ طست فيهِ رطلية وكوز وكاس. فدخلت اترنم ببعض الاصوات. وقلت لهُ: ما بال الستارة لست اسمع من ورائها صوتاً. فقال: اقعـد ويحك اني اصبحت على

الذي ظننتَ فاتاني خبر ضيعة تجاورني قد والله طلبتها زمانًا وتمنيتها فلم املكها وقد أُعطي بها مائة الف درهم. فقلت: وما يمنعك منها فوالله لقد اعطاك الله اضعاف هذا المال واكثر. قال: صدقت ولكن لست اطيب نفسًا ان اخرج هذا المال. فقلت: فمن يعطيك الساعة مائة الف درهم والله ما اطمع في ذلك من الرشيد فكيف بمن دونه. فقال: اجلس خذ هذا الصوت. ونقر بقضيب معهُ على الدواة والقى عليَّ:

نام الخليون من همٍ ومن سقمِ   وبتّ من كثرة الاحزان لم انم
ياطالب الجود والمعروف مجتهدًا   اعمد ليحيى حليف الجود والكرمِ

فاخذتهُ فاحكمتهُ ثم قال لي: امضِ الساعة الى باب الوزير يحيى بن خالد فانك تجد الناس عليهِ وتجد الباب قد فتح ولم يجلس بعد. فاستأذن عليهِ قبل ان يصل اليهِ احد فانهُ سينكر عليك مجيئك ويقول: من اين اقبلتَ في هذا الوقت. فحدّثهُ بقصدك اياي وما القيتُ اليك من خبر الضيعة واعلمهُ اني صنعت هذا الصوت واعجبني ولم ارَ احدًا يستحقهُ الّا فلانة جاريته واني القيتهُ عليك حتى احكمتهُ لتطرحهُ عليها فسيدعو بها ويامر بالستارة ان تنصب ويوضع لهُ كرسي ويقول لك: اطرحهُ عليها بحضرتي فافعل واتني بالخبر بعد ذلك. (قال) فجئت باب يحيى فوجدتهُ كما وصف وسالني فاعلمتهُ ما امرني بهِ ففعل كل شيء قالهُ لي ابراهيم واحضر الجارية فالقيتهُ عليها. ثم قال لي: تقيم عندنا يا ابا المهنا او تنصرف. فقلت: انصرف اطال الله بقاءك فقد علمت ما اذن لنا فيهِ. قال: ياغلام احمل مع ابي المهنا عشرة آلاف درهم واحمل الى ابي اسحق مائة الف درهم ثمن هذه الضيعة. فحملت العشرة الآلاف الدرهم اليَّ واتيتُ منزلي. فقلت: اسرّ يومي هذا وأُسرّ مَن عندي. ومضى الرسول اليـهِ بالمال فدخلت

منزلي ونثرت على من عندي من الجواري دراهم من تلك البَدرة وتوسّدتها واكلت وشربت وطربت وسُررت يومي كله فلما اصبحت قلت: والله لآتين استاذي ولاعرفنّ خبره فاتيتهُ فوجدت الباب كهيئتهِ بالامس ودخلت فوجدتهُ على مثل ما كان عليهِ فترنمت وطربت فلم يتلقّ ذلك بما يجب. فقلت لهُ: ما الخبر الم يأتك المال. قال: بلى فما كان خبرك انت بالامس. فاخبرتهُ بما كان وهب لي وقلت: ماكان ينتظر من خلف الستارة. فقال: ارفع السجف فرفعتهُ فاذا عشر بِدَر. فقلت: واي شيء بقي عليك في امر الضيعة. قال: ويحك ما هو والله الا ان دخلت منزلي حتى شححت عليها فصارت مثل ما حويتُ قديمًا. فقلت: سبحان الله العظيم فتصنع ماذا. قال: قم حتى أُلقي عليك صوتًا صنعتهُ يفوق ذلك الصوت. فقمت وجلست بين يديه فالقى عليَّ:

ويفرح بالمولود من آل برمك   بغاة الندى والسيفِ والرمح والنصلِ
وتنبسط الآمال فيـهِ لفضلهِ   ولا سيما ان كان من ولد الفضلِ

فلما القى عليَّ الصوت سمعت ما لم اسمع مثلـهُ قط وصغُر عندي الاوَّل فاحكمتهُ. ثم قال: انهض الساعة الى الفضل بن يحيى فانك تجده لم ياذن لاحد بعد وهو يريد الخلوة مع اهلهِ اليوم فاستأذن عليهِ وحدّثهُ بحديثنا امس وما كان من ابيهِ الينا واليك. واعلمهُ اني قد صنعت هذا الصوت وكان عندي ارفع منزلة من الصوت الذي صنعتهُ بالامس واني القيتهُ عليك حتى احكمتهُ ووجهت بك قاصدًا لتلقيهُ على فلانة جاريته. فصرت الى باب الفضل فوجدت الامر على ما ذكر. فاستأذنت فوصلت وسألني ما الخبر فاعلمتهُ بخبري في اليوم الماضي وما وصل اليَّ واليهِ من المال فقال: أخزى الله ابراهيم فما ابخلهُ على نفسهِ ثم دعا خادمًا فقال: اضرب الستارة. فضربها فقال لي: ألقهِ. فلما غنيتهُ

لم اتمّهُ حتى اقبل يجرّ مطرفه . ثم قعد على وسادة دون الستارة . وقال : احسن
والله استاذك واحسنت انت يامخارق فلم اخرج حتى اخذتهُ الجارية واحكمتهُ
فسرّ بذلك سرورًا شديدًا وقال: اقم عندي اليوم . فقلت : ياسيدي انما بقي لنا
يوم واحد ولولا اني احب سرورك لم اخرج من منزلي . فقال : ياغلام احمل مع
أبي المهنَّا عشرين الف درهم واحمل الى ابراهيم مائتي الف درهم . فانصرفت
الى منزلي بالمال ففتحت بدرة فنثرت منها على الجواري وشربت وسررت انا
ومن عندي يومنا . فلما اصبحت بكرت الى ابراهيم اتعرَّف خبره واعرّفهُ خبري
فوجدتهُ على الحال التي كان عليها اولا وآخرًا . فدخلت اترنم وأصفق فقال لي :
ادنُ . فقلت : ما بقي . فقال : اجلس وارفع سجف هذا الباب . فاذا عشرون
بدرة مع تلك العشرة فقلت : ما تنتظر الآن . فقال : ويحك ما هو والله الّا
ان حصلت حتى جرت مجرى ما تقدَّم . فقلت : والله ما اظن احدًا نال في هذه
الدولة ما نلتهُ فلمَ تبخل على نفسك بشيء تمنيتهُ دهرًا وقد ملَّكك الله اضعافهُ .
ثم قال : اجلس فخذ هذا الصوت . والقى عليَّ صوتًا أنساني والله صوتيَّ الاوَّلين :

الى جعفر سارت بنا كل حرَّة ... طواها سُراها نحوهُ والتهجُّرُ
الى واسع للمُجتدينَ فناؤُهُ ... تروح عطاياهُ عليهم وتبكرُ

ثم قال لي : هل سمعت مثل هذا . فقلت : ما سمعت قط مثلهُ . فلم يزل
يردّدهُ عليَّ حتى اخذتهُ . ثم قال لي : امضِ الى جعفر فافعل بهِ كما فعلت باخيهِ
وابيهِ . (قال) فمضيت ففعلت مثل ذلك وخبرتهُ ما كان منهما وعرضت عليهِ
الصوت فسرّ بهِ ودعا خادمًا فأَمرهُ بضرب الستارة واحضر الجارية وقعد على
كرسي . ثم قال : هات يا مخارق . فاندفعت فالقيت الصوت عليها حتى اخذتهُ .
فقال : أحسنت والله يا مخارق واحسن أستاذك فهل لك في المقام عندنا اليوم .

فقلت : ياسيدي هذا آخر ايامنا وانما جئت لموقع الصوت مني حتى القيتهُ على
الجارية . فقال : ياغلام احمل معهُ ثلاثين الف درهم والى الموصلي ثلثمائة الف
درهم . فصرت الى منزلي بالمال فأقمت ومن معي مسرورين نشرب بقية يومنا
ونطرب . ثم بكرت الى ابراهيم فتلقَّاني قائمًا وقال لي : احسنت يا مخارق . فقلت :
ما الخبر . فقال : اجلس . فجلست . فقال لمن خلف الستارة : خذوا فيما انتم فيهِ .
ثم رفع السجف فاذا المال فقلت : ما خبر الضيعة . فادخل يده تحت مِسوَرة هو
متكئ عليها فقال : هذا صك الضيعة . سئل عن صاحبها فوُجد ببغداد . فاشتراها
منهُ يحيى بن خالد وكتب اليَّ : قد علمت انك لاتسخو نفسًا بشراء الضيعة من
مال يحصل لك ولو حيزت لك الدنيا كلها . وقد ابتعتها لك من مالي ووجهت
لك بصكها . ووجَّه اليَّ بصكها . وهذا المال كما ترى . ثم بكى وقال لي : يا مخارق اذا
عاشرتَ فعاشر مثل هولاء واذا خنكرت فخنكر بمثل هولاء . هذه ستمائة الف
وضيعةٌ بمائة الف وستون الف درهم لك حصلنا ذلك اجمع وانا جالس في
مجلسي لم ابرح منهُ فمتى يُدرَك مثل هولاء .

اسحق الموصليّ وابراهيم بن المهدي في دار الرشيد

حدَّث حمَّاد قال : قال لي ابي : كنت عند الرشيد يومًا وعندهُ ندماؤهُ
وخاصته وفيهم ابراهيم بن المهدي . فقال لي الرشيد : يااسحق تغنَّ

شربتُ مدامةً وسقيت اخرى ... وراح المنتشون وما انتشيتُ

فغنيتهُ فاقبل عليَّ ابراهيم بن المهدي فقال لي : ما اصبتَ يا اسحق ولا
احسنت . فقلت : ليس هذا مما تحسنهُ ولا تعرفهُ وان شئتَ فغنهِ فان لم اجدك

انك تخطئ فيهِ منذ ابتدائك الى انتهائك فدمي حلال. ثم اقبلت على الرشيد
فقلت : يا امير المؤمنين هذه صناعتي وصناعة ابي وهي التي قرّبتنا منك
واستخدَمَتنا لك واوطأتنا بساطك فاذا نازَعَنا بها احد بلا علم لم نجد بدًّا من
الايضاح والذبّ. فقال: لاغرو ولا لوم عليك. فقام الرشيد لحاجة فاقبل ابراهيم
ابن المهدي عليَّ وقال: ويلك يا اسحق أتجترئ عليَّ وتقول ما قلتَ يالئيم.
فداخلني ما لم املك نفسي معهُ فقلت لهُ: انت تشتمني وانا لا اقدر على اجابتك
وانت ابن الخليفة واخو الخليفة ولولا ذلك لكنت اشتمك. او ترى اني كنت
لاحسن ان اشتمك ولكن قولي في ذمّك ينصرف جميعهُ الى خالك. إلَّا علِم
ولولاك لذكرت صناعته ومذهبه. (قال اسحق: وكان بيطارًا). (قال) ثم سكتُّ
وعلمت ان ابراهيم يشكوني وان الرشيد سوف يسأَل مَن حضر عمّا جرى
فيخبرونهُ فتلافيت ذلك ثم قلت: انت تظن ان الخلافة تصير اليك فلا تزال
تهددني بذلك وتعاديني كما تعادي سائر اولياء اخيك حسدًا لهُ ولولدهِ على
الامر فانت تضعف عنهُ وعنهم وتستخف باوليائهم تشفيًا وارجو ان لايخرجها الله
عن يد الرشيد وولده وان يقتلك دونها. فان صارت اليك وبالله العياذ فحرامٌ
عليَّ العيش يومئذٍ والموت اطيب من الحياة معك فاصنع حينئذ ما بدا لك.
(قال) فلمَّا خرج الرشيد وثب ابراهيم فجلس بين يديه فقال: يا امير المؤمنين
شتمني وذكر امي واستخف بي. فغضب وقال: ما تقول ويلك. قلت: لا اعلم
فسلْ من حضر. فاقبل على مسرور وحسين فسالهما عن القصة فجعلا يخبرانه
ووجهه يتربد الى ان انتهيا الى ذكر الخلافة فسُري عنهُ ورجع لونهُ وقال
لابراهيم: ما لهُ ذنب شتمتهُ فعرَّفك انهُ لايقدر على جوابك. ارجع الى موضعك
وأمسك عن هذا. فلما انقضى المجلس وانصرف الناس أمر بان لاابرح وخرج

كل من حضر حتَّى لم يبقَ غيري. فساء ظني واهمتني نفسي. فاقبل عليَّ وقال:
ويلك يا اسحق أَتراني لم افهم قولك ومرادك قد والله سببتَهُ ثلاث مرات أَتراني
لااعرف وقائعك واقدامك. واين ذهبت ويلك لاتعد حدّثني عنك لو ضربك
ابراهيم أَكنتُ اقتص لك منهُ فاضربهُ وهو اخي. ياجاهل أَتراك لو أَمر غلمانه
فقتلوك أَكنتُ اقتلهُ بك. فقلت: يا امير المؤمنين قد والله قتلتني بهذا الكلام
ولئن بلغهُ ليقتلني وما اشك في انهُ قد بلغهُ الآن. فصاح بمسرور الخادم
وقال: عليَّ بابراهيم الساعة. فأُحضر وقال: قم فانصرف. وقلت لجماعة من
الخدم وكلهم كان لي محبًّا واليَّ مائلًا ولي مطيعًا: اخبروني بما يجري. فاخبروني
من غد انهُ لما دخل وبخهُ وجبَّههُ وقال لهُ: أَتستخف بخادمي وصنيعتي
ونديمي وابن نديمي وابن خادمي وصنيعتي وصنيعة أَبي في مجلسي وتقدم عليَّ
وتستخف بمجاسي وحضرتي. هاه هاه تقدم على هذا وامثالهِ وأَنت ما لك
وللغناء وما يُدريك ما هو. ومن اخذ لحنه وطارحك اياه حتَّى يتوهم انك
تبلغ مبلغ اسحق الذي غُذِيَ بهِ وعلّمه وهو صناعتهُ. ثم تظن انك تخطئهُ فيما
لاتدريه. ويدعوك الى إقامة الحجة عليك فلا تثبت لذلك وتعتصم بشتمهِ. أَليس
هذا مما يدل على السقوط وضعف العقل وسوء الادب من دخولك فيما
لايشبهك. وغلبة لذتك على مروءتك وشرفك. ثم اظهارك اياه ولم تحكمهُ
وادّعائك ما لاتعلمهُ حتى ينسبك الناس الى الجهل المفرط. أَلا تعلم ويلك ان
هذا سوء ادب وقلة معرفة وقلة مبالاة بالخطإ والتكذيب والرد القبيح. ثم
قال: والله العظيم وحق رسوله. والَّا فأَنا نفيٌّ من المهدي. لئن أَصابهُ احد بسوء
او سقط عليه حجر من السماء او سقط من على دابتهِ او سقط عليهِ سقفهُ
او مات فجأَة لاقتلنك بهِ. فلا تعرض لهُ وانت اعلم. قم الآن فاخرج. فخرج

وقد كاد ان يموت . فلما كان بعد ذلك دخلت اليهِ وابراهيم عندهُ فاعرضت عن ابراهيم وجعل ينظر اليهِ مرَّة واليَّ مرَّة ويضحك ثم قال لهُ : اني لأعلم محبتك في اسحق وميلك اليهِ والى الاخذ عنهُ . وان هذا لايجيئك من جهته كما تريد الَّا بعد ان يرضى والرضا لايكون بكروه . ولكن أَحسن اليهِ واكرمهُ واعرف حقــه وبِرَّهُ وصلْه فاذا فعلتَ ذلك ثم خالفك فيما تهواه عاقبتهُ بيد منبسطة ولسان منطلق . ثم قال لي : قم الى مولاك وابن مولاك فقبل راسه . فقمت اليهِ وقام اليَّ واصلح الرشيد بيننا

احتيال محمَّد الرَّف (*) في سرقة غناء لابن جامع

ان الرشيد قال يومًا لجعفر بن يحيى : قد طال سماعنا هذه العصابة على اختلاط الامر فيها . فهلمَّ اقاسمك اياها واخايرك . فاقتسما المغنِّينَ على ان جعلا بازاء كل رجل نظيره . وكان ابن جامع في حيز الرشيد وابراهيم في حيز جعفر ابن يحيى . وحضر الندماء لمحنة المغنين . وامر الرشيد ابن جامع فغنَّى صوتًا أَحسن فيهِ كل الاحسان وطرب الرشيد غاية الطرب . فلما قطعهُ قال الرشيد لابراهيم : هات يا ابراهيم هذا الصوت فغنِه . فقال : لاوالله يا امير المؤمنين ما اعرفهُ وظهر الانكسار فيهِ . فقال الرشيد لجعفر : هذا واحد . ثم قال لاسمعيل ابن جامع : غنِّ يا اسمعيل . فغنَّى صوتًا ثانيًا احسن من الاوَّل وارضى في كل حال . فلما استوفاه قال الرشيد لابراهيم : هاته يا ابراهيم . قال : ولا اعرف هذا . فقال : هذان اثنان . غنِّ يا اسمعيل . فغنَّى ثالثًا يتقدم الصوتين الاولين ويفضلهما . فلما اتى على آخره قال : هاته يا ابرهيم . قال : ولا اعرف هذا ايضـًا . فقال لهُ

(*) ويُروى في نسخةٍ : الزَّف

جعفر : أَخزيتَنا اخزاك الله . (قال) واتم ابن جامع يومه والرشيد مسرورٌ بهِ وأَجازه بجوائز كثيرة وخلع عليهِ خلعًا فاخرة ولم يزل ابراهيم منخـذلاً منكسرًا حتَّى انصرف . (قال) فمضى الى منزلهِ فلم يستقر فيهِ حتى بعث الى محمد المعروف بالزفّ . وكان محمد من المغنين المحسنين وكان اسرع مَن عُرف في ايامهِ في اخذ صوت يريد اخذه . وكان الرشيد قد وجد عليهِ في بعض ما يجده الملوك على امثالهِ فالزمهُ بيته وتناساه . فقال ابراهيم للزف : اني اخترتك على من هو أَحب اليَّ منــك لامر لا يصلح لهُ غيرك فانظر كيف يكون . قال : ابلغ في ذلك محبتك ان شاء الله تعالى . فادَّى اليــهِ الخبر وقال : اريد ان تمضي الساعة الى ابن جامع فتعلمهُ انك صرت اليهِ مهنئًا بما تهيأَ لهُ عليَّ وتنقصني وتثلبني وتشتمني وتحتال في ان تسمع منــهُ الاصوات وتأْخذها منهُ ولك ما تحبهُ من جهتي من عَرض من الاعراض مع رضا الخليفة ان شاء الله . (قال) فمضى من عنده واستاذن على ابن جامع فاذن لهُ فدخل وسلم عليهِ وقال : جئتك مهنئًا بما بلغني من خبرك والحمد لله الذي اخزى ابن الجرمقانية على يدك وكشف الفضل في محلك من صناعتك . قال : وهل بلغك خبرنا . قال : هو اشهر من ان يخفى على مثلي . قال : ويحك انهُ يقصر عن العيان . قال : ايها الأُستاذ سرَّني بان اسمعهُ من فيك حتى ارويهُ عنك وأُسقط بيني وبينك الاسانيد . قال : أَقم عندي حتَّى افعل . قال : السمع والطاعة . فدعا لهُ ابن جامع بالطعام فاكلا ودعا بالشراب ثم ابتدأَ فحدَّثهُ بالخبر حتى انتهى الى خبر الصوت الاوَّل . فقال لهُ الزف : وما هو ايهــا الاستاذ . فغنَّاه ابن جامع اياه فجعل محمد يصفق وينعر ويشرب وابن جامع مجتهد في شانهِ حتى اخذهُ عنهُ . ثم سالهُ عن الصوت الثاني . فغنَّاه اياه . وفعل مثل فعله في الصوت الاوَّل

ثم كذلك في الصوت الثالث . فلما اخذ الاصوات الثلاثة كلها واحكمها قال
لهُ : يا استاذ قد بلغتُ ما أُحبُّ فتأذن لي في الانصراف . قال : اذا شئتَ .
فانصرف محمد من وجههِ الى ابراهيم فلما طلع من باب داره قال لهُ : ما
وراءك . قال : كل ما تُحب . ادع لي بعود . فدعا لهُ بهِ فضرب وغنَّاه الاصوات .
قال ابراهيم : وأَبيك هي بصورتها واعيانها . ردّدها عليَّ الآن . فلم يزل يرددها
حتَّى صحّت لابراهيم . وانصرف الرف الى منزلهِ وغدا ابراهيم الى الرشيد . فلما
دعا بالمغنين دخل فيهم . فلما بصر بهِ قال لهُ . أَوَ قد حضرتَ اما كان ينبغي
لك ان تجلس في منزلك شهرًا بسبب ما لقيتَ من ابن جامع . قال : ولِمَ
ذلك يا امير المؤمنين جعلني الله فداءك . والله لئن اذنت لي ان اقول لاقولنَّ .
قال : وما عساك ان تقول قُل . فقال : انهُ ليس ينبغي لي ولا لغيري ان يراك
نشيطًا لشيء فيعارضك ولا ان تكون متعصبًا لحيز وجنبة فيغالبك . والّا فما
في الارض صوت لااعرفهُ . قال : دع ذا عنك قد اقررتَ امس بالجهالة بما
سمعت من صاحبنا فان كنت امسكت عنهُ بالامس على معرفة كما تقول فهاته
اليوم فليس ههنا عصبيَّة ولا تميز . فاندفع فامرَّ الاصوات كلها وابن جامع
مصغٍ يسمع منهُ حتى اتى على آخرها . فاندفع ابن جامع فحلف بالأَيمان المُحَرَّجة
انهُ ما عرفها قط ولا سمعها ولا هي الّا من صنعتهِ ولم تخرج الى احد غيرهِ .
فقال لهُ : ويحك فما احدثتَ بعدي . قال : ما احدثت حدثًا . فقال : يا ابراهيم
بحياتي اصدقني . فقال : وحياتك لاصدقنك رميتهُ بحجره فبعثتُ اليهِ بمحمد
الرف وضمنت لهُ ضمانات اولها رضاك عنهُ . فمضى حتى احتال لي عليهِ حتى
اخذها عنهُ ونقلتها حتى سقط الآن اللوم عني باقراره . لانهُ ليس عليَّ ان
اعرف ما صنعهُ هو ولم يخرجهُ الى الناس وهذا باب من الغيب وانما يلزمني

ان لايعرف هو شيئًا من غناء الاوائل واجهلهُ انا والّا فلو لزمني ان اروي
صنعتهُ للزمهُ أَن يروي صنعتي ولزم كل واحد منا كسائر طبقته ونظرائهِ مثل
ذلك . فمن قصر عنهُ كان مذمومًا ساقطًا . فقال لهُ الرشيد : صدقت يا ابراهيم
ونصحت عن نفسك وقمتَ بحجتك . ثم اقبل على ابن جامع فقال لهُ : يا اسمعيل
أُتيتَ اتيت . دُهيت دهيت . ابطلَ عليك الموصلي ما فعلتهُ بهِ امس وانتصف
اليوم منك . ثم دعا بالرف فرضي عنهُ

علوية واسحق ويحيى بن خالد

حدَّث احمد بن يحيى المكي قال : دعاني الفضل بن الربيع ودعا علوية
ومخارقًا وذلك في ايام المامون بعد رجوعهِ ورضاه عنهُ الّا ان حالهُ كانت
ناقصة متضعضعة . فلما اجتمعنا عنده كتب الى اسحق الموصلي يسأَلهُ ان يصير
اليهِ ويعلمهُ الحال في اجتماعنا عنده فكتب اليهم : لا تنتظروني بالاكل فقد
اكلت وانا اصير اليكم بعد ساعة . فاكلنا وجلسنا نشرب حتى قرب العصر
ثم وافى اسحق فجلس وجاء غلامهُ بقطرميز نبيذ فوضعهُ ناحية وأَمر صاحب
الشراب باسقائهِ منهُ وكان علوية يغني الفضل بن الربيع في لحن لسياط
اقترحهُ الفضل عليهِ واعجبهُ وهو :

فان تعجبي أَو تبصري الدهر طمني ... باحداثهِ طمَّ المقصص بالجلمِ
فقد أَترك الاضياف تندى رحالهم ... واكرمهم بالمحض والتامك السنمِ

فقال لهُ اسحق : اخطأت يا ابا الحسن في أَداء هذا الصوت وانا اصلحهُ
لك . فجنَّ علوية واغتاظ وقامت قيامته . ثم اقبل على علوية فقال لهُ : ياحبيبي

ما اردت الوضع منك بما قلتهُ لك وانما اردتُ تهذيبك وتقويمك لانك
منسوب الصواب والخطإ الى ابي واليَّ . فان كرهتَ ذلك تركتك وقلت لك :
احسنتَ واجملتَ . فقال لهُ علوية : والله ما هذا اردت ولا اردت الَّا ما
لا تتركهُ ابدًا من سوء عشرتك . اخبرني عنك حين تجيء هذا الوقت لما دعاك
الامير وعرفك انهُ قد نشط للاصطباح ما حملك على الترفع عن مباكرتهِ
وخدمتهِ مع صنائعهِ عندك . وما كان ينبغي ان يشغلك عنهُ شيء الَّا الخليفة .
ثم تجيئهُ ومعك قطرميز نبيذ ترفعًا عن شرابهِ كما ترفعت عن طعامهِ ومجالستهِ
الَّا كما تشتهي وحين تنشط كما تفعل الاكفاء بل تزيد على فعل الاكفاء .
ثم تعمد الى صوت قد اشتهاه واقترحهُ وسمعهُ جميع من حضر فما عابهُ منهم
احد فتعيبهُ ليتمَّ تنغيصك اياه لذته . اما والله لولا الفضل بن يحيى واخوه جعفر
دعاك الى مثل ما دعاك اليهِ الامير بل بعض اتباعهم لبادرتَ وباكرت وما
تاخرت ولا اعتذرت . (قال) فامسكَ الفضل عن الجواب اعجابًا بما خاطب بهِ
علوية اسحق . فقال لهُ اسحق : اماَّ ما ذكرتهُ من تأخري عنهُ الى الوقت الذي
حضرتُ فيهِ فهو يعلم اني لا اتأخر عنهُ الَّا بعائقٍ قاطع ان وثق بذلك مني
والَّا ذكرت لهُ الحجة سرًّا من حيث لا يكون لك ولا لغيرك فيهِ مدخل .
واماَّ ترفُّعي عنهُ فكيف أترفع عنهُ وانا انتسب الى صنائعه واستمنحه واعيش
من فضلهِ مذ كنت وهذا تضريب لا ابالي بهِ منك . واماَّ حملي النبيذ معي
فانَّ لي في النبيذ شرطًا من طعمهِ وريحهِ وان لم اجدهُ لم اقدر على الشرب
وتنغَّص عليَّ يومئذٍ وإنما حملتهُ ليتم نشاطي وينتفع بي . واماَّ طعني على ما
اختارهُ فاني لم اطعن على اختياره وانما اردت تقويمك ولستَ والله تراني
متتبعًا لك بعد هذا اليوم ولا مقومًا شيئًا من خطائك وانا اغني لهُ أعزهُ الله

هذا الصوت فيعلم وتعلم ويعلم مَن حضرَ انك اخطأت فيهِ وقصَّرت . واماَّ
البرامكة وملازمتي لهم فأشهر من ان اجحده واني لحقيق فيهِ بالمعذرة وأحرى
ان اشكرهم على صنيعهم وبأن اذيعهُ وانشرهُ وذلك والله أقلّ ما يستحقونهُ
مني . ثم اقبل على الفضل وقد غاظهُ مدحه لهم فقال : اسمع مني شيئًا اخبرك
بهِ مما فعلاوه ليس هو بكبير في صنائعهم عندي ولا عند ابي قبلي . فان وجدت
لي عذرًا والَّا فلمْ . كنت في ابتداء امري نازلًا مع أبي في داره فكان لا يزال
يجري بين غلماني وغلمانه وجواريَّ وجواريه الخصومة كما يجري بين هذه
الطبقات فيشكونهم اليهِ فاتبيَّن الضجر والتنكُّر في وجههِ فاستأجرت دارًا
بقربهِ وانتقلت اليها انا وغلماني وجواريَّ . وكانت دارًا واسعة . فلم ارضَ ما
معي من الآلة لها ولا لمن يدخل اليَّ من اخواني ان يروا مثلهُ عندي . ففكَّرت
في ذلك وكيف أصنع وزاد فكري حتى خطر بقلبي قبح الاحدوثة من
نزول مثلي في دار بأجرة واني لا آمن في وقتٍ أن يُستأذن عليَّ وعندي مَن
احتشمهُ ولا يعلم حالي فيُقال : صاحبُ دارك : او يوجه في وقت فيطلب اجرة
الدار وعندي من احتشمهُ . فضاق بذلك صدري ضيقًا شديدًا حتى جاوز
الحدَّ . فامرت غلامي بان يُسرج لي حمارًا كان عندي لامضي الى الصحراء
اتفرَّج فيها مما دخل على قلبي . فاسرجه وركبت برداء ونعل . فأفضى بي السير
وانا مفكِّر لا أميِّز الطريق التي اسلك فيها حتى هجم بي على باب يحيى بن خالد .
فتواثب غلمانه اليَّ وقالوا : اين هذا الطريق . فقلت : الى الوزير . فدخلوا
فاستأذنوا لي وخرج الحاجب فامرني بالدخول وبقيت خجلًا قد وقعت في امرين
فاضحين . إن دخلت اليهِ برداء ونعل واعلمتهُ اني قصدتهُ في تلك الحال كان
سوء ادبٍ . وإن قلت لهُ : كنت مجتازًا ولم اقصدك فجعلتك طريقًا كان قبيحًا .

ثم عزمت فدخلت. فلما رآني تبسّم وقال: ما هذا الزي يا ابا محمَّد احتبسنا لك بالبر والقصد والتفقد. ثم علمنا انك جعلتنا طريقاً. فقلت: لا والله ياسيدي ولكني اصدقك. قال: هات. فاخبرتهُ القصة من اولها الى آخرها. فقال: هذا حق مستوٍ أفهذا شغلَ قلبك. قلت: اي والله. وزاد فقال: لاتشغل قلبك بهذا. يا غلام ردّوا حماره وهاتوا لهُ خلعة. فجاءوني بخلعة تامة من ثيابهِ فلبستها ودعا بالطعام فاكلت ووضع النبيذ فشربت وشرب فغنيتهُ. ودعا في وسط ذلك بدواة ورقعة وكتب اربع رِقاع ظننت بعضها توقيعاً لي بجائزة. فاذا هو قد دعا بعض وكلائهِ فدفع اليهِ الرقاع وسارّه بشيء. فزاد طمعي في الجائزة. ومضى الرجل وجلسنا نشرب وانا انتظر شيئاً فلا اراهُ الى العتمة. ثم اتكأ يحيى فنام. فقمت وانا منكسر خائب فخرجت وقُدّم لي حماري. فلما تجاوزت الدار قال لي غلامي: الى اين تمضي. قلت: الى البيت. قال: قد والله بيعت دارك وأُشهد على صاحبها وابتيع الدرب كلّه ووُزن ثمنه والمشتري جالس على بابك ينتظرك ليعرفك. واظنّهُ اُشتُري ذلك للسلطان لاني رايت الامر في استعجالهِ واستحثاثهِ امرًا سلطانياً. فوقعت من ذلك فيما لم يكن في حسابي وجئت وانا لا ادري ما اعمل. فلما نزلت على باب داري اذا انا بالوكيل الذي سارّه يحيى قد قام اليَّ. فقال لي: ادخل ايّدك الله دارك حتى ادخل الى مخاطبتك في امر أحتاج اليك فيهِ. فطابت نفسي بذلك ودخلت ودخل اليَّ فاقرأني توقيع يحيى: يُطلق لابي محمد اسحق مائة الف درهم يُبتاع لهُ بها داره وجميع ما يجاورها ويلاصقها. والتوقيع الثاني الى ابنه الفضل: قد أمرت لابي محمد اسحق بمائة الف درهم يُبتاع لهُ بها داره فأطلقْ اليهِ مثلها لينفقها على اصلاح الدار كما يُريد وبنائها على ما يشتهي. والتوقيع الثالث الى جعفر:

قد امرت لابي محمد اسحق بمائة الف درهم يُبتاع لهُ بها منزل يسكنهُ وأمر لهُ اخوك بدفع مائة الف ينفقها على بنائها ومرمّتها على ما يريد. فأطلقْ لهُ انت مائة الف درهم يَبتاع بهـا فرشاً لمنزلهِ. والتوقيع الرابع الى محمد: قد أمرت لابي محمد اسحق انا واخواك بثلثمائة الف درهم لمنزل يبتاعهُ ونفقة ينفقها عليهِ وفرش يبتذلهُ فمر لهُ انت بمائة الف درهم يصرفها في سائر نفقتهِ. وقال الوكيل: قد حملتُ المال واشتريت كل شيء جاورك بسبعين الف درهم وهذه كتب الابتياعات باسمي والاقرار لك وهذا المال بُورِك لك فيـهِ فاقبضهُ. فقبضتهُ واصبحت احسن حالًا من أبي في منزلي وفرشي وآلتي ولا والله ما هذا باكبر شيء فعلوه لي أفأُلام على شكر هولاء. فبكى الفضل بن الربيع وكلُّ مَن حضرهُ وقالوا: لا والله لا تُلام على شكر هولاء. ثم قال الفضل: بحياتي غنِّ الصوت ولا تبخل على أبي الحسن بان تقوّمهُ لهُ. فقال: أفعلُ. وغنّـاه فتبين علوية انهُ كما قال. فقام فقبل راسهُ وقال: انت استاذنا وابن استاذنا وأولى بتقويمنا واحتمالنا من كل احد

ابراهيم الموصليّ وابليس

حدّث ابراهيم قال: سألت الرشيد ان يهب لي يومًا في الجمعة لا يبعث فيهِ اليَّ بوجهٍ ولا بسبب لأخلو فيهِ باخواني فأذِن لي في يوم السبت فقال: هو يوم استثقلهُ فالهُ فيهِ بما شئتَ. (قال) فاقمت في يوم السبت بمنزلي وتقدّمتُ في اصطلاح طعامي وشرابي بما احتجت اليـهِ وأمرت بوّابي فأغلق الابواب

وتقدّمت اليه ألّا يأذن عليَّ لأحد. فبينما انا في مجلسي اذا انا بشيخ ذي هيئة وجمال عليهِ خفّان قصيران وقميصان ناعمان وعلى راسهِ قلنسوة لاطية وبيده عكازة مقمعة بفضة. وروائح المسك تفوح منهُ حتى ملأ البيت والدار. فداخلني بدخوله عليَّ مع ما تقدّمتُ فيـهِ غيظٌ ما تداخلني قط مثلهُ وهممت بطرد بوّابي ومن حجبني لاجله. فسلّم عليَّ احسن سلام. فرددت عليـهِ وأمرتهُ بالجلوس فجلس ثم اخذ في احاديث الناس وايام العرب واحاديثها واشعارها حتى سلى ما بي من الغضب وظننتُ أنَّ غلماني تحرّوا مسرّتي بادخالهم مثلهُ عليَّ لادبه وظَرْفه فقلت: هل لك في الطعام. فقال: لاحاجة لي فيـهِ. فقلت: هل لك في الشراب. فقال: ذلك اليك. فشربت وسقيته. فقال لي: يا ابا اسحق هل لك ان تغنّي لنا شيئًا من صنعتك وما قد نفقتَ بهِ عنـد الخاصّ والعامّ. فغاظني قولهُ ثم سهّلت على نفسي امرَه فاخذت العود فجسستهُ ثم ضربت فغنّيت. فقال: أحسنت يا ابراهيم. فازداد غيظي وقلت: ما رضي بما فعلهُ من دخولهِ عليَّ بغير اذن واقتراحه ان اغنيهُ حتّى سمّاني ولم يكنّني ولم يُجمل مخاطبتي. ثم قال: هل لك ان تزيدنا. فتذممت فاخذت العود وتغنّيت فقال: أجدتَ يا ابا اسحق فاتِمَّ حتى نكافئك ونُغنيك. فاخذت العود وتغنّيت وتحفظت وقمت بما غنيتهُ اياه تامًّا ما تحفظت مثلهُ ولا قمت بغناء كما قمت بهِ لهُ بين يدي خليفة قط ولا غيره لقوله لي اكافئك. فطرب وقال: احسنت يا سيدي. ثم قال: أتاذن لعبدك بالغناء. فقلت: شأنك واستضعفت عقله في ان يغنيني بحضرتي بعد ما سمعهُ مني فاخذ العود وجسّهُ وحبسهُ. فوالله لخلتهُ ينطق بلسان عربي لحسن ما سمعتهُ من صوته ثم تغنّى:

ولي كبد مقروحة مَن يبيعني ... بها كبدًا ليست بذات قروح

أباها عليَّ الناس لايشترونها ... ومن يشتري ذا علّة بصحيحِ

فوالله لقد ظننت الحيطان والابواب وكل ما في البيت يجيبهُ ويغني معـهُ من حسن غنائهِ حتى خِلت والله اني وعظامي وثيابي تجـاوبه وبقيت مبهوتًا لا استطيع الكلام ولا الجواب ولا الحركة لِما خالط قلبي. ثم غنّى:

صحا قلبي وراغ اليَّ عقلي ... واقصر باطلي ونسيتُ جهلي

فكاد والله عقلي أن يذهب طربًا وارتياحًا لِما سمعت. ثم غنّى:

ألا يا صبا نجد متى هجت من نجد ... لقد زادني مسراك وجدًا على وجدِ

ثم قال: يا ابراهيم هذا الغناء الماخوري فخـذهُ وانحُ نحوه في غنائك وعلّمهُ جواريك. فقلت: أعدهُ عليَّ. فقال: ليس تحتاج قد اخذتَهُ وفرغتَ منهُ. ثم غاب من بين يديَّ فارتفعت وقمت الى السيف فجرّدتهُ وعدوت نحو ابواب الحرم فوجدتها مُغلقة. فقلت للجواري: ايَّ شيء سمعتنَّ عندي. فقلنا: سمعنا احسن غناء سُمع قط. فخرجت متحيّرًا الى باب الدار فوجدتهُ مغلقًا فسألت البوّاب عن الشيخ. فقال لي: اي شيخ هو. والله ما دخل اليـك اليوم احد فرجعت لاتأمل أمري فاذا هو قد هتف من بعض جوانب البيت: لا باس عليك يا ابا اسحق انا ابليس وانا كنت جليسك ونديمك اليوم فلا ترُع. فركبت الى الرشيد وقلت لا اطرفهُ ابدًا بطرفة مثل هذه فدخلت اليـهِ فحدّثتهُ بالحديث. فقال: ويحك تأمّل هذه الابيات هل اخذتَهـا. فاخذت العود امتحنها فاذا هي راسخة في صدري كانها لم تزل. فطرب الرشيد وجلس يشرب ولم يكن عزم على الشراب وامر لي بصلة

الحُطَيئة وسعيد بن العاصي وعُتَيبَة بن النهاس

حدَّث ابو عبيدة قال : بينما سعيد بن العاصي يغشي الناس بالمدينة والنـاس يخرجون اولًا اولًا اذ نظر على بساطهِ الى رجل قبيح المنظر رثّ الهيئة جالسًا مع اصحاب سمرة . فذهب الشُرَط يقيمونهُ وأبى ان يقوم وحانت من سعيـد التفاتة فقال : دعوا الرجل . فتركوه وخاضوا في احاديث العرب واشعارها مليًا . فقال لهم الحطيئة : والله ما اصبتم جيد الشعر ولا شاعر العرب . فقال لهُ سعيد : أتعرف من ذلك شيئًا . قال : نعم . قال : فمن اشعر العرب . قال : الذي يقول :

لا اعدّ الإقتار عُدمًا ولكن   فُقد مَن قد رُزيتهُ الاعدامُ

وانشدَها حتى اتى عليها . فقال لهُ : من يقولها . قال : أبو دؤاد الايادي . قال : ثم مَن . قال : الذي يقول :

ادرك بما شئت فقد يُدرك   م الجهل وقد يخادع الاريبُ

ثم انشدها حتى فرغ منها . قال : ومن يقولها . قال : عبيد بن الابرص . قال : ثم مَن . قال : والله لحسبك بي عند رغبة أو رهبة اذا رفعتُ احدى رجليَّ على الاخرى ثم عويت في اثر القوافي عواء الفصيل الصادي . قال : ومن انت . قال : الحطيئة . (قال) فرحب بهِ سعيد . ثم قال : أسأت بكتمانا نفسك منـذ الليلة ووصله وكساه . ومضى لوجهـه الى عتيبة بن النهاس العجلي فسألهُ . فقال لهُ : ما انا على عمل فاعطيك من عدده ولا في مالي فضلٌ عن قومي . قال لهُ : فلا عليك . وانصرف فقال لهُ بعض قومه : لقد عرضتنا ونفسك للشرّ . قال : وكيف . قالوا : هذا الحطيئة وهو هاجينا أخبث هجاء . فقال : ردّوه . فردّوه

اليهِ . فقال لهُ : لِمَ كتمتَ نفسك كأنَّك كنتَ تطلب العلل علينا اجلسْ فلك عندنا ما يسرُّك . فجلس فقال لهُ : من اشعر الناس . قال : الذي يقول :

ومن يجعل المعروف من دون عرضهِ   يَفِرْهُ ومن لا يتَّقِ الشتم يُشتمِ

فقال لهُ عتيبة : ان هذا من مقدَّمات افاعيك . ثم قال لوكيله : اذهب معهُ الى السوق فلا يطلب شيئًا الّا اشتريتهُ لهُ . فجعل يعرض عليـهِ الخز ورقيق الثياب فلا يريدها ويُومئ الى الكرابيس والاكسية الغلاظ فيشتريها لهُ حتى قضى اربه ثم مضى . فلما جلس عتيبة في نادي قومهِ اقبل الحطيئة فلما رآه عتيبة قال : هذا مقام العائذ بك يا ابا مليكة من خيرك وشرّك . قال : قد كنت قلت بيتين فاسمعهما . ثم انشأ يقول :

سألت فلم تبخل ولم تعطِ طائلًا   فسيَّان لا ذمٌّ عليك ولا حمدُ
وانت امرؤ لا الجود منك سجية   فتعطي ولا يعدى على النائل الوجدُ

ثم ركض فرسَهُ فذهب

عُمر بن ابي رَبيعة وابن سُرَيج ويزيد بن عبد الملك

حدَّث ابن الكلبي قال : حجّ عُمر بن ابي ربيعة في عام من الاعوام على نجيب لهُ مخضوب بالحناء مشهر الرحل بقراب مذهب ومعهُ عبيد بن سريج على بغلة لهُ شقراء . ومعهُ غلامه جناد يقود فرسًا لهُ ادهم اغرّ محجلًا وكان عمر ابن ابي ربيعة يُسميه الكوكب في عنقهِ طوق ذهب . ومع عمر جماعة من حشمهِ وغلمانهِ ومواليه وعليهِ حلة موشّاة يمانية وعلى ابن سريج ثوبان هرويان مرتفعان . فلم يمرّوا باحد الّا عجب من حسن هيئتهم وكان عمر من أعطر النـاس

واحسنهم هيئةً . فخرجوا من مكة يوم التروية بعد العصر يريدون مِنَى

ثم قال عمر لابن سريج : يا ابا يحيى اني فكرتُ في رجوعنا مع العشية الى مكة مع كثرة الزحام والغُبار وجلَبة الحاج فثقُل عليَّ . فهل لك ان تروح رَواحًا طيبًا معتزلًا فنرى فيهِ من راح صادرًا الى المدينة من اهلها ونرى اهل العراق واهل الشام ونتعلَّل في عشيتنا وليلتنا ونستريح . قال : وأنَّى ذلك يا ابا الخطَّاب . قال : على كثيب أَبي سجرة(١) المشرف على بطن ياجج(٢) بين مِنًى وسَرِفٍ فنبصر مرور الحاج بنا ونراهم ولا يرونا . قال ابن سريج : طيب والله يا سيدي . فدعا بعض خدمهِ فقال : اذهبوا الى الدار بمكة فاحملوا لنا سفرة واحملوها مع شراب الى الكثيب حتى اذا أَبردْنا ورمينا الجمرة صرنا اليكم . (قال) والكثيب على خمسة اميال من مكة مشرف على طريق المدينة وطريق الشام وطريق العراق وهو كثيب شامخ مشيد واعلاه منفرد عن الكثبان . فصارا اليهِ فاكلا وشربا فلما انتشيا اخذ ابن سريج الدُّفَّ فنقرهُ وجعل يغني وهم ينظرون الى الحاج فلما امسيا رفع ابن سريج صوتهُ فغنَّى في شعرٍ قالهُ عمر . فسمعهُ الركبان فجعلوا يصيحون بهِ : ياصاحب الصوت اما تتقي الله قد حبستَ الناس عن مناسكهم . فيسكت قليلًا حتى اذا مضوا رفع صوته وقد اخذ فيهِ الشراب فيقف آخرون . الى ان سرتْ قطعة من الليل فوقف عليهِ في الليل رجل على فرس عتيق عربي مرح مستنّ فهو كانَّهُ ثِمل حتى وقف باصل الكثيب وثنى رجله على قربوس سرجهِ ثم نادى : يا صاحب الصوت أَيسهُل عليك ان تردّ شيئًا مما سمعتهُ . قال : نعم ونعمةُ عينٍ . على ان تنزل وتجلس معنا . قال : انا اعجل

(١) وفي نسخة : كثيب آل شجرة

(٢) وفي نسخةٍ : ماجج

من ذلك فان اجملتَ وانعمتَ اعدتهُ وليس عليك من وقوفي شيء ولا مؤونة . فاعاد . فقال لهُ : باللهِ انت ابنُ سريج . قال : نعم . قال : حيَّاك الله . وهذا عمر ابن ابي ربيعة . قال : نعم . قال : حيَّاك الله يا ابا الخطاب . فقال لهُ : وانت فحيَّاك الله قد عرفتَنا فعرِّفنا نفسك . قال : لايمكنني ذلك . فغضب ابن سريج وقال : والله لوكنتَ يزيد بن عبد الملك لما زاد . فقال : انا يزيد بن عبد الملك . فوثب اليهِ عمر فاعظمهُ ونزل ابن سريج اليهِ فقبل ركابه . فقال لهُ : لولا اني اريد وداع الكعبة وقد تقدمني ثَقَلي وغلماني لأطلتُ المقام معك ولنزلت عندكم . ولكني اخاف ان يفضحني الصبح ولو كان ثقلي معي لما رضيت لك بالهوينا . ولكن خذ حلتي هذه وخاتمي ولا تُخدَع عنهما فانَّ شراءهما الف وخمسمائة دينار . فنزع حلته وخاتمه فدفعهما اليهِ ومضى يركض حتى لحق ثقله . فجاء بهما ابن سريج الى عمر فاعطاه اياهما وقال لهُ : انَّ هذين بك اشبه منهما بي فاعطاه عمر ثلثمائة دينار وغدا فيهما الى المسجد . فعرفهما الناس وجعلوا يتعجبون ويقولون كانَّهما والله حُلَّة يزيد بن عبد الملك وخاتمه ويسالون عمر عنهما فيخبرهم ان يزيد بن عبد الملك كساهُ ذلك

غناء ابن سريج في مرضهِ

قال اسحق : حدَّثني شيخ من موالي المنصور قال : قدِم علينا فتيان من موالي بني أُميَّة يريدون مكة فسمعوا معبدًا ومالكًا فأُعجبوا بهما . ثم قدموا مكة فسأَلوا عن ابن سريج فوجدوه مريضًا فاتوا صديقًا لهم فسأَلوه ان يُسمعهم غناءه فخرج معهم حتى دخلوا عليهِ فقالوا : نحن فتيان من قريش اتيناك مسلّمين

عليك واجبنا ان نسمع منك. فقال: انا مريض كما ترون. فقالوا: ان الذي نكتفي منك بهِ يسير. وكان ابن سريج اديباً طاهر الخُلق عارفاً باقدار الناس. فقال: ياجارية هاتي جلبابي وعودي فاتتهُ خادمة بخامة. فسدلها على وجههِ. وكان يفعل ذلك اذا تغنّى لقبح وجههِ. ثم اخذ العود فغنّاهم وارخى ثوبه على عينيهِ وهو يُغني حتى اذا اكتفوا القى عوده وقال: معذرة. فقالوا: نعم قد قبل الله عذرك فاحسن الله اليك ومسح ما بك. وانصرفوا يتعجبون مما سمعوا. فمرّوا بالمدينة منصرفين فسمعوا من معبد ومالك فجعلوا لايطربون لهما ولا يُعجبون بهما كما كانوا يطربون. فقال اهل المدينة: نحلف بالله لقد سمعتم بعدنا ابن سريج. قالوا: أجل لقد سمعناه فسمعنا ما لم نسمع مثلهُ قط ولقد بغّض إلينا ما بعده

ابن قيس الرُّقيّات وعبد الملك

قال عبيد الله بن قيسِ الرُقيّات: خرجتُ مع مصعب بن الزبير حين بلغهُ شخوص عبد الملك بن مروان اليهِ. فلمّا نزلَ مصعب بن الزبير بمَسكِن ورأى معالم الغدر ممّن معهُ دعاني ودعا بمال ومَناطق فملأ المناطق من ذلك المال والبسني منها وقال لي: انطلق حيث شئتَ فاني مقتول. فقلت لهُ: لا والله لا أَريم حتى أرى سبيلك. فاقمت معهُ حتى قُتل ثم مضيت الى الكوفة. فأوّل بيت صرت اليهِ دخلتهُ فاذا فيهِ امرأة لها ابنتان كانهما ظبيتان. فرقيت في درجة لها الى مَشرَبة فقعدت فيها فامرتْ لي المرأة بما احتاج اليهِ من الطعام والشراب والفرش والماء للوضوء. فاقمت كذلك عندها اكثر من حول

تقيم لي ما يصلحني وتغدو عليَّ في كل صباح فتسألني بالصباح والحاجة ولا تسألني مَن انا ولا اسالها مَن هي. وانا في ذلك اسمع الصياح فيَّ والجُعل. فلما طال بي المقام وفقدتُ الصياحَ فيَّ وغرِدت بمكاني غدتْ عليَّ تسالني بالصباح والحاجة. فعرّفتها أني قد غرِدت واحببْت الشخوص الى اهلي. فقالت لي: نأتيك بما تحتاج اليهِ ان شاء الله تعالى. فلما امسيتُ وضرب الليل بارواقه رقيتْ اليّ وقالت: اذا شئتَ. فنزلتُ وقد اعدّتْ راحلتين عليهما ما احتاج اليهِ ومعهما عبد واعطت العبد نفقة الطريق وقالت: العبد والراحلتان لك. فركبتُ وركب العبد معي حتى طرقت اهل مكة فدققت منزلي. فقالوا لي: من هذا. فقلت: عبيدالله بن قيس الرقيات. فولولوا وبكوا وقالوا: ما فارقنا طلبك الّا في هذا الوقت. فاقمت عندهم حتى اسحرتُ ثم نهضت ومعي العبد حتى قدمت المدينة فجئت عبد الله بن جعفر بن ابي طالب عند المساء وهو يعشي اصحابه. فجلست معهم وجعلت اتعاجم واقول: يا ريار بن طيار. فلمّا خرج اصحابه كشفت لهُ عن وجهي فقال: ابن قيس. فقلت ابن قيس. جئتك عائذاً بك. قال: ويحك ما اجدَّهم في طلبك واحرصهم على الظفر بك. ولكني ساكتب الى امّ البنين بنت عبد العزيز بن مروان فهي زوجة الوليد بن عبد الملك وعبد الملك ارق شيء عليها. فكتب اليها يسألها ان تشفع لهُ الى عمها وكتب الى ابيها يسالهُ ان يكتب اليها كتاباً يسالها الشفاعة. فدخل عليها عبد الملك كما كان يفعل وسالها هل من حاجة. فقالت: نعم لي حاجة. فقال: قد قضيتُ كلَّ حاجة لكِ الّا ابن قيس الرقيات. فقالت: لاتستثنِ عليَّ شيئاً. فنفح بيدهِ فاصاب خدّها. فوضعت يدها على خدّها. فقال لها: يااُبنتي ارفعي يدك فقد قضيتُ كل حاجة لكِ وان كانت ابن قيس الرقيات. فقالت: فانَّ حاجتي ابنَ قيس

الرقيات تؤمّنهُ . فقد كتب اليَّ أبي يسالني أن اسالك ذلك . قال : فهو آمن .
فمُريه يحضر مجلسي العشية . فحضر ابن قيس وحضر الناس حين بلغهم مجلس
عبد الملك . فاخَّر الإذن . ثم اذن للناس واخَّر اذن ابن قيس الرقيّات حتى
اخذوا مجالسهم . ثم اذن لهُ . فلما دخل عليهِ قال عبـد الملك : يا اهل الشام
أتعرفون هذا . قالوا : لا . فقال : هذا عبيد الله بن قيس الرقيات الذي يقول :

كيف نومي الى الفراش ولمَّا   تشمل الشأم غارة شعواء
تُذهِل الشيخ عن بنيهِ وتُبدي   عن خِدام العقيلة العذراء

فقالوا : يا امير المؤمنين اسقِنا دم هذا المنافق . قال : الآن وقد أمَّنتهُ وصار في
منزلي وعلى بساطي . قد اخَّرتُ الاذن لهُ لتقتلوه فلم تفعلوا . فاستاذنهُ ابن قيس
الرقيات ان ينشدهُ مديحهُ فاذن لهُ . فانشدهُ قصيدتهُ التي مطلعها :

عاد لهُ من كثيرةَ الطربُ   فعينهُ بالدموع تنسكبُ

حتى قال فيها :

ان الاغرَّ الذي أبوهُ أبو   م العاصي عليهِ الوقار والحجبُ
يعتدل التـاج فوق مفرقهِ   على جبين كأنهُ الذهبُ

فقال لهُ عبـد الملك : يا ابن قيس تمدحني بالتاج كأني من العجم وتقول
في مصعب :

انما مصعب شهـاب من   الله تجلّت عن وجههِ الظلماء
ملكهُ ملك عزّة ليس فيـهِ   جبَروت منـهُ ولا كبرياء

أمَّا الأمان فقد سبق لك ولكن والله لا تاخذ مع المسلمين عطاء ابدًا . (قال)
وقال ابن قيس الرقيات لعبد الله بن جعفر : ما نفعني اماني . تُركتِ حيًّا كميت
لا آخذ مع الناس عطاء ابدًا . فقال لهُ عبد الله بن جعفر : كم بلغت من السنّ

قال : ستين سنة . قال : فعُمرُ نفسك . قال : عشرين سنة من ذي قبل فذلك
ثمانون سنة . قال : كم عطاؤك . قال : الفـا درهم . فأمر لهُ باربعين الف درهم
وقال : ذلك لك عليَّ الى ان تموت على تعميرك نفسك . فعنـد ذلك قال
عبيد الله بن قيس الرقيات يمدح عبد الله بن جعفر :

تعدَّت بي الشهباء نحو ابن جعفرٍ   سواء عليها ليلها ونهـارُها
تزور امرءًا قد يعلم الله انَّهُ   تجود لهُ كف بعيد (١) غِرارُها
أتيناك نثني بالذي انت اهلهُ   عليك كما يثني على الروض جارُها
فوالله لولا ان أزور ابن جعفرٍ   لكان قليلًا في دمشق مزارُها
اذا متَّ لم يوصل صديق ولم تقُم   طريق من المعروف انت منارُها
ذكرتك ان فاض الفرات بارضنا   وفاض باعلى الرَّقَّتين (٢) بحارُها
وعندي مما خوَّل الله هجمـةٌ   عطاؤك منها شولها وعشارُها
مباركـة كانت عطاء مبارك   تمانح كبراها وتثني صغارُها

الحرث الغسَّاني وزهير بن جَناب

حدَّث أبو مسكين قال : كان الحرث بن مارية الغساني الجفني مُكرمًا
لزهير بن جناب الكلبي ينادمهُ ويحادثهُ . فقدم على الملك رجلان من بني نهد
ابن زيد يقال لهما حزن وسهل ابناء رزاح . وكان عندهما حديث من احاديث
العرب . فاجتباهما الملك ونزلا بالمكان الاثير منهُ . فحسدهمـا زهير بن جناب

(١) ويُروى : قليل
(٢) وفي نسخة : الرقمتين . وكلاهما اسم مكان مختلف

فقال : ايها الملك هما والله عينٌ لذي القرنين عليك وهما يكتبان اليهِ بعورتك وخلَلِ ما يَرَيان منك . قال : كلاَّ . فلم يزل بهِ زهيرٌ حتى أوغر صدره . وكان اذا ركب يبعث اليهما ببعيرين يركبان معهُ . فبعث اليهما بناقة واحدة . فعرفا الشرَّ . فلم يركب احدهما وتوقف . فقال لهُ الآخر :

فالّا تجللها يعالوك فوقها وكيف توقّي ظهر ما انت راكبهْ

فركبها مع اخيهِ . ومضى بهما فقُتلا . ثم بحث عن امرهما بعد ذلك فوجدهُ باطلًا فشتم زهيرًا وطرده . فانصرف الى بلاد قومهِ . وقدم رزاح ابو الغلامين الى الملك وكان شيخًا عالمًا مجرّبًا . فاكرمهُ الملك واعطاه دية ابنيه . وبلغ زهيرًا مكانُهُ فدعا ابنًا لهُ يقال لهُ عامر وكان من فتيان العرب لسانًا وبيانًا فقال لهُ : ان رزاحًا قد قدم على الملك فالحق بهِ واحتل في ان تكفينيه وقال لهُ : اذممني عند الملك ونل مني . واثّر بهِ آثارًا . فخرج الغلام حتى قدم الشام فتلطّف للدخول على الملك حتى وصل اليهِ فاعجبهُ ما رأى منهُ . فقال لهُ : من انت . قال : انا عامر بن زهير بن جناب . قال : فلا حيّاكَ الله ولا حيَّ اباكَ الغادر الكذوب الساعي . فقال الغلام : نعم فلا حيّاه الله . انظر ايها الملك ما صنع بظهري . واراه آثار الضرب . فقبل ذلك منهُ وادخلهُ في ندمائهِ . فبينما هو يحدّثهُ يومًا اذ قال لهُ : ايها الملك انَّ أبي وان كان مسيئًا فلست أدع ان اقول الحق . قد والله نصحك ابي . ثم انشأ يقول :

فيالك نصحة لَما نذقها اراها نصحة ذهبت ضلالا

ثم تركهُ اياما . وقال لهُ بعد ذلك : ايها الملك ما تقول في حية قد قُطع ذنبها وبقي راسها . قال : ذاك ابوك وصنيعهُ بالرجلين ما صنع . قال : أبيت اللعن والله ما قدم رزاح الّا ليثأر بهما . فقال لهُ : وما آية ذلك . قال : اسقهِ الخمر ثم ابعث

اليهِ عينًا ياتك بخبره . فلما انتشى صرفهُ الى قبته ومعهُ بنتٌ لهُ وبعث عليهِ عيونًا . فلماَّ دخل قبتهُ قامت اليهِ ابنته تسانده فقال :

دعيني من سِنادكِ انَّ حزنًا وسهلًا ليس بعدهما رقودُ
الا تسلين عن شبليكِ ماذا اصابهما اذا اهترش الاسودُ
فاني لو ثأرت المرء حزنًا وسهلًا قد بدا لكِ ما اريدُ

فرجع القوم الى الملك فاخبروه بما سمعوا . فأمر بقتل النهدي رزاح وردّ زهيرًا الى موضعهِ

طُرَيح بن اسمعيل الثقفي والوليد بن يزيد

اخبر المدائني قال : كان الوليد بن يزيد يكرم طريحًا وكانت لهُ منهُ منزلة قريبة ومكانة وكان يدني مجلسه وجعلهُ اوّل داخل وآخر خارج ولم يكن يصدر الّا عن رايهِ . فاستفرغ مديحه كلّه وعامّة شعره فيهِ . فحسدهُ ناس من اهل بيت الوليد . وقدم حماد الراوية على التفيئة الشامَ . فشكوا ذلك اليهِ وقالوا : والله لقد ذهب طريح بامير المؤمنين فما نالنا منهُ ليل ولا نهار . فقال حماد : ابغوني مَن ينشد امير المؤمنين بيتين من شعر فأُسقط منزلتهُ . فطلبوا الى الخصيّ الذى كان يقوم على راس الوليد وجعلوا لهُ عشرة آلاف درهم على ان ينشدهما امير المؤمنين في خلوة . فاذا سألهُ : مِن قول مَن ذا قال : من قول طريح . فاجابهم الخصيّ الى ذلك وعلّموه البيتين . فلماَّ كان ذات يوم دخل طريح على الوليد وفتح الباب وأذن للناس فجلسوا طويلًا ثم نهضوا وبقي طريح مع الوليد وهو وليُّ عهد ثم دعا بغدائهِ فتغديا جميعًا . ثم انَّ طريحًا خرج

وركب الى منزلهِ وترك الوليد في مجلسهِ ليس معهُ احد. فاستلقى على فراشهِ واغتنم الخصيّ خلوته فاندفع ينشد:

سيري ركابي الى من تسعدين بهِ … فقد اقمتِ بدار الهُون ما صلحا

سيري الى سيد سمح خلائقه … ضخم الدسيعة قرم يحمل المِدَحا

فاصغى الوليد الى الخصيّ بسمعهِ. واعاد الخصيّ غير مرّة. ثم قال الوليد: ويحك ياغلام مِن قول مَن هذا. قال: من قول طريح. فغضب الوليد حتى امتلأ غيظاً ثم قال: وا لهفا على امّ لم تلدني قد جعلتهُ اوّل داخل وآخر خارج ثم يزعم ان هشاماً يحمل المِدَحا ولا احملها. ثم قال: عليَّ بالحاجب. فاتاه. فقال: لا اعلم ما اذنت لطريح ولا رايتهُ على وجه الارض فان حاولك فاخطفهُ بالسيف. فلما كان بالعشي وصليت العصر جاء طريح للساعة التي كان يؤذن لهُ فيها فدنا من الباب ليدخل فقال لهُ الحاجب: وراءك. فقال: مالك هل دخل على وليّ العهد احد بعدي. قال: لا ولكن ساعة ولّيتَ من عنده دعاني فامرني ان لا آذن لك وان حاولتني في ذلك خطفتك بالسيف. فقال: لك عشرة آلاف وأذن لي في الدخول عليهِ. فقال لهُ الحاجب: والله لو اعطيتني خراج العراق ما اذنت لك في ذلك وليس لك من خير في الدخول عليهِ فارجع. قال: ويحك هل تعلم من دهاني عنده. قال الحاجب: لا والله لقد دخلت عليهِ وما عندهُ احد ولكن الله يُحدث ما يشاء في الليل والنهار. (قال) فرجع طريح واقام بباب الوليد سنة لا يخلُص اليهِ ولا يقدر على الدخول عليهِ واراد الرجوع الى بلدهِ وقومهِ. فقال: والله ان هذا العجز بي ان ارجع من غير ان القى وليّ العهد فاعلم مَن دهاني عنده. ورأى اناساً كانوا لهُ اعداء قد فرحوا بما كان من امرهِ فكانوا يدخلون على الوليد ويحدّثونهُ ويصدر عن

رأيهم. فلم يزل يلطف بالحاجب ويمنّيه حتى قال لهُ الحاجب: امّا اذ اطلت المقام فاني اكره ان تنصرف على حالك هذه ولكنّ الامير اذا كان يوم كذا وكذا دخل الحمّام ثم أمرَ بسريره فأُبرزَ وليس عليهِ يومئذٍ حجاب. فاذا كان ذلك اليوم اعلمتك فتكون قد دخلتَ عليهِ وظفرتَ بحاجتك واكون انا على حال عذر. فلما كان ذلك اليوم دخل الحمام وأمر بسريره فأُبرز وجلس عليهِ واذن للناس فدخلوا عليهِ والوليد ينظر الى مَن اقبل. وبعث الحاجب الى طريح فاقبل وقد تتامّ الناس. فلمّا نظر الوليد اليهِ من بعيد صرف عنهُ وجههُ واستحى ان يردّه من بين الناس. فدنا فسلم. فلم يردّ عليهِ السلام. فقال طريح يستعطفهُ ويتضرّع اليهِ:

نام الخليُّ من الهموم وبات لي … ليلٌ اكابدهُ وهمٌّ مضلعُ

وسهرت لا أسري ولا في لذة … أرَقي واغفلَ ما لقيتُ الهُجَّعُ

ابغي وجوه مخارجي من تهمة … ازِمتْ عليَّ وسدَّ منها المطلعُ

جزعاً لمعتبة الوليد ولم اكن … من قبل ذاك من الحوادث اجزعُ

يا ابن الخلائف ان سخطك لامرئ … امسيتَ عصمتهُ بلاءٌ مفظعُ

فلأنزعنّ عن الذي لم تهوه … ان كان لي ورأيت ذلك منزعُ

فاعطف فداك ابي عليَّ توسعاً … وفضيلة فعلى الفضيلة تتبعُ

فلقد كفاك وزاد ما قد نالني … ان كنتَ لي ببلاء ضرٍّ تقنعُ

سِمةً لذاك عليَّ جسمٌ شاحب … بادٍ تحسّرهُ ولونٌ اسفعُ

(قال) فقرّبهُ وادناه وضحك اليهِ وأعاد لهُ ما كان عليهِ

مُداعبة الأحوص لعبد الحكم الجُمَحيّ

كان عبد الحكم بن عمرو بن عبد الله بن صفوان الجمحي قد اتّخذ بيتاً فجعل فيـهِ شطرنجات ونردات وقِرقات ودفاتر فيها من كل علم . وجعل في الجدار اوتادًا فمن جاءَ علّق ثيابهُ على وتد منها ثم جرَّ دفترًا فقرأهُ او بعض ما يُلعَب بهِ فلعب بهِ مع بعضهم . (قال) فانَّ عبـد الحكم يومًا لفي المسجد الحرام اذا فتى داخل من باب الحنّاطين باب بني جُمَح عليهِ ثوبان معصفرانِ مدلوكان وعلى اذنهِ ضغث ريحان وعليهِ درع الخلوق فاقبل يشقّ الناسَ حتى جلس الى عبد الحكم . فجعل مَن رآهُ يقول : ماذا صبَّ عليهِ من هذا . الم يجدْ احدًا يجلس اليهِ غيره . ويقول بعضهم : فايّ شيء يقولهُ لهُ عبد الحكم . هو اكرمُ من ان يجبَهَ مَن يقعد اليهِ . فتحدّث اليهِ ساعة . ثم اهوى فشبك يده في يد عبد الحكم وقام يشقّ المسجدَ حتى خرج من باب الحناطين . (قال عبد الحكم) فقلت في نفسي : ماذا سلّط الله عليَّ منك . رآني معك نصفُ النـاس في المسجد ونصفهم في الحناطين . حتى دخل مع عبد الحكم بيته فعلّق رداءَهُ على وتد وحلّ ازرارهُ واجترّ الشطرنج وقال : مَن يلعب . فبينما هو كذلك اذ دخل الابجر المغني فقال لهُ : أيْ زنديق ما جاءَ بك الى ههنا . وجعل يشتمهُ ويمازحهُ . فقال لهُ عبد الحكم : أتشتم رجلًا في منزلي . فقال : أتعرفهُ هذا الاحوص . فاعتنقهُ عبد الحكم وحيّاه . فقال : امّا اذ كنتَ الاحوص فقـد هان عليَّ ما فعلت .

خبر المُطرَف

حدّثَ عبد الله بن عيسى الماهاني قال : دخلت يومًا على اسحق بن ابراهيم الموصلي في حاجة فرأيت عليهِ مُطرف خز أسود ما رأيت قط احسن منـهُ . فتحدّثنا الى ان اخذنا في امر المطرف فقال : لقد كانت لكم ايام حسنة ودولة عجيبة فكيف ترى هذا . فقلت لهُ : ما رأيت مثلهُ . فقال : انَّ قيمته مائة الف درهم ولهُ حديث عجيب . فقلت لهُ : ما اقوّمهُ الّا نحوًا من مائة دينـار . فقال اسحق : اسمع حديثه . شربنـا يومًا من الايام فبتُّ وانا مُثخن . فانتبهت لرسول محمد الامين فدخل عليَّ فقال لي : يقول لك امير المؤمنين عجّـل اليَّ . وكان بخيلًا على الطعام . فكنت آكل قبل ان اذهب اليه . فقمت فتسوَّكت واصلحت امري . واعجلني الرسول عن الغداء . فدخلت عليهِ وابراهيم بن المهدي جالس عن يمينهِ وعليهِ هذا المطرف وجبّة خز دكناء . فقال لي محمد : يا اسحق تغدّيت . فقلتُ : نعم ياسيـدي . فقال : انك لَنهم أهذا وقت غداء . فقلت : أصبحتُ يا امير المؤمنين وبي خمار فكان ذلك ممّا جرّأني على الاكل . فقال لهم : كم شربنا . فقالوا : ثلاثة أرطال فقال اسقوه مثلها . فقلت : ان رأيت ان تفرّقها عليَّ . فقال : تُسقى رطلين ورطلًا . فدُفع اليَّ رطلان فجعلت اشربهما وانا اتوهم ان نفسي تسيل معهما . ثم دُفع اليَّ رطل آخر فشربتهُ فكأنَّ شيئًا انجلى عنّي فقال : غنّني

كُليبٌ لعمري كان اكثر ناصرًا   وايسر جرمًا منك ضُرّج بالدم

فغنّيتهُ . فقال : أحسنتَ . وطرب ثم قام فدخل . فقمت في اثر قيـامهِ فدعوت غلامًا لي فقلت : اذهب الى منزلي وجئني بزِماوَرْدَتَيْنِ ولفّهما في منديل

واذهب ركضاً وعجّل. فمضى الغلام فجاءني بهما. فلمّا وافى الباب ونزل عن الدابة انقطع البِرذَون فنفق من شدّة ما ركضه. فادخل اليَّ الزُّماوَرْدَتَين فاكلتهما ورجعت الى نفسي وعدت الى مجلسي. فقال لي ابراهيم ان لي اليك حاجةً احب ان تقضيها لي. فقلت: انما انا عبدك وابن عبدك قل ما شئتَ قال: تردّ عليَّ :

«كليب لعمري كان اكثر ناصرًا» وهذا المطرف لك. فقلت: انا لا آخذ منك مطرفاً على هذا ولكني اصير اليك الى منزلك فالقيه على الجواري واردّه عليك مرارًا. فقال: أحب ان تردّهُ عليَّ الساعة وان تاخذ هذا المطرف فانهُ من لبسك ومن حاله كذا وكذا. فرددت عليهِ الصوت مرارًا حتى أخذهُ. ثم سمعنا حركة محمد فقمنا حتى جاء فجلس. ثم قعدنا فشرب وتحدّثنا فغنّاه ابراهيم «كليب لعمري كان اكثر ناصرًا» فكأني والله لم اسمعهُ قبل ذلك حسناً. وطرب محمد طربًا عجيباً وقال: أحسنت والله ياعمّ. اعطِ ياغلام عشر بدر لعمّي الساعة. فجاءوا بها فقال: ياامير المؤمنين ان لي فيها شريكاً. قال: ومن هو. قال: اسحق. قال: وكيف. قال: انما اخذتهُ الساعة منهُ لمّا قمتَ. فقلت لهُ: ولِمَ. أضاقتِ الاموال على امير المؤمنين حتى يشركك فيما تُعطاه. قال: أمّا انا فاشركك وامير المؤمنين أعلم. فلمّا انصرفنا من المجلس اعطاني ثلاثين الفاً واعطاني هذا المطرف فهذا أخذ بهِ مائة الف درهم وهي قيمتهُ

الاقيشر وامّ حنين

كان الاقيشر لايسأل احدًا اكثر من خمسة دراهم يجعل درهمين في كراء بغل الى الحيرة ودرهمين للشراب ودرهمًا للطعام. وكان لهُ جار يكنّى ابا المضاء لهُ بغل يكريه وكان يعطيه درهمين ويأخذ بغلهُ فيركبهُ الى الحيرة حتى يأتي بيت الخمّار فينزل عندهُ ويربطهُ بلجامهِ وسرجهِ. فيقال انهُ أعطى ثمنهُ في الكراء. ثم يجلس فيشرب حتى يمسي ثم يركبهُ وينصرف. (قال) فاتى يومًا من الايام بيت الخمّار الذي كان ياتيه فلم يصادفهُ. فجعل ينتظرهُ. ودخلت الدار امرأةٌ عِبادية فقال لها: ما فعل فلان. قالت: مضى في حاجته وانا امرأتهُ فما تُريد. قال: نبيذًا. قالت: بكم. قال: بدرهمين. قالت: هلمَّ درهميك وانتظرني. قال: لا. قالت: فذلك اليك. ومضت وتبعها. فدخلت دارًا لها بابان وخرجتْ من احدهما وتركته. فلمّا طال جلوسه خرج اليهِ بعض اهل الدار. فقالوا: وما يجلسك. فاخبرهم. فقالوا لهُ: تلك امرأة محتالة من العباديين. فعلم انهُ قد خُدع فانصرف وانشأ يقول:

لم يُغرَّر بذات خفٍّ سوانا   بعد اخت العباد أمّ حنينِ
وعدتنا بدرهمين نبيذًا   أو طلاء معجّلًا غير دَينِ
ثم ألوتْ بالدرهمين جميعًا   ياالقومي لضيعة الدرهمينِ

(قال) فجاء حنين الخمّار فقال لهُ: ياهذا ما أردتَ بهجائي وهجاء امي. قال: اخذتْ مني درهمين ولم تعطني شرابًا. قال: والله ما تعرفك امي ولا اخذت منك شيئًا قط فانظر الى امي فان كانت هي صاحبتك غرمتُ لك الدرهمين. قال: لاوالله ما اعرف غيرأمّ حنين. ما قالت لي الّا ذلك. ولا اهجو الّا امّ

حنين وابنها . فان كانت امّك فاياها اعني وان كانت ام حنين اخرى فاياها اعني . فقال : اذًا لايفرق النـاسُ بينهما . قال : فما عليَّ اذن . أترى درهمين يضيعان . فقال لهُ : هاتِ اذًا اغرمهما لك واقيم ما تحتاج اليــهِ . لابارك الله لك . ففعل

الحَفصي المعزِّف وعبد الله بن موسى الهادي

أخبرَ الحفصيّ المعزف قال : دعاني عبد الله بن موسى يومًا ودعاني اخوه اسمعيل . فآثرت اسمعيل لِما كان في عبد الله من العربدة . فلم نشعر الّا بعبد الله قد وافانا وقت العصر على برذون اشهب متقلدًا سيفًا وهو سكران . فلمّا رايناهُ تطايرنا في الحُجَر . فنزل عن دابتهِ وجلس . وجثا اسمعيل بين يديهِ اجلالًا لهُ وقال لهُ : ياسيّدي قد سررتني بتفضلك ومصيرك اليَّ . قال : دعني من هذا . مَن عندك . قال : فلان وفلان . فعدَّ جماعةً مَن كان عنده . قال لهُ : هاتهم . فدعا بنا فخرجنـا وقد متنا فزعًا . فأقبل عليَّ من بينهم فقال لي : ياحفصي أبعثُ اليك ثلاثة ايام تباعـًا فتدَعُني وتجيء الي اسمعيل . وضرب بيدهِ الى سيفهِ . فقـام اسمعيل بيني وبينهُ وقال : نعم يجيئني ويدعك لانَّهُ لاينصرف من عندك الّا بشجة او عربدة مع حِرمان . ولا ينصرف من عندي الّا ببِرّ مع خلعة ووعدٍ محصّل . أفتلومهُ على ذلك . فكفَّ عبد الله . وكان شديد العربدة وقام وانصرف

حِلم عبدالله بن موسى الهادي

حدَّث دلشاد غلام عبد الله بن موسى قال : كنت انا وثقيف الخادم الاسود مولى الفضل بن الربيع نُضارب مولاي عبد الله بن موسى وقد اخذ النبيذ من الجماعة . فضرب عبدُ الله وثقيف صوتًا فاختلفا فيهِ وتشاجرا . فقال عبد الله : كذا اخذتهُ من منصور زلزل . وقال ثقيف : كذا اخذتهُ منــه . وطال تشاجرهما فيهِ . وكان ثقيف معربدًا يذهب عقلهُ من ادنى شيءٍ يشربهُ وكان عبدالله ايضًا معربدًا . فغضب ثقيف ورفع العود وهو لايعقل فضرب بهِ راس عبد الله بن موسى فطوَّقهُ اياه . وابتدر خدم عبد الله . فقـال لهم عبد الله بن موسى : لاتمسوهُ وأخرجوا العود من عنقي . فاخرجوه . وكان عبدالله ابن موسى أشدَّ خلق الله عربدةً ايضًا . فرُزق في ذلك اليوم حلمًا لم يُرَ مثلهُ وقال لخدمهِ : ان قتلتهُ قتلت كلبًا وتحدَّثَ الناس بذلك . ولكن اخلعوا عليــهِ وهبوا لهُ ولا يدخل منزلي ابدًا

المأمون في دار بعض الامويّين بدمشق

حدَّث محمد بن احمد المكّى المرتجل قال : حدَّثني أبي قال : دخلت الى علوية أعوده من علَّة اعتلها ثم عوفي منها . فجرى حديث المامون فقال : كدت علِم اللهُ اذهبُ دفعةً ذات يوم وانا معهُ لولا ان الله تعالى سلمني ووهب لي حلمه . فقلت : كيف كان السبب في ذلك . فقال : كنت معهُ لمّا خرج الى الشام فدخلنا دمشق فطُفنا فيها وجعل يطوف على قصور بني أُميَّــة ويتَّبع آثارهم . فدخل صحنًا من صحونهم فاذا هو مفروش بالرخام الاخضر كلّهُ وفيهِ

بركة ماء يدخلها ويخرج منها من عين تصبُّ اليها . وفي البركة سمك وبين يديها
بستان على اربعة زواياه أربع سروات كانها قُصّتْ بمقراضٍ من التفافها
أحسن ما رايت من السروات قط قدًّا وقدرًا . فاستحسن ذلك وعزم على
الصبوح وقال : هاتوا لي الساعة طعاماً خفيفاً . فأُتي بهِ بين ماء وورد . فاكل
ودعا بشرابٍ واقبل عليَّ وقال : غنّني ونشطني . فكأنَّ الله عزَّ وجلَّ أنساني
الغناء كله الّا هذا الصوت :

لو كان حولي بنو أُميّة لم تنطق رجالٌ أراهمُ نطقوا

فنظر اليَّ مغضباً وقال : عليك وعلى بني أُميّة لعنة الله . ويلك أقلتُ لك
سُؤني أو سرّني . الم يكن لك وقت تذكر فيهِ بني أُميّة الّا هذا الوقت تُعرّض
بي . فتحيّلت عليهِ وعلمت اني قد لغطت فقلت : أتلومني على ان اذكر بني
أُميّة . هذا مولاكم زرياب عندهم يركب في مائتي غلام مماوك له ويملك ثلثمائة
الف دينار وهبوها له سوى الخيل والضياع والرقيق . وانا عندكم أموت جوعاً
فقال : او لم يكن لك شيء تذكرني بهِ نفسك غير هذا . فقلت : هكذا حضرني
حين ذكرتهم . فقال : اعدل عن هذا وتنبّه على ارادتي . فأنساني الله كلَّ شيء
أُحسنهُ الّا هذا الصوت :

الحَيْن ساق الى دمشق ولم اكن ارضى دمشق لاهلنا بلدا

فرماني بالقدح فأخطأني فانكسر القدح . وقال : قم عنّي الى لعنة الله وحرّ سقر .
وقام فركب . فكانت والله تلك الحال آخر عهدي بهِ حتى مرض ومات .
(قال) ثم قال لي : يا ابا جعفر كم تراني احسن اغني ثلاثة آلاف صوت
اربعة آلاف صوت خمسة آلاف صوت . انا والله اغني اكثر من ذلك .
ذهب علمَ الله كُلّه حتى كأنّي لم اعرف غير ما غنّيت . ولقد ظننت انهُ لو

كانت لي الف روح ما نجت منهُ واحدة منها . ولكنّهُ كان رجلاً حليماً
وكان في العمر بقيّة

العود المشوّش الأوتار

حدّث علوية الاعسر قال : تناظر المغنّون يوماً عند الواثق فذكروا الضُرّاب
وحذقهم . فقدّم اسحقُ زلزلاً على ملاحظ . وللاحظ في ذلك الرئاسة على
جميعهم . فقال لهُ الواثق : هذا حيف وتعدٍّ منك . فقال اسحق : يا امير المؤمنين
اجمع بينهما وامتحنهما فانَّ الامر سينكشف لك فيهما . فأمر بهما فأحضرا .
فقال لهُ اسحق : ان للضرّاب اصواتاً معروفة . أفأمتحنهما بشيء منها . قال أجل
افعل . فسمّى ثلاثة اصواتٍ كان اولها « بكيت حذار البين علماً بما الذي »
فضربا عليهِ . فتقدّم زلزل وقصّر عنهُ ملاحظ . فعجب الواثق من كشفهِ عمّا
ادّعاه في مجلس واحد . فقال لهُ ملاحظ : فما بالهُ يا امير المؤمنين يحيلك على
الناس ولِمَ لايضرب هو . فقال : يا امير المؤمنين انهُ لم يكن احد في زماني
اضرب منّي . الّا انكم أعفيتموني فتفلّتَ مني . وعلى ان معي بقية لايتعلق بها
احد من هذه الطبقة . ثم قال : ياملاحظ شوّش عودك وهاتهِ . ففعل ذلك
ملاحظ . فقال : يا امير المؤمنين هذا يخلط الاوتار تخليط متعنّتٍ فهو لا يألو ما
أفسدها . ثم اخذ العودَ فجسّهُ ساعةً حتى عرف مواقعه فغنّى ثم قال :
يا ملاحظ غنِّ ايَّ صوتٍ شئتَ . فغنّى ملاحظ صوتاً وضرب عليهِ اسحق
بذلك العود الفاسد التسوية . فلم يُخرجهُ عن لحنهِ في موضعٍ واحد حتى
استوفاه عن نقرة واحدة ويدهُ تصعد وتنحدر على الدساتين . فقال لهُ الواثق :

لا والله ما رأيت مثلك ولا سمعت بهِ. اطرح هذا على الجواري. فقال: هيهات
يا امير المؤمنين هذا شيء لاتعرفهُ الجواري ولا يصلح لهنَّ. انما بلغني انَّ الفهليذ
ضرب يومًا بين يدي كسرى فأحسنَ فحسدَهُ رجل من حُذاق اهل صنعتهِ
فترقَّبهُ حتى قام لبعض شانهِ ثم خالفهُ الى عوده فشوَّش بعض اوتارهِ. فرجع
فضرب وهو لايدري. والملوك لا تُصلَح في مجالسها العيدانُ. فلم يزل يضرب
بذلك العود الفاسد الى ان فرغ ثم قام على رجلهِ فاخبر الملك بالقصة. فامتحنَ
العودَ فعرف ما فيهِ ثم قال: زه وزه وزهانِ زه. ووصله بالصلة التي كان يصل
بها مَن خاطبه هذه المخاطبة. فلمَّا تواطأتِ الرواية بهذا أخذتُ نفسي ورُضتها
عليهِ وقلت لاينبغي ان يكون الفهليذ اقوى على هذا مني. فما زلت استنبطهُ
بضعَ عشرة سنة حتى لم يبقَ في الارض موضع على طبقة من الطبقات الَّا
وانا اعرفُ نغمتهُ كيف هي والمواضع التي يخرج النغم كلُّها منهُ فيها من
أعاليها الى اسافلها وكل شيء منها يجانس شيئًا غيره كما اعرف ذلك في مواضع
الدساتين. وهذا شيء لاتغني بهِ الجواري. قال لهُ الواثق: صدقت ولئن متَّ
لتموتنَّ هذه الصناعة معك. وامر لهُ بثلاثين الف درهم

هشام وحماد الراوية

قال حمَّاد الراوية: كان انقطاعي الى يزيد بن عبد الملك. فكان هشام
يجفوني لذلك دون سائر اهلهِ من بني أُميـة في ايام يزيد. فلمَّا مات يزيد
وأفضتِ الخلافة الى هشام خفتهُ فمكثتُ في بيتي سنةً لا اخرج الَّا لمن اثق
بهِ من اخواني سرًّا. فلمَّا لم اسمع احدًا يذكرني سنةً أمنتُ فخرجت فصلّيت

الجمعة ثم جلست عند باب الفيل. فاذا شُرَطيَّانِ قد وقفـا عليَّ فقالا لي:
يا حماد أَجبْ الامير يوسف بن عمر. فقلت في نفسي: مِن هذا كنت احذر.
ثم قلت للشرطيَّينِ: هل لكما ان تدعاني آتي اهلي فأُودّعهم وداعَ مَن
لاينصرف اليهم ابدًا ثم اصير معكما اليهِ. فقـالا: ما الى ذلك من سبيل.
فاستسلمت في ايديهما وصرت الى يوسف بن عمر وهو في الايوان الاحمر.
فسلَّمت عليهِ فردَّ عليَّ السلام ورمى اليَّ كتابًا فيهِ: بسم الله الرحمن الرحيم.
من عبد الله هشام امير المؤمنين الى يوسف بن عمر. امَّا بعدُ فاذا قرأتَ كتابي
هذا فابعث الى حماد الراوية من يأتيك بهِ غير مروَّع ولا متعتعٍ وادفع اليـهِ
خمسمائة دينار وجملًا مَهريًّا يسير عليهِ اثنتَي عشرة ليلة الى دمشق. فاخذت
الخمسمائة الدينار ونظرت فاذا جمل مرحول فوضعت رجلي في الغَرْز وسرت
اثنتي عشرة ليلة حتى وافيت باب هشام. فاستأذنت فاذن لي فدخلت عليهِ
في دارٍ قوراء مفروشة بالرخام وهو في مجلس مفروش بالرخام وبين كلّ
رخامتين قضيب ذهب وحيطانهُ كذلك وهشام جالس على طنفسة حمراء
وعليهِ ثياب خز حُمر وقد تضمَّخ بالمسك والعنبر وبين يديه مسك مفتوت في
اواني ذهب يقلبهُ بيدهِ فتفوح روائحهُ. فسلّمت فردَّ عليَّ واستدناني. فدنوتُ
حتى قبَّلت رجله. واذا جاريتان لم ارَ قبلهما مثلهما في أُذُني كلّ واحدة منهما
حلقتانِ من ذهب فيهما لؤلؤتان تتوقَّدان. فقال لي: كيف انت ياحماد
وكيف حالك. فقلت: بخير يا امير المؤمنين. قال: أتدري فيمَ بعثتُ اليك.
قلت: لا. قال: بعثت اليـك لبيتٍ خطر ببالي لم ادرِ مَن قالهُ. قلت: وما
هو. فقال:

فدعوا بالصَّبوح يومًا فجاءت   قينةٌ في يمينها ابريقُ

قلت: هذا يقولهُ عدي بن زيد في قصيدة لهُ. قال فأنشدنيها فانشدتهُ:

فدعوا بالصبوح يومًا فجاءت   قينةٌ في يمينها ابريقُ
قدَّمتهُ على عقارٍ كعين الدْ   يك صفَّى سلافَها الراوُوقُ
مُرَّةٌ قبل مزجها فاذا ما   مُزِجت لذَّ طعمُها مَن يذوقُ
وطفت فوقها فواقعُ كالدرْ   م صِغارٌ يُثيرُها التصفيقُ
ثم كان المزاج ماءَ سماءٍ   غيرَ ما آجنٍ ولا مطروقُ

(قال) فطرب ثم قال: أحسنتَ واللهِ يا حمَّاد. يا جارية اسقيه. فسقتني شربةً ذهبت بثلث عقلي. وقال: أعِد. فاعدتُ فاستخفَّهُ الطربُ حتى نزل عن فرشهِ. ثم قال للجارية الاخرى: اسقيه. فسقتني شربةً ذهبتْ بثلث عقلي. فقلت: ان سقتني الثالثة افتضحت. فقال: سَلْ حوائجك. فقلت: كائنةً ما كانت. قال: نعم. قلت: احدى الجاريتَين. فقال لي: هما جميعًا لك بما عليهما وما لهما. ثم قال للاولى: اسقيه. فسقتني شربةً سقطتُ معها فلم اعقل حتى أصبحتُ فاذا بالجاريتين عند راسي واذا عدَّةٌ من الخدم مع كلٍ واحدٍ منهم بدرةٌ. فقال لي احدهم: امير المؤمنين يقرأُ عليك السلام ويقول لك: خذ هذه فانتفع بها. فاخذتها والجاريتين وانصرفت

ابن هَرْمة وعبد الواحد بن سليمان

حدَّث عبد الله بن ابراهيم الجمحي قال: قلت لابن هرمة: أتمدحُ عبد الواحد بن سليمان بشعرٍ ما مدحتَ بهِ غيرَهُ فتقول فيهِ هذا البيت:

وجدنا غالبًا كانت جناحًا   وكان ابوك قادمةَ الجناحِ

ثم تقول فيها:

اعبدَ الواحدِ الميمون انّي   أغصُّ حذارَ سخطك بالقَراحِ

فبأي شيءٍ استوجبَ ذلك منك. فقال: إني اخبرك بالقصة لِتعذرني. اصابتني أزمةٌ ومحنة بالمدينة فاستنهضتني بنتُ عمّي للخروج فقلت لها: ويحكِ انهُ ليس عندي ما يُقِلُّ جناحي. فقالت: انا أُنهضك بما امكنني. وكانت عندي نابٌ لي فنهضت عليها نُجهد النُّوَّام ونؤذي السُّمَّار وليس من منزل انزلهُ الَّا قال الناس: ابن هرمة. حتى دفعتُ الى دمشق فأويتُ الى مسجد عبد الواحد في جوف الليل. فجلست فيهِ انتظرهُ الى ان نظرتُ الى بزوغ الفجر. فاذا الباب ينفلق عن رجل كأنهُ البدر. فدنا فأذَّن ثم صلَّى ركعتين. وتأمَّلتهُ فاذا هو عبد الواحد. فقمتُ فدنوت منهُ وسلَّمت عليهِ. فقال لي: أبو اسحق. اهلًا ومرحبًا. فقلت لبَّيك بأبي انت وامي وحيَّاك الله بالسلام وقرَّبك من رضوانهِ. فقال: اما آن لك ان تزورنا فقد طال العهدُ واشتدَّ الشوق. فما وراءك. قلت: لا تسلني بأبي انت وامي فان الدهر قد أخنَى عليَّ فما وجدتُ مستغاثًا غيرك. فقال لا ترُعْ فقد وردتَ على ما تحبُّ ان شاءَ الله. فوالله اني لأُخاطبهُ فاذا بثلاثة فتيةٍ قد خرجوا كأنهم الاشطان. فسلَّموا عليهِ فاستدنى الاكبر منهم فهمس اليهِ بشيءٍ دوني ودون أخويه. فمضى الى البيت ثم رجع فجلس اليهِ فكلمهُ بشيءٍ دوني ثم ولَّى. فلم يلبثْ أنْ خرج ومعهُ عبد ضابط يحمل عِبئًا من الثياب حتى ضرب بهِ بين يديَّ. ثم همس اليهِ ثانيةً فعاد واذا بهِ قد رجع ومعهُ مثل ذلك فضرب بهِ بين يديَّ. فقال لي عبد الواحد: دنْ يا ابا اسحق فاني اعلم انك لم تصِرْ الينا حتى تفاقمَ صدعُك فخذ هذا

وارجع الى عيالك فوالله ما سألنا لك هذا الّا من أشداق عيالنا. ودفع اليَّ الف دينـــار وقال لي: قم فارحل فأَغثْ مَن وراءَك. فقمت الى الباب فلمّا نظرتُ الى ناقتي ضقتُ. فقـــال لي: تعال. ما ارى هذه مُبلِّغَتك. يا غلام قدِّم لهُ جملي فلانًا. فوالله لقد كنت بالجمل أشدَّ سرورًا مني بكلّ ما نلتهُ. فهل تلومني ان أَغصَّ حذارَ سخـــط هذا بالقراح ووالله ما انشدتهُ ليانئذٍ بيتًا واحدًا

حسَّان بن ثابت في مأدبة

أَخبر عبد الرحمن بن أَبي الزناد عن ابيـــهِ قال: سمعتُ خارجة بن يزيد يقول: دُعينا الى مأدبة في آل نبيط. قال خارجة: فحضرتها وحسَّان بن ثابت قد حضرها. فجلسنا جميعًا على مائدة واحدة وهو يومئذٍ قد ذهب بصرهُ ومعهُ ابنهُ عبد الرحمن. فكان اذا اتى طعامٌ سأَل ابنــهُ أَطعامُ يدٍ ام يدَينِ. يعني باليد الثَّريد وباليدين الشواء لانهُ ينهش نهشًا. فاذا قال: طعامُ يدَينِ أمسكَ يده. فلما فرغوا من الطعام اتوا بجاريتين احداهما رائقة والاخرى عزة فجلستا واخذتا مِزهرَيهما وضربتا ضربًا عجيبًا وغنَّتا بقول حسَّان:

انظرْ خليلي ببـــاب جِلِّقَ هل　　تُبصرُ دون البلقاء من احد

فاسمع حسَّان يقول: قد أَراني بها سميعًا بصيرًا » وعيناه تدمعانِ. فاذا سكتتا سكت عنهُ البكاء واذا غنَّتا بكى. فكنت أَرى ابنهُ عبـــد الرحمن اذا سكتتا يُشيرُ اليهما ان تغنيا فيبكي أَبوهُ فيقول ماحاجته الى ابكاء ابيه. (قال) فلما انقلب حسَّان من مأْدبة بني نبيط الى منزلهِ استلقى على فراشهِ ووضع احدى

رجليهِ على الاخرى وقال: لقد اذكرتني رائقة وصاحبتها أَمرًا ما سمعتهُ اذناي بُعيد لياليَّ جاهليتنا مع جبلة بن الايهم فتبسم ثم جلس فقـــال: لقد رأيت عشر قيان خمسٌ روميات يغنّينَ بالرومية بالبرابط وخمس يغنين غنـــاء اهل الحيرة وأهداهنَّ اليهِ اياس بن قبيصة. وكان يفِدُ اليهِ من يغنّيه من العرب من مكة وغيرها. وكان اذا جلس للشرب فُرش تحتهُ الآس والياسمين وأَصناف الرياحين وضرب لهُ العنبر والمسك في صِحاف الفضة والذهب وأُتي بالمسك الصحيح في صحاف الفضة وأُوقد لهُ العود المندَّى ان كان شاتيًا. وان كـــان صائفًا بطن بالثلج وأُتي هو واصحابه بكساء صيفية ينفصل هو واصحابهُ بها في الصيف. وفي الشتاء الفراء الفنك وما اشبهه. ولا والله ما جلست معـــهُ يومًا قط الّا خلع عليَّ ثيابهُ التي عليهِ في ذلك اليوم وعلى غيري من جلسائهِ. هذا مع حلم عمَّن جهل وضحك وبذل من غير مسألة. مع حسن وجه وحسن حديث. ما رأيت منهُ خنًى قط ولا عربدة. ونحن يومئذٍ على الشِرك. فجاء الاسلام فمحـــا الكفرَ وتركنا الخمر وما كره. وانتم اليوم مسلمون تشربون هذا النبيذ من التمر والفضيخ من الزهر والرطب. فلا يشرب احدكم ثلاثة اقداح حتى يذهب بعقلهِ ودينهِ فلا تنتهون

زُفَر بن الحرث يُجير خالد بن عتَّاب

انَّ الحجَّاج كان استعمل خالد بن عتاب على الرَّيّ وكانت امّه امّ وُلد. فكتب اليـــهِ الحجَّاج يسبّ امهُ ويقول: انت الذي هربتَ عن ابيك حتى قُتل. وقد كان حلف ان لا يسبّ احد امهُ الّا اجابهُ كائنًا من كان. فكتب

اليهِ خالد : كتبتَ اليَّ تشتم امي وتزعم اني فررتُ عن أبي حتى قُتل . ولعمري لقد فررتُ عنهُ ولكن بعد ان قُتل وحين لم اجدْ لي مُقاتلًا . ولكن أخبِرْني عنك يا لئيم حين فررتَ انت وابوك يوم الحرَّة على جمل ثفالٍ أيّكما كان امام صاحبه . فقرأ الحجّاج الكتاب وقال : صدق

انا الذي فررت يوم الحرَّه   ثم ثنيت كرّة بفرَّه
والشيخ لا يفرّ الّا مرّه

ثم طلبهُ وهرب الى الشام وسلّم بيت المال ولم ياخذ منهُ شيئًا . وكتب الحجاج الى عبد الملك بما كان منهُ . وقدم خالد الشام فسأل عن خاصّة عبد الملك فقيل لهُ : رَوْح بن زِنباع . فأتاه حين طلعتِ الشمس فقال : اني جئتك مستجيرًا فقال : انني قد أجرتك الّا ان تكون خالدًا . قال : فاني خالد . فتغيّر وقال : انشدك الله الّا خرجتَ عنّي فاني لا آمن عبد الملك . فقال : انظرني حتى تغرب الشمس . فجعل روح يُراعيها حتى خرج خالد . فاتى زفر بن الحرث الكلابي فقال : اني جئتك مستجيرًا . قال : قد اجرتك . قال : انا خالد بن عتاب . قال : وان كنتَ خالدًا . فلمّا أَصبح دعا ابنَين لهُ فتهادى بينهما وقد أسنَّ فدخل على عبد الملك وقد أَذن للناس . فلما رآه دعا لهُ بكرسي فجُعِل عند فراشه . فجلس ثم قال : يا امير المؤمنين اني قد أجرتُ عليك رجلًا فأَجِرْهُ . قال : قد أَجرتهُ الّا ان يكون خالدًا . قال : فهو خالد . قال : لا ولا كرامة . فقال زفر لابنَيه : أَنهضاني . فلمَّا ولَّى قال : يا عبد الملك أمَا والله لو كنتَ تعلمُ انَّ يدي تطيق حملَ القناة وراسَ الجواد لأجرتَ مَن أجرتُ . فضحك وقال : يا ابا الهذيل قد أجرناهُ فلا أَرَيَنَّهُ . وارسل الى خالدٍ بألفي درهم فاخذها ودفع الى رسولهِ أربعة آلاف درهم

زيد الخيل

أَخبر شيخ من بني نبهان قال : اصابتْ بني شيبان سنةٌ ذهبت بالاموال . فخرج رجل منهم بعيالهِ حتى انزلهم الحيرة فقال لهم : كونوا قريبًا من الملك يصبكنَّ من خيرهِ حتى ارجع اليكنَّ . وآلى أَليَّة لا يرجع حتى يكسبهنَّ خيرًا او يموت . فتزوَّد زادًا ثم مشى يومًا الى الليل فاذا هو بمهرٍ مُقيَّدٍ يدٍ ورجلٍ حول خباء فقال : هذا اوَّل الغنيمة فذهب يحلّهُ ويركبهُ . فنودي خلِّ عنهُ واغنم نفسَك . فتركهُ ومضى سبعة ايام حتى انتهى الى عَطَن ابل مع تطفيل الشمس فاذا خباء عظيم وقبة من ادَم . فقال في نفسهِ . ما لهذا الخباء بدٌّ من اهلٍ وما لهذه القبة بُدٌّ من ربٍ وما لهذا العطن بُدٌّ من ابل . فنظر في الخباء فاذا شيخ كبير قد اختلفت ترقوتاه كأنهُ نسر . (قال) فجلست خلفهُ . فلما وجبتِ الشمس اذا فارس قد اقبل لم ارَ فارسًا قط اعظم منهُ ولا اجسم على فرس مشرف ومعهُ اسودان يمشيان جنبيه . واذا مائة من الابل مع فحلها فبرك الفحل وبركت حوله . ونزل الفارس فقال لاحد عبدَيه : احلب فلانة ثم اسقِ الشيخ . فحلب في عُسّ حتى ملأَهُ ووضعهُ بين يدَي الشيخ وتنحَّى فكرَع منهُ الشيخ مرَّةً او مرَّتين ثم نزع . فثرتُ اليهِ فشربتهُ . فرجع اليهِ العبد فقال : يا مولاي قد اتى على آخرهِ . ففرح بذلك وقال : احلب فلانة . فحلبها ثم وضع العسَّ بين يدي الشيخ . فكرع منهُ واحدة ثم نزع . فثرتُ اليهِ فشربتُ نصفه وكرهت ان آتي على آخرهِ فأتَّهم . فجاء العبد فأخذَهُ وقال لمولاه : قد شرب ورويَ فقال : دعهُ ثم أمر بشاة فذُبحت وشوى للشيخ منها . ثم اكل هو وعبداه . فأمهلتُ حتى اذا ناموا وسمعتُ الغطيط ثرتُ الى الفحل فحللت عقالهُ

وركبتهُ فاندفع بي وتبعتهُ الابل . فمشيت ليلتي حتى الصباح . فلما اصبحتُ نظرتُ فلم أرَ أحدًا فسللتها اذًا سلاً عنيفًا حتى تعالى النهارُ . ثم التفت التفاتة فاذا انا بشيء كأنهُ طائر . فما زال يدنو حتى تبيَّنتهُ . فاذا هو فارس على فرس واذا هو صاحبي بالامس . فعقلتُ الفحل ونثلتُ كنانتي ووقفت بينـهُ وبين الابل فقال : احللْ عقال الفحل . فقلت : كلاَّ والله لقد خلَّفتُ نُسيَّاتٍ بالحيرة وآليت اليَّـة لاارجع حتى أُفيدهنَّ خيرًا او أموت . قال : فانَّك لميتٌ حلَّ عقالهُ لا امَّ لك . فقلت : ما هو الَّا ما قلت لك . فقال : انك لمغرورٌ انصب لي خِطامه واجعل فيهِ خمس عُجرٍ . ففعلت . فقـال : اين تُريد أن اضعَ سهمي . فقلت : في هذا الموضع . فكأنَّما وضعهُ بيدهِ ثم اقبل يرمي حتى أصاب الخمسة بخمسة اسهم . فرددتُ نبلي وحططتُ قوسي ووقفت مستسلماً . فدنا مني واخذ السيف والقوس ثم قال : ارتدف خلفي . وعرف اني الرجل الذي شربتُ اللبن عندهُ فقال : كيف ظنُّك بي . قلت : أحسن ظنّ . قال : وكيف . قلت : لِمَا لقيتَ من تعب ليلتك وقد اظفرك الله بي . فقال : اترانا كنَّا نهيجك وقد بتَّ تنـادمُ مُهلهلًا . قلت : أزيدُ الخيل أنتَ . قال : نعم انا زيد الخيل . فقلت : كنْ خير آخذ . فقال : ليس عليك بأس . فمضى الى موضعه الذي كان فيـهِ ثم قال : اما لو كانت هذه الابل لي لسلَّمتها اليك ولكنها لبنت مهلهل فاقمْ على فاني على شرف غارة . فأقمت اياماً . ثم أغار على بني نمير بالملح فاصاب مائة بعير فقال : هذه أحبُّ اليك أم تلك . قلتُ : هذه . قال : دونكها وبعث معي خفراء من ماء الى ماء حتى وردوا بي الحيرة

حاتم في صغرهِ

كان حاتم من شعراء العرب وكان جوادًا يشبه شعرَه جودُه ويصدق قولَه فعلهُ . وكان حيثما نزل عُرف منزله . وكان مظفَّرًا اذا قاتل غلب واذا غنم أنهبَ واذا سُئل وهب واذا ضرب بالقداح فاز واذا سابق سبق واذا أسر أطلقَ وكان يقسم بالله ان لايقتلَ واحدَ أُمّهِ . وكان اذا اهلَّ الشهرُ الاصمَ الذي كانت مُضر تُعظِّمُهُ في الجاهلية ينحر في كل يوم عشرًا من الابل فاطعم الناس واجتمعوا اليهِ . فكان ممن ياتيه من الشعراء الحطيئة وبشر بن أبي حازم . فذكروا انَّ امّ حاتم أُتيتْ وهي حبلى في المنام فقيل لها : أغلامٌ سمحٌ يقال لهُ حاتم احبُّ اليك ام عشرة غلمة كالناس . ليوثٌ ساعةَ الباس . ليسوا باوغال ولا انكاس . فقالت : حاتمٌ . فولدت حاتمـاً . فلمَّا ترعرع جعل يُخرج طعامهُ فان وجد من ياكلهُ معهُ اكل وان لم يجـد طرحهُ . فلما رأى أبوهُ انهُ يُهلك طعامهُ قال لهُ : الحَق بالابل . فخرج اليها . ووهب لهُ جارية وفرسًا وفِلْوَها . فلمَّا اتى الابل طفق يبغي الناس فلا يجدهم وياتي الطريق فلا يجد عليهِ احدًا . فبينما هو كذلك اذ بصر بركب على الطريق فأتاهم . فقالوا : يا فتى هل من قرى . فقال : تسألوني عن القرى وقد ترون الابل . وكان الذين بصربهم عُبيد ابن الابرص وبشر بن أبي خازم والنابغة الذبياني وكانوا يريدون النعمان . فنحر لهم ثلاثةً من الابل . فقال عبيد : انما أردْنا بالقرى اللبن . وكانت تكفينا بكرةٌ اذا كنتَ لا بدَّ متكلِّفًا لنا شيئًا . فقال حاتم : قد عرفت ولكني رأيت وجوهاً مختلفة والوانًا متفرّقة فظننت انَّ البلدانَ غير واحدة فأردتُ ان يَذكرَ كلُّ واحد منكم ما رأى اذا اتى قومه . فقالوا فيهِ اشعارًا امتدحوه بها وذكـروا

فصله . فقال حاتم : أردتُ ان أُحسنَ اليكم فكان لكم الفضل عليَّ . وانا اعاهدُ الله ان اضربَ عراقيبَ ابلي عن آخرها وتقدموا اليهـا فتقتسموها . ففعلوا فاصاب الرجلُ تسعة وتسعين بعيرًا ومضوا على سفرهم الى النعمان . وانَّ ابا حاتم سمع بما فعل فأتاه فقال لهُ : اين الابل . فقال : يا ابتِ طوَّقتك بها طوقَ الحمامةِ مجدَ الدهرِ وكرمًا لا يزال الرجلُ يحمل بيتَ شعر اثنى بهِ علينا عوضًا من ابلك . فلمَّا سمع أبوهُ ذلك قال : أَبإِبلي فعلتَ ذلك . قال : نعم . قال : والله لا أُساكنك ابدًا . فخرج ابوهُ باهلهِ وتركَ حاتمًا ومعهُ جاريته وفرسه وفلوُها . فقال يذكر تحوُّلَ ابيهِ عنهُ :

وانّي لَعفُّ الفقر مشتركُ الغنى وتاركُ (١) شكلٍ لا يوافقهُ شكلي
واجعلُ مالي دون عرضيَ جُنَّةً لنفسي وأستغني بما كان من فضلي
وما ضرَّني أنْ سار سعدٌ (٢) باهلهِ وافردَني في الدار ليس معي اهلي
سيكفني ابتناءُ (٣) المجد سعد بن حشرج واحملُ عنكم كلَّ ما ضاع من نفلِ (٤)
ولي مع بذل المال في المجد (٥) صولةٌ اذا الحربُ ابدت عن نواجذها العُصلِ

---

(١) وفي نسخة : وودك

(٢) هذا الشعر يدل على ان جدَّهُ صاحب هذه القصة معهُ لا انها قصة ابيـهِ . وهكذا ذكر يعقوب بن السكيت ووصف ان ابا حاتم هلك وحاتم صغير فكان في حجر جدّه سعد بن الحشرج فلمَّا فتح يدهُ بالعطاء وانهب مالهُ ضيَّق عليهِ جدُّه ورحل عنـهُ باهلهِ وخلَّفهُ في دارهِ (لأبي الفرج الاصبهاني)

(٣) وفي نسخةٍ : ابتناي (٤) وفي نسخة : ما حلَّ من أزلي

(٥) وفي نسخة : مع بذل المال والباس

عمران بن حِطَّان وروح بن زنباع وعبد الملك

ان عمران بن حِطَّان خرج هاربًا من الحجَّاج فطلبهُ وكتب فيهِ الى عُمَّالهِ والى عبد الملك فهرب ولم يزل يتنقَّل في احياء العرب . ثم لحق بالشام فنزل بروْح بن زنباع الجذامي . فقال لهُ روح : ممَّن أنت . قال : من الازد ازد الشراة . (قال) وكان روح يسمُر عند عبد الملك فقال لهُ ليلةً : يا امير المؤمنين انَّ في اضيـافك رجلًا ما سمعتُ منك حديثًا قط الّا حدَّثني بهِ وزادني ما ليس عندي . قال : ممَّن هو . قال : من الازد . قال : اني لأَسمعك تصفُ صفة عمران ابن حطان لانّي سمعتك تذكر لغةً نزاريَّة وصلاةً وزهدًا وروايةً وحفظًا وهذه صفته . فقـال روح : وما انا وعمران . ثم دعا بكتاب الحجَّاج فاذا فيهِ : أمَّا بعد فانَّ رجلًا من اهل الشقاق والنفاق قد كان أَفسدَ على اهل العراق وخبَّبهم بالشراية . ثم اني طلبتهُ فلما ضاق عليهِ عملي تحوَّلَ الى الشام فهو يتنقل في مدائنها وهو رجل ضَرْبٌ طُوَالٌ أفوه أزرق . (قال) قال روح : هذه والله صفة الرجل الذي عندي . ثم انشد عبدُ الملك يومًا قول عمران يمدح عبد الرحمن بن ملجم لعنهُ الله بقتلهِ عليَّ بن أبي طالب صلوات الله عليهِ :

يا ضربة من كريم ما اراد بهـا الّا ليبلغ من ذي العرش رضوانا
اني لأفكـر فيـهِ ثم احسبهُ أوفى البرية عنـد الاهل ميزانا

ثم قال عبد الملك : من يعرف منكم قائلها . فسكت القوم جميعًا . فقال لروح : سَلْ ضيفك عن قائلها . قال : نعم انا سائلهم وما أراه يخفى على ضيفي ولا سألتهُ عن شيء قط فلم اجده الّا عالمًا بهِ . وراح روح الى اضيافهِ فقال : ان امير المؤمنين سألنا من الذي يقول :

« يا ضربة من كريم ما أراد بها » ثم ذكر الشعر وسألهم عن قائله . فلم يكن
عند احدٍ منهم علمٌ. فقال لهُ عمران: هذا قول عمران بن حطان في ابن ملجم
قاتل عليّ بن أبي طالب. قال: فهل فيها غير هذين البيتين تُفيدنيه. قال: نعم

لله درُّ المراديّ الذي سفكتْ   كفَّاه مهجةَ شرّ الخلق انسانا
أمسى عشيّة غشَّاهُ بضربتـهِ   ممَّا جناه من الآثام عريانا

صلوات الله على امير المؤمنين ولعنَ اللهُ عمران بن حطان وابن ملجم. فغدا
روحٌ فأخبر عبد الملك. فقال: من اخبرك بذلك. فقال: ضيفي. قال: أظنّـهُ
عمران بن حطان فاعلمهُ اني قد أمرتك ان تاتيني بهِ. قال: افعلُ. فراح روح
الى اضيافهِ فاقبل على عمران فقـال لهُ: اني ذكرتك لعبد الملك فأمرني ان
آتيهُ بك. قال: كنت احبُّ ذلك منك وما منعني من ذكره الّا الحياء منك
وانا مُتبعك فانطلقْ. فدخل روح على عبد الملك فقال لهُ: أين صاحبك. فقال:
قال لي انا متبعك. قال: أظنك والله سترجع فلا تجده. فلما رجع روح الى منزلهِ
اذا عمران قد مضى واذا هو قد خلَّف رقعةً في كوة عند فراشهِ واذا فيها يقول:

يا روح كم من أخي مثوى نزلت بهِ   قد ظن ظنك من لخمٍ وغسانِ
حتى اذا خفتـهُ فارقت منـزله   من بعد ما قيل عمـران بن حطانِ
قد كنت ضيفك حولًا لا تروّعني   فيـهِ الطوارق من انس ولا جانِ
حتى أردتَ بي العظمى فأوحشني   ما اوحش الناس من خوف ابن مروانِ
فاعذر اخاك ابن زنبـاع فانَّ لهُ   في الحـادثات هناتٍ ذات الوانِ
يومًا يمـانٍ اذا لاقيتُ ذا يمـنٍ   وان لقيتُ معـديًا فعـدناني
لو كنت مستغفرًا يومًا لطاغيـة   كنتَ المقدم في سري واعلاني
لكن أبت ذاك آيات مطهرة   عنـد التلاوة في طـهَ وعمران

مبارزة بين بطلَين

حدَّث محمد بن يزيد قال: جعل الرشيد قبل وصوله الى هِرَقلة يفتح
المدن والحصون ويخربها حتى اناخ على هرقلة وهي من أوثق حصن واعزّه
جانبًا وامنعه ركنًا. فتحصّن اهلها وكان بابها يطلّ على وادٍ ولها خندق يطيف
بها. فحدَّثني شيخ من مشايخ المُطَّوِّعَة ومُلازمي الثغور يقال لهُ علي بن عبد الله
قال: حدَّثني جماعة ان الرشيد لما حصر اهل هرقلة وغمهم والحّ بالمجانيق والسهام
والعرَّادات فُتح الباب فاذا برجل من اهلها كأكمل الرجال قد خرج في
اكمل السلاح فنادى: قد طالت مواقعتكم ايانا فليبرز اليَّ منكم رجلان. ثم
لم يزل يزيد حتى بلغ عشرين رجلًا فلم يُجبـهُ أحدٌ. فدخل واغلق باب
الحصن. وكان الرشيد نائمًا فلم يعلم بخبرهِ الّا بعد انصرافهِ فغضب ولام خدمه
وغلمانه على تركهم انباهه وتأسّف لفوتهِ. فقيل لهُ: ان امتناع الناس منـهُ
سيغريه ويطغيه وأحرِ بهِ ان يخرج في غد فيطلب مثل ما طلب. فطالت
على الرشيد ليلته واصبح كالمنتظر لهُ. ثم اذا هو بالباب قد فُتح وخرج طالبًا
للمبارزة وذلك في يوم شديد الحرّ وجعل يدعو بانهُ يثبت لعشرين منهم.
فقال الرشيد: مَن لهُ. فابتدرهُ جلة القوَّاد كهرثمة ويزيد بن مزيد وعبد الله بن
مالك وخزيمة بن حازم واخيـهِ عبد الله وداود بن يزيد واخيهِ. فعزم على
اخراج بعضهم. فضجّت المطوعة حتى سمع ضجيجهم فأذن لعشرين منهم
فاستأذنوه في المشورة فأذن لهم. فقال قائلهم: يا امير المؤمنين قوَّادك مشهورون
بالبأس والنجدة وعلوّ الصوت ومداومة الحروب ومتى خرج واحد منهم فقتل
هذا العلجَ لم يكبر ذلك. وان قتلهُ العلجُ كانت وضيعة على العسكر عجيبة

وثلمة لا تُسدّ. ونحن عامةٌ لم يرتفع لاحد منا صوت الّا كما يصلح للعامة. فان
راى أمير المؤمنين أن يخلينا نختار رجلًا فنخرجهُ اليـــهِ. فان ظفر علم اهل
الحصن انّ أمير المؤمنين قد ظفر باعزّهم على يد رجل من العامة ومن أفناء
الناس ليس ممن يوهن قتلهُ ولا يؤثر. وان قُتل الرجل فانما استشهد رجل ولم
يؤثر ذهابه في العسكر ولم يثلمهُ وخرج اليهِ رجل بعده مثله حتى يمضي اليـــهِ
ما شاء. قال الرشيد: قد استصوبت رايكم هذا. فاختاروا رجلًا منهم يُعرف
بابن الجزري وكان معروفًا في الثغر بالبأس والنجدة. فقـــال الرشيد: أتخرج.
قال: نعم واستعين الله. فقال: أعطوهُ فرسًا ورمحًا وسيفًا وترسًا. فقال: يا امير
المؤمنين انا بفرسي أوثق ورمحي بيدي أشد ولكني قد قبلت السيف والترس.
فلبس سلاحهُ واستدناه الرشيد فودّعهُ واستتبعهُ الدعاء. وخرج معهُ عشرون
رجلًا من المطوعة. فلما انقضّ في الوادي قال لهم العلج وهو يعدّهم واحدًا
واحدًا: انما كان الشرط عشرين وقد زدتم رجلًا ولكن لاباس. فنادوه: ليس
يخرج اليك منّا الّا رجل واحد. فلمّا فصل منهم الجزري تأمّلهُ الرومي وقد
اشرف اكثر الروم من الحصن يتأملون صاحبهم والقرنَ حتى ظنوا انهُ لم يبقَ
في الحصن أحد الّا أشرف فقال الرومي: أتصدقني عمّ استخبرك. قال: نعم.
فقال: أنت بالله ابن الجزري. قال: اللهمّ نعم. فكفر لهُ. ثم اخذا في شانهما
فاطّعنا حتى طال الامر بينهما وكاد الفَرَسان ان يقوما وليس يخدش واحد
منهما صاحبه. ثم تحاجزا بشيء فزجّ كل واحد منهما برمحـــهِ وصلّتَ سيفه
فتجالدا مليًا واشتدّ الحرُ عليهما وتبلّد الفرسانِ وجعل ابن الجزري يضرب
الروميّ الضربةَ التي يرى انهُ قد بلغ فيها فيتّقيها الرومي وكان ترســهُ حديدًا
فيُسمع لذلك صوتٌ مُنكر. ويضربهُ الروميُّ ضرب مُعذرٍ لانّ ترس ابن الجزري

كان درقة فكان العلج يخاف ان يعضّ بالسيف فيعطب. فلما يئس من وصول
كل واحد منهما الى صاحبـــهِ انهزم ابن الجزري. فدخلت المسلمين كآبةٌ لم
يكتئبوا مثلها قط وعطعط الروم اختيالًا وتطاولًا. وانما كانت هزيمتـــهُ حيلة
منهُ. فاتّبعهُ العلج وتمكّن منهُ ابن الجزري فرماه بوهق فوقع في عنقهِ وما أخطأه
وركض فاستلّهُ عن فرسهِ ثم عطف عليهِ فما وصل الى الارض حيًّا حتى فارقهُ
راسه. فكبّر المسلمون أعلى تكبير وانخذل الروم وبادروا الباب يغلقونهُ. واتصل
الخبر بالرشيد فصاح بالقوّاد: اجعلوا النار في المجانيق وارموها فليس عند القوم
دفع. ففعلوا وجعلوا الكتّان والنفط على الحجارة وأضرموا فيها النار ورموا بها
السور فكانت النار تلصق بهِ وتأخذ الحجارة وقد تصدع فتتهافت. فلما أحاطت
بها النيران فتحوا الباب مستأمنين ومستقيلين فقال الشاعر المكّي:

هوتْ هرقلةُ لمّا أن رأتْ عجبًا   حوائمًا ترتمي بالنفط والنـــارِ
كأنّ نيراننـــا في جنب قلعتهم   مصبّغاتٌ على ارسان قصّارِ

تمارض اشعب

حدّثنـــا مصعب بن عبدالله عن مصعب بن عثمان قال: لقي اشعب
سالم بن عبد الله بن عمر فقـــال: يا اشعب هل لك في هريس قد أُعدّ لنا.
قال: نعم بأبي انت وامي. قال: فصرْ اليّ. فمضى الى منزلهِ فقالت لهُ امرأتهُ:
قد وجّه اليك عبد الله بن عمرو. فقال لها: عبد الله في يديّ متى شئتُ وسالمٌ
انّما دعوتُهُ للناس فلتةٌ وليس لي بدّ من المضيّ اليهِ. قالت: اذًا يغضب عبد الله.
قال: آكل عنده ثم اصير الى عبد الله. فجاء الى سالم وجعل ياكل اكلَ

متعاللٍ. فقال لهُ: كُلْ يا اشعب وابعثْ ما فضل عنك الى منزلك. قال: ذاك اردتُ بأبي انت وامي. فقال: يا غلام احمل هذا الى منزله. فحملهُ ومضى معهُ فجاء بهِ امرأتهُ فقالت لهُ: ثكلتك امك قد حلف عبد الله ان لا يكلمك شهرًا. قال: دعيني واياه هاتي شيئًا من زعفران. فاعطتهُ ودخل الحمام يمسح على وجههِ ويديه وجلس في الحمام حتى صفَّره ثم خرج متكئًا على عصًا يرعد حتّى اتى دارَ عبد الله بن عمرو. فلما رآه حاجبهُ قال: ويحك بلغتِ العلةُ ما أرى. ودخل واعلم صاحبه. فاذن لهُ. فلما دخل عليهِ اذا سالم بن عبد الله عنده. فجعل يزيدُ في الرعدة ويقارب الخطوَ فجلس وما يقدر ان يستقل. فقال عبد الله: ظلمناك يا اشعب في غضبنا عليك. فقال لهُ سالم: ما لك ويلك ألم تكنْ عندي آنفًا واكلتَ هريسة. فقال لهُ: وايَّ اكلٍ ترى بي. قال: ويلك الم اقلْ لك كيت وكيت وتقلْ لي كيت وكيت. قال لهُ: شبه لك. قال: لا حول ولا قوَّة الَّا بالله والله اني لا اظنّ الشيطان يتشبه بك. ويلك اجادٌ انت. قال: عليَّ وعليَّ ان كنت خرجت منذ شهر. فقال لهُ عبد الله: اعزبْ ويحك أَتبهتهُ لاامَ لك. قال: ما قلت الَّا حقًا. قال: بحياتي اصدقني وانت آمنٌ من غضبي. قال: لا وحياتك لقد صدق. ثم حدَّثهُ بالقصة فضحك حتى استلقى على قفاه

عُوَيف القَوافي وطلحة

حدَّث غرير بن طلحة قال: حدَّثني غير واحدٍ من مشيخة قريش قالوا: لم يكن رجل من ولاة اولاد عبد الملك بن مروان كان انفس على قومهِ ولا احسد

لهم من الوليد بن عبد الملك. فاذن يومًا للناس فدخلوا عليهِ واذن للشعراء فكان اوَّل من بدر بين يديهِ عويف القوافي الفَزاري فاستأذنهُ في الانشاد فقال: ما بقَّيتَ لي بعد ما قلتَ لاخي بني زهرة. قال: وما قلتُ لهُ مع ما قلتُ لامير المؤمنين. قال أَلستَ الذي تقول:

يا طلحَ انت أخو الندى وحليفهُ ... انّ الندى من بعد طلحة ماتا
انَّ الفَعال اليك أطلق رَحله ... فبحيث بتَّ من المنازل باتا

أَو لستَ الذي تقول:

اذا ما جاء يومك يا ابن عوفٍ ... فلا مَطرت على الارض السماءُ
ولا سار البشير بغنم جيشٍ ... ولا حملت على الطهر النساءُ
تساقى الناس بعدك يا ابن عوف ... ذريع الموت ليس لهُ شفاءُ

أَلم تقم علينا الساعة يوم قامت عليهِ لا والله لا اسمع منك شيئًا ولا انفعك بنافعة ابدًا. أَخرجوه عني. فلما أُخرج قال لهُ القرشيون والشاميون: وما الذي أعطاك طلحة حين استخرَجَ هذا منك. قال: أَما والله لقد اعطاني غيرهُ اكثر من عطيته ولكن لا والله ما اعطاني احدٌ قط أحلى في قلبي ولا ابقى شكرًا ولا اجدر ان لا انساها. ما عرفت الصلات من عطيتهِ. قالوا: وما اعطاك. قال: قدمتُ المدينةَ ومعي بُضيعة لي لا تبلغ عشرة دنانير أُريد ان ابتاع قَعودًا من قعدان الصدقة. فاذا برجل في صحن السوق على طنفسة قد طُرحتْ لهُ واذا الناس حولهُ واذا بين يديه ابل مقعودة لهُ. فظننت انهُ عامل السوق فسلَّمت عليهِ فأَثبتني وجهلتُهُ. فقلت: أَيْ رحمك الله هل انت معيني ببصرك على قعود من هذه القعدان تبتاعهُ لي. فقال: نعم أَو معك ثمنهُ. فقلت: نعم. فأهوى بيده اليَّ فاعطيتهُ بضيعتي. فرفع طنفستهُ والقاها تحتها ومكث طويلًا

ثم قمت اليهِ فقلت : ايْ رحمك الله انظر في حاجتي . فقــال : ما منعني منك الّا النسيان أمعك حبلٌ . قلت : نعم . قال : هكذا . افرجوا . فأفرجوا عنهُ حتى استقبل الابل التي بين يديه فقال : اقرنْ هذه وهذه وهذه . فما برحتُ حتى أمر لي بثلاثين بكرة ادنى بكرة منها (ولا دنيَّة فيها) خير مَن بضاعتي . ثم رفع طنفستهُ فقال : وشأنك ببضاعتك فاستعن بها على من ترجع اليه . فقلت : ايْ رحمك الله أتدري ما تقول . فما بقي عنده الا مَن نهرني وشتمني . ثم بعث معي نفرًا فاطّردوها حتى اطلعوها من راس الثنيَّة . فوالله لا انساه ما دمتُ حيًا ابدًا

محمد الرف وابن جامع وابراهيم الموصلي

اخبرَ حماد عن ابيــهِ قال : محمد الرَّف اروى خلق الله للغناء وأسرعهم اخذًا لِمَا سمعهُ منهُ ليست عليهِ في ذلك كلفة وانمــا يسمع الصوت مرَّةً واحدة وقد اخذهُ . وكنَّا معهُ في بلاء اذا حضر . فكان مَن غنَّى منَّا صوتًا فسألهُ عدوٌّ لهُ أو صديقٌ أنْ يلقيه عليهِ فبخلَ ومنعهُ اياه سألَ محمدًا الرفَّ أن ياخذه . فما هو الّا أن يسمعهُ مرَّةً واحدة حتى قد اخذهُ والقاه على مَن سألهُ . فكان أبي يبرُّه ويصلهُ ويُجديه من كل جائزة وفائدة تصل اليهِ . فكان غناؤه عندهُ حمىً مصونًا لا يقربهُ . ولم يكن طيّبَ المسموع ولكنَّهُ كان اطيب الناس نادرةً وامْلحهم مجلسًا وكان مُغرًى بابن جامع خاصةً من بين المغنّين لبخلهِ . فكان لا يفتح ابنُ جامع فاه بصوتٍ الّا وضع عينهُ عليهِ واصغى سمْعهُ اليــهِ حتى يحكيه . وكان في ابن جامع بخل شديد لا يقدر معهُ على ان يسعفهُ ببرٍّ ورفدٍ فغنَّى يومًا بحضرة الرشيد :

جسورٌ على هجري جبانٌ على وصلي   كذوبٌ غدًا يستتبع الوعد بالمطلِ

فأحسن فيــهِ ما شاء وأجملَ . فغمزتُ عليهِ محمدًا الرَّفَّ وفطن لما أردتُ . واستحسنهُ الرشيدُ وشرب عليــهِ واستعادهُ مرتين او ثلاثًا . ثم قمتُ للصلاة وغمزتُ الرفَّ وجاءني وأومأتُ الى مخارق وعلوية وعقيد فجاءوني . فأمرتهُ باعادة الصوت فأعادهُ وأداه كأنَّهُ لم يزل يرويه . فلم يزل يكرّره على الجماعة حتى غنّوه ودارَ لهم . ثم عدتُ الى المجلس . فلما انتهى الدور اليَّ بدأتُ فغنيتهُ قبل كل شيء غنيتهُ . فنظر اليَّ ابن جامع محدّدًا نظرَهُ واقبل عليَّ الرشيد فقال : أكنتَ تروي هذا الصوت . فقلت : نعم يا سيدي . فقال ابن جامع : كذب والله ما أخذهُ الّا مني الساعةَ . فقلت : هذا صوت أرويه قديمًا وما فيمن حضر أحد الّا وقد أخذه مني . واقبلتُ عليهِ فغنَّاه علوية ثم عقيد ثم مخارق . فوثب ابن جامع فجلس بين يديهِ وحلف بحياتهِ وبطلاق امرأتهِ ان اللحن صنعهُ منذ ثلاث ليالٍ ما سُمع منهُ قبل ذلك الوقت . فأقبل عليَّ فقال بحياتي أصدقني عن القصة فصدقتهُ فجعل يضحك ويصفق ويقول : لكل شيء آفةٌ وآفةُ ابن جامع الرفُّ

ربيعة الرَّقي والعباس بن محمد والرشيد

امتدح ربيعة الرقي العباس بن محمد بقصيدة لم يُسبق اليها حسنًا وهي طويلة يقول فيها :

واذا الملوك تسايروا في بلدةٍ   كانوا كواكبها وكنتَ هلالها

انَّ المكارم لم تزل معقولة   حتى حللتَ براحتيك عقالهـا

فبعث اليهِ بدينارين وكان يقدّر فيهِ ألفين. فلمّا نظر الى الدينارَين كاد يجنّ غيظًا وقال للرسول: خذ الدينارَين فهما لك على ان تردَّ الرقعة اليَّ من حيث لا يدري العباس. ففعل الرسول ذلك. فأخذها ربيعة وأمر مَن كتبَ في ظهرها:

مدحتكَ مدحة السيف المحلّى ... لتجري في الكرام كما جريتُ
فهبها مدحةً ذهبت ضياعًا ... كذبتُ عليك فيها وافتريتُ
فانت المرء ليس لهُ وفاءٌ ... كأني ان مدحتك قد زنيتُ

ثم دفعها الى الرسول وقال لهُ: ضعها في الموضع الذي أخذتَها منهُ. فردّها الرسول. فلمّا كان من الغد أخذها العبّاس فنظر فيها فلما قرأ الابيات غضب وقام من وقتهِ فركب الى الرشيد وكان اثيرًا عنده يُبجّلهُ ويقدّمهُ وكان قد همَّ أن يخطب اليهِ ابنته. فرأى الكراهة في وجههِ فقال: ما شأنك. قال: هجاني ربيعة الرقي. فأحضر فقال لهُ الرشيد: يا خبيث أتهجو عمي وآثر الخلق عندي لقد هممتُ أن أضربَ عنقك. فقال: والله يا امير المؤمنين لقد مدحتهُ بقصيدة ما قال مثلها احد من الشعراء في احد من الخلفاء ولقد بالغتُ في الثناء واكثرت في الوصف فان رأى أمير المؤمنين أن يأمرهُ باحضارها. فلما سمع الرشيد ذلك منهُ سكن غضبهُ وأحبَّ ان ينظر في القصيدة. فأمر العبّاس باحضار الرقعة. فتلكّأ عليهِ العباس. فقال لهُ الرشيد: سألتك بحق امير المؤمنين الّا امرتَ باحضارها. فعلم العباس انهُ قد اخطأ وغلط. فأمر باحضارها فأُحضرت. فأخذها الرشيد واذا فيها القصيدة بعينها فاستحسنها واستجادها وأُعجب بها وقال: والله ما قال احد من الشعراء في احد من الخلفاء مثلها. لقد صدق ربيعة وبرّ. ثم قال للعباس: بمَ أثبتَهُ عليها. فسكت العبّاس وتغيّر

لونهُ وجرض بريقهِ. فقال ربيعة: اثابني عليها يا امير المؤمنين بدينارَين. فتوهّم الرشيدُ انهُ قال ذلك من المَوجِدة على العباس فقال: بحياتي يا رقي بكم أثابك. قال: وحياتك يا امير المؤمنين ما اثابني الّا بدينارين. فغضب الرشيد غضبًا شديدًا ونظر في وجه العباس بن محمد وقال: سوأة لك أيُّ حالٍ قعدتْ بك عن اثابتهِ. ألاموال فوالله لقد موّلتُك جهدي. أم انقطاعُ المادّة عنك فوالله ما انقطعتْ. أم اصلك فهو الاصل لا يُدانيه شيءٌ. ام نفسك فلا ذنب لي بل نفسك فعلتْ ذلك بك حتى فضحت آباءك واجدادك وفضحتني ونفسَك. فنكّس العباس راسهُ ولم ينطق. فقال الرشيد: يا غلام أعطِ ربيعة ثلاثين الف درهم وخلعة واحمله على بغلة. فلما حُمل المال بين يديه وأُلبس الخلعة قال لهُ الرشيد: بحياتي يا رقي لا تذكره في شعرك تعريضًا ولا تصريحًا. وفتر الرشيد عمّا كان همَّ بهِ ان يتزوّج اليهِ وظهر منهُ لهُ بعد ذلك جفاء كثير واطّراح لهُ

محمد بن اميّة وابو العتاهية

حدّث محمد بن اميَة قال: كنت جالسًا بين يدَي ابراهيم بن المهدي فدخل اليهِ أبو العتاهية وقد تنسَّك ولبس الصوف وترك قول الشعر الّا في الزهد. فرفعهُ ابراهيم وسُرَّ بهِ واقبل عليهِ بوجههِ وحديثهِ. فقال لهُ أبو العتاهية: ايها الامير بلغني خبرُ فتىً في ناحيتك ومن مواليك يُعرف بابن أُمية يقول الشعر وأُنشدتُ لهُ شعرًا اعجبني فما فعل. (قال) فضحك ابراهيم ثم قال: لعلَّهُ اقربُ الحاضرين مجلسًا منك. فالتفت اليَّ فقال: انت هو فديتك. فتشوّرتُ وخجلت وقلت لهُ: انا محمد بن امية جعلتُ فداءك. واما الشعر فانما انا شاب

أعبثُ بالبيت والبيتين والثلاثة كما يعبث الشباب . فقال لي : فديتك ذاك والله زمان الشعر وإبّانهُ وما قيل فيهِ فهو غرره وعيونه . وما قصر من الشعر وقيل في المعنى الذي تومئُ اليهِ ابلغ واملح . وما زال يُنشّطني ويؤنسني حتى رأى اني قد أنستُ بهِ . ثم قال لابراهيم بن المهدي : ان رأى الامير اكرمهُ الله ان يأمرهُ بانشادي ما حضر من الشعر . فقال لي ابراهيم : بحياتي يا محمد انشدهُ فأنشدتهُ :

ربَّ وعدٍ منك لاأنساهُ لي ... أوجبَ الشكرَ وان لم تفعلِ
أقطعُ الدهر بظنٍ حسنٍ ... وأُجلّي غمرةً ما تنجلي
كلما أمّلتُ يومًا صالحًا ... عرضَ المكروه لي في أملي
وأرى الايامَ لا تُدني الذي ... ارتجي منك وتُدني اجلي

(قال) فبكى أبو العتاهيــة حتى جرت دموعهُ على لحيتهِ وجعل يُردّد البيت الاخير منها وينتحب وقام فخرج وهو يردّدهُ ويبكي حتى خرج الى الباب

نجاة قيسبة بن كلثوم من الاسر

ذكر ابن الكلبيّ عن أبيهِ قال : خرج قيسبة بن كلثوم السكوني وكان ملكًا يُريد الحجّ . وكانت العرب تحج في الجاهلية فلا يعرض بعضها لبعض . فمرّ ببني عامر بن عقيل فوثبوا عليهِ فأسروه واخذوا مالهُ وماكان معهُ والقوه في القدّ . فمكث فيــه ثلاث سنين وشاع باليمن ان الجنّ استطارته . فبينما هو في يوم شديد البرد في بيت عجوز منهم اذ قال لهــا : أتأذنين لي ان آتي الاكمة فاتشرّق عليها فقد أضرّ بي القرّ . فقالت لهُ : نعم . وكانت عليهِ جبّة لهُ حبرة لم

يترك عليهِ غيرها . فتمشّى في اغلالهِ وقيودهِ حتى صعد الاكمة . ثم اقبل يضرب ببصرهِ نحو اليمن وتغشاه عبرة فبكى ثم رفع طرفهُ الى السماء وقال : اللهمَّ ساكن السماء فرّج لي ممّا أصبحتُ فيهِ . فبينا هو كذلك اذ عرض لهُ راكب يسير . فأشار اليهِ أن أقبلْ . فأقبل الراكب . فلما وقف عليهِ قال لهُ : ما حاجتك يا هذا . قال : أين تريد . قال : أُريد اليمن . قال : ومَن أنت . قال : أبو الطمحان القيني . فاستعبر باكيًا . فقال لهُ أبو الطمحان : مَن أنت فاني ارى عليك سيما الخير ولباس الملوك وانت بدار ليس فيها ملك . قال : انا قيسبة بن كلثوم السكوني خرجت عام كذا وكذا اريد الحج فوثب عليَّ هذا الحيّ فصنعوا بي ما ترى وكشف عن أغلالهِ وقيودهِ . فاستعبر أبو الطمحان . فقال لهُ قيسبة : هل لك في مائة ناقة حمراء . قال : ما أحوجني الى ذلك . قال : فأنخ . فأناخ . ثم قال لهُ : أمعك سكينٌ . قال : نعم . قال : ارفع لي عن رحالك . فرفع لهُ عن رحالهِ حتى بدت خشبة موخّره . فكتب عليهــا قيسبة بالمسند وليس يكتب بهِ غير أهل اليمن :

بلّغــا كندةَ الملوك جميعــًا ... حيث سارتْ بالاكرمين الجمالُ
أن ردوا العين بالخميس عجــالًا ... واصدُروا عنــهُ والروايا ثقالُ
هزئتْ جارتي وقالت عجيبــًا ... اذ رأتني في جيديَ الأغلالُ
ان تريني عاري العظام اسيرًا ... قد براني تضعضعٌ واختلالُ
فلقدْ أقدُمُ الكتيبةَ بالسيــ ... ـفِ عليَّ السلاح والسربالُ

وكتب تحت الشعر الى أخيهِ أن يدفعَ الى أبي الطمحان مائة ناقة . ثم قال لهُ : أقرئْ هذا قومي فانهم سيعطونك مائة ناقة حمراء . فخرج تسير بهِ ناقتــهُ حتى اتى حضرَموت . فتشاغل بما ورد لهُ ونسي امر قيسبة حتى فرغ من حوائجه .

ثم سمع نسوة من عجائز اليمن يتذاكرنَ قيسبة ويبكينَ . فذكر امره فأتى أخاه
الجون بن كلثوم وهو أخوه لابيه وامّهُ فقال لهُ : يا هذا اني ادلّك على قيسبة
وقد جعل لي مائة من الابل . قال لهُ : فهي لك . فكشف عن الرحل . فلمّا
قرأه الجون أمرَ لهُ بمائة ناقة . ثم أتى قيس بن معدي كرب الكندي أبا الاشعث
ابن قيس فقال لهُ : يا هذا ان أخي في بني عقيل أسير فسرْ معي بقومك .
فقال لهُ : أتسير تحت لوائي حتى اطلب ثارك وانجدك والّا فامضِ راشدًا .
فقال لهُ الجون . مسُّ السماء أيسرُ من ذلك واهون عليَّ ممَّا خيّرتهُ . وضجّتِ
السكون . ثم فاءوا ورجعوا وقالوا لهُ : وما عليك من هذا هذا هو ابن عمّك
ويطلب الك بثارك فأنعمْ لهُ بذلك . وسار قيس وسار الجون معـهُ تحت لوائه
وكندة والسكون معهُ فهو اوَّل يوم اجتمعت فيهِ السكون وكندة لقيس وبهِ أدرك
الشرف . فسار حتى اوقع بعامر بن عقيل فقتل منهم مقتلة عظيمة واستنقذ
قيسبة . وقال في ذلك سلامة بن صبيح الكندي :

لا تشتمونا اذ جلبنا لكم   ألفي كميتٍ كلُّها سلهبهْ
نحن أبلنا الخيلَ في ارضكم   حتى ثأرنا منكمُ قيسبهْ
واعترضتْ من دونهم مُذحجٌ   فصادفوا من خيلنا مشغبهْ

ابن عائشة والمحبُّ الغناء

حدَّث محمد بن الحرث بن كليب قال : خرج ابن عائشة المدنيّ من عند
الوليد بن يزيد وقد غنّاه :

أبعدك معقلًا ارجو وحصنًا   قد أعيتني المعاقل والحصونُ

(قال) فأطربهُ . فأمر لهُ بثلاثين الف درهم وبمثل كارة القصَّار كسوة . فبينما
ابن عائشة يسير اذ نظر اليهِ رجلٌ من اهل وادي القُرى كان يشتهي الغناء
ويشرب النبيذ . فدنا من غلامهِ وقال : من هذا الراكب . قال : ابن عائشة
المغنّي . فدنا منهُ وقال : جُعلتُ فداءك انت ابن عائشة امّ المؤمنين . قال :
لا انا مولى لقريش وعائشة امي وحسبك هذا فلا عليك ان تكثر . قال :
وما هذا الذي أراهُ بين يديك من المال والكسوة . قال : غنّيتُ أمير المؤمنين
صوتًا فأطربتهُ فكفر وترك الصلاة وأمر لي بهذا المال وهذه الكسوة . قال :
جعلتُ فداءك فهل تمنّ عليَّ بأن تسمعني ما أسمعتهُ اياه . فقال لهُ : ويلك أمثلي
يُكلَّم بمثل هذا في الطريق . قال : فما اصنع . قال : الحقني بالباب . وحرَّك ابن
عائشة بغلةً شقراء كانت تحتهُ لينقطع عنهُ . فعدا معهُ حتى وافيا الباب كفرسَي
رهانٍ . ودخل ابن عائشة فمكث طويلًا طمعًا في أن يضجر فينصرف . فلم
يفعل . فلما أعياه قال لغلامه : أدخله . فلمَّا دخل قال لهُ : ويلك من أين صبَّك
الله عليَّ . قال : أنا رجل من اهل وادي القرى اشتهي هذا الغناء . فقال لهُ :
هل لك فيما هو انفع لك منهُ . قال : وما ذاك . قال : مائتا دينار وعشرة أثواب
تنصرف بها الى اهلك . فقـال لهُ : جعلتُ فداءك والله انَّ لي لبُنيَّة ما في
اذنها علمَ اللهُ حلقةٌ من الورق فضلًا عن الذهب . وانَّ لي لزوجة ما عليها يشهد
الله قميص . ولو أعطيتني جميع ما أمر لك بهِ أمير المؤمنين على هذه الخلّة والفقر
اللذين عرفتكهما وأضعفتَ لي ذلك لكان الصوت أعجب اليَّ . وكان ابن عائشة
تائهـًا لا يغنّي الّا لخليفة أو لذي قدر جليل من اخوانهِ . فتعجب ابن عائشة
منهُ ورحمـهُ ودعا بالأداة وكان يغني مرتجلًا فغنّاه الصوت . فطرب لهُ طربًا
شديدًا وجعل يحرّك رأسهُ حتى ظنَّ ان عنقهُ سينقصف . ثم خرج من عنده

ولم يرزأهُ شيئاً. وبلغ الخبر الوليد بن يزيد فسأل ابن عائشة عنهُ. فجعل يَغيب عن الحديث. ثم جدّ الوليد بهِ فصدّقهُ عنـهُ. وأمر بطلب الرجل فطُلب حتى أُحضر. ووصلهُ صلة سنيَّة وجعلهُ في ندمائهِ ووكلهُ بالسقي. فلم يزل معـهُ حتّى مات

يزيد بن المُهلَّب في السجن

دخل حمزة بن بيض على يزيد بن المهلّب السجنَ فأنشدَه قولهُ :

أُغلِق دونَ السماح والجود م والنجدة بابٌ حديدهُ أَشِبُ
ابن ثلاثٍ وأَربعينَ مضتْ لا صرعٌ واهنٌ ولا نكبُ
لا بَطِرٌ إن تتابعتْ نعمٌ وصابرٌ في البـلاء محتسبُ
برّزتَ سبقَ الجواد في مَهَلٍ وقصّرتْ دونَ سعيكَ العربُ

فقال: والله يا حمزة لقد أسأتَ اذ نوهتَ باسمي في غير وقت تنويه ولا منزل لك. ثم رفع مقعداً تحتهُ فرمى اليهِ بخرقة مصرورة وعليهِ صاحب خبرٍ واقفٌ فقال: خذ هذا الدينار فوالله ما املك ذهباً غيره. فأخذهُ حمزة واراد أن يردّه. فقال لهُ سرًّا: خذهُ ولا تُخدع عنهُ. (قال) فلما قال لي لا تُخدع عنـهُ قلت: والله ما هذا بدينار. فقال لي صاحب الخبر: ما أعطاك يزيد. فقلت: أعطاني ديناراً فأَردتُ ان أَردّه عليهِ فانتهيت. فلما صرت الى منزلي حللت الصرَّة فاذا فيهـا فصٌّ ياقوت أحمر كأنهُ سقط زندٍ. فقلت: والله لئن عرضتُ هذا بالعراق ليعلمنَّ اني أخذتهُ من يزيد فيؤخذ مني. فخرجتُ بهِ الى خراسان فبعتهُ على رجل يهودي بثلاثين الفاً. فلماَّ قبضتُ المال وصار الفص في يدهِ

قال: والله لو أبيتَ الَّا خمسين الف درهم لاخذتهُ. فكأنما قذف في قلبي جمرةً. فلماَّ رأى تغيُّر وجهي قال: اني رجل تاجر ولستُ اشكّ اني قد غممتك. قلتُ: بلى والله وقتلتني. فاخرجَ اليَّ مائة دينار وقال: انفقْ هذه في طريقك لتتوفَّر عليك تلك

محمد بن صالح العلوي يجير حمدونة بنت عيسى

حدَّث ابراهيم بن المدبّر قال: جاءني يوماً محمَّد بن صالح الحسني العلوي بعد ان أُطلقَ من الحبس فقال لي: اني اريد المقـامَ عندك اليوم على خلوة لأَبثّك من أَمري شيئاً لايصلحُ ان يسمعهُ غيرنا. فقلت: أَفعلُ. فصرفتُ مَن كان بحضرتي وخلوت معـهُ وأَمرتُ بردّ دابته واخذ ثيابه. فلما اطمأَنَّ واكلنا واضطجعنا قال لي: أُعلمك اني خرجتُ في سنة كذا وكذا ومعي اصحابي على القافلة الفلانية فقاتلنا من كان فيها فهزمناهم وملكنا القافلة. فبينما انا أَحوزهـا وأُنيخ الجمال اذ طلعتْ عليَّ امرأَة من العمارية ما رأَيت قط أَحسن منها وجهاً ولا أَحلى منطقاً فقالت: يا فتى إِن رأَيتَ أَن تدعو لي بالشريف المتولّي أَمر هذا الجيشِ. فقلت: قد رأَيتهِ وسمعَ كلامكِ. فقالت: سأَلتك بحق الله وحق رسوله أَنتَ هو. فقلت: نعم وحق الله وحق رسوله اني لهو. فقـالت: انا حمدونة بنت عيسى بن موسى بن أَبي خالد الحَرْبي. ولأَبي محلٌّ من سلطانهِ ولنا نعمة ان كنتَ ممَّن سمع بها فقد كفاك ما سمعتَ وان كنت لم تسمع بها فسل عنها غيري. ووالله لا استأْثرتُ عنك بشيءٍ املكـهُ ولك بذلك عهد الله وميثاقهُ عليَّ. وما اسأَلك الَّا ان تصونني وتسترني وهذه الف دينـار معي

لنفقتي فخذها حلالًا وهذا حَلْيٌ عليَّ من خمسمائة دينار فخذه . وضَمِنّي ما شئتَ
بعده آخذه لك من تجّار المدينة أو مكة او اهل الموسم فليس منهم احد
يمنعني شيئًا اطلبه . وادفعْ عني واحمِني من اصحابك ومن عارٍ يلحقني . فوقع
قولها من قلبي موقعًا عظيمًا فقلتُ لها : قد وهب الله لكِ مالكِ وجاهكِ
وحالك ووهب لكِ القافلة بجميع ما فيها . ثم خرجتُ فناديت في اصحابي
فاجتمعوا فناديت فيهم : اني قد أجرتُ هذه القافلة واهلها وخفرتها وحميتها . ولها
ذمَّة الله وذمَّة رسوله وذمَّتي فمن اخذ منها خيطًا أو عقالًا فقد آذنته بحربٍ .
فانصرفوا معي وانصرفت . فلما أُخذتُ وحبستُ بينما انا ذات يوم في محبسي اذ
جاءني السجّان وقال لي : ان بالباب امرأتين تزعمان انهما من اهلك وقد حُظر
عليَّ أن يدخل عليك أحدٌ . الّا انهما اعطتاني دُملُج ذهب وجعلتاه لي ان
أوصلتهما اليك وقد أذنت لهما وهما في الدهليز فاخرجْ اليهما ان شئتَ .
ففكرتُ فيمن يجيئني في هذا البلد وانا به غريب لا اعرف أحدًا . ثم قلت :
لعلّهما من وُلد أبي أو بعض نساء اهلي فخرجت اليهما فاذا بصاحبتي . فلمّا
رأتني بكت لِمَا رأت من تغيير خلقي وثقل حديدي . فأقبلتْ عليها الاخرى
فقالت : أهو هو . فقالت : إي والله انهُ لهو هو . ثم اقبلتْ عليَّ فقالت : فداك
أبي وامي والله لو استطعتُ ان أقيك ممّا أنت فيهِ بنفسي وأهلي لفعلتُ
وكنتَ بذلك مني حقيقًا . ووالله لا تركتُ المعاونة لك والسعيَ في حاجتك
وخلاصك بكل حيلة ومالٍ وشفاعةٍ . وهذه دنانير وثياب وطيب فاستعنْ بها
على موضعك ورسولي يأتيك في كل يوم بما يصلحك حتى يفرّج الله عنك . ثم
أخرجتْ اليَّ كسوة وطيبًا ومائتي دينار . وكان رسولها يأتيني في كل يوم بطعام
نظيف ويتواصلُ برّها بالسجّان فلا يمتنع من كل شيءٍ أريده . فمنّ الله بخلاصي

ثم راسلتها فخطبتُها . فقالت : امّا من جهتي فانا لك متابعة مطيعة . والامر الى
أبي . فأتيتهُ فخطبتها اليه . فردّني وقال : ما كنتُ لِأُحقِّقَ عليها ما قد شاع في
الناس عنك في أمرها وقد صيرتَنا فضيحة . فقمت من عنده مُنكسًا مستحيًا .
فقلت له : انّ عيسى صنيعة أخي وهو لي مطيعٌ وانا اكفيك أمرَهُ . فلما كان
من الغد لقيتُ عيسى في منزله وقلت له : قد جئتك في حاجة لي . فقال :
مقضيّة . ولوكنتَ استعملتَ ما أُحبُّهُ لأَمرتني فجئتك وكان أسرَّ اليَّ . فقلت
له : قد جئتك خاطبًا اليك ابنتك . فقال : هي لك أمة وأنا لك عبدٌ وقد
أجبتك . فقلت : اني خطبتها على مَن هو خيرٌ مني ابًا واماً واشرف لك صهرًا
ومتصلًا محمد بن صالح العلوي . فقال لي : يا سيّدي هذا رجلٌ قد لحقتنا
بسببهِ ظنّة وقيلت فينا اقوال . فقلت : أفليست باطلة . قال : بلى والحمد لله .
قلت : فكأنّها لم تُقَلْ واذا وقع الزواج زال كل قولٍ وتشنيع . ولم ازل ارفق
بهِ حتى أجاب . وبعثتُ الى محمد بن صالح فاحضرتهُ وما برحتُ حتى زوّجتهُ
وسُقتُ الصداق عنهُ

الكُمَيْت وقد فرَّ من الحبس واقامت امرأتهُ مكانهُ

حدَّث المستهلّ بن الكميت قال : كان حكيم بن عباس الاعور الكلبيّ
ولعًا بهجاء مُضر فكانت شعراء مضر تهجوه ويجيبهم . وكان الكميت يقول :
هو والله أشعر منكم . قالوا : فأجبِ الرجلَ . قال : انّ خالد بن عبد الله
القسريّ مُحسنٌ اليَّ فلا اقدر ان اردَّ عليهِ . قالوا : فاسمع باذنك ما يقول في
بنات عمك وبنات خالك من الهجاء . وأنشدوه ذلك . فحمِي الكميتُ
لعشيرتهِ فقال المذهَّبة « ألا حييتِ عنّا يامدينا » فأحسن فيها . وبلغ خالدًا

خبرُها فقال: لا أُبالي ما لم يجرِ لعشيرتي ذكرٌ . فأنشدوه قولهُ :

ومن عجب عليَّ لعمر امٍّ ... غذتك وغيرها تيـامينا(١)
تجاوزت المياه بلا دليل ... ولا علم تعسّف مخطئينا
فانك والتحول من معـدَ ... كَـهيْلة قبلنا وللحالبينا
تخطت خيرهم حلبا ونسئا ... الى الوالي المغادر هاربينا
كعنز السوء تنطحُ عالفيها ... وترميهـا عِصِيُّ الذابحينا

فبلغ ذلك خالدًا فقال: فعلَها . والله لاقتلنَّهُ . ثم اشترى ثلاثين جارية باغلى ثمن وتخيرهنَّ نهايةً في حسن الوجوه والكمال والادب فروَّاهنَّ الهاشميَّات ودسَّهنَّ مع نخَّاس الى هشام بن عبد الملك فاشتراهُنَّ جميعًا . فلمَّا أنس بهنَّ استنطقهنَّ فرأى فصاحةً وأدبًا فاستقراهنَّ القرآن فقرأنَ واستنشدهنَّ الشعرَ فأنشدنهُ قصائد الكميت الهاشميات . فقال: ويلكنَّ مَن قائل هذا الشعر . قلنَ الكميت بن زيد الاسدي . قال: وفي ايّ بلد هو . قلنَ: في العراق ثم بالكوفة . فكتب الى خالد وهو عاملهُ على العراق . ابعث اليَّ برأس الكميت بن زيد . فبعث خالد الى الكميت في الليل فأخذهُ واودعهُ السجنَ . ولمَّا كان من الغد أقرأ مَن حضرهُ من مضر كتابَ هشـام واعتذر اليهم من قتله وآذنهم في انفاذ الامر فيهِ في غد . فقال لإبانَ بن الوليد البجلي وكان صديقًا للكميت : انظر ما ورد في صديقك . فقـال : عزَّ عليَّ والله بهِ . ثم قام ابان فبعث الى الكميت بغلام على بغلٍ وقال لهُ : أَنت حرٌّ إن لحقتهُ والبغل لك . وكتب اليه : قد بلغني ما صرتَ اليهِ وهو القتلُ الَّا أن يدفع الله جلَّ وعزَّ . وأرى الك أَنْ تبعث الى حبي يعني زوجة الكميت فاذا دخلتْ اليك تنقبتَ نقابها ولبستَ

(١) كذا في الاصل

ثيابها وخرجتَ فاني أَرجو أَن لا يُوبَه لك . فأَرسل الكميتُ الى أَبي وضَّاح حبيب بن بديل والى فتيان من بني عمهِ . فدخل عليـهِ حبيب فأَخبرهُ الخبر وشاوره فيـهِ . فسدَّد رايه . ثم بعث الى حبي امرأَتهِ فقصَّ عليها القصة وقال لها : أَيْ ابنة عمّ انَّ الوالي لا يقدمُ عليكِ ولا يسلمك قومُكِ . ولو خفتـهُ عليكِ لما عرضتكِ لهُ . فالبستهُ ثيابها وازارها وخمرتهُ وقالت لهُ : أَقبلْ وادبر . ففعل . فقالت : ما أُنكرُ منك شيئًا الَّا يبسًا في كتفكَ فاخرُجْ على اسم الله . وأَخرجت معهُ جاريةً لها . فخرج وعلى باب السجن ابو وضاح ومعهُ فتيان من أَسد . فلم يوبه لهُ . ومشى والفتيان بين يديه الى سكة شبيب بناحيـة الكناس . فمرَّ بمجلس من مجالس بني تميم فقال بعضهم : رجل وربّ الكعبة وأَمر غلامه فاتَّبعهُ . فصاح بهِ أَبو الوضاح : يا كذا وكذا لا اراك تتبع هذه المرأَة منذ اليوم . وأَومأَ اليهِ بنعله . فولَّى العبدُ مدبرًا . وادخلهُ أَبو الوضاح منزلهُ . ولما طال على السجَّان الامر نادى الكميتَ فلم يجبهُ . فدخل ليعرف خبره . فصاحت بهِ المرأَة : وراك لا امَّ لك . فشقَّ ثوبهُ ومضى صارخًا الى باب خالد فأَخبرهُ الخبر . فأَحضرحبي فقال لها : يا عدوَّة الله احتلتِ على امير المؤمنين وأَخرجتِ عدوَّه لأُمثلنَّ بكِ ولاصنعنَّ ولافعلنَّ . فاجتمعتْ بنو أَسد اليهِ وقالوا : ما سبيلك على امرأَة منَّا خدعت . فخافهم فخلَّى سبيلها . (قال المستهل) وأَقام الكميت مدة متواريًا حتى اذا أَيقنَ ان الطلب قد خفَّ عنهُ خرج ليلًا في جماعة من بنى أَسد على خوف ووجل وفيمن معهُ صاعد غلامه . (قال) وأَخذ الطريق على القطقطانة وكان عالمًا بالنجوم مهتديًا بهـا . فلمَّا صار سُحَيْرًا صاح بنا : هوّموا يا فتيان . فهوّمنا . وقام يصلّي (قال أَبو المستهل) فرأَيت شخصًا فتضعضعت لهُ . فقال : ما لك . قلت : أَرى شيئًا مُقبلًا . فنظر اليـهِ فقال : هذا ذئب قد جاء

يستطعمكم. فجاء الذئب فربض ناحيةً فاطعمناه يد جزورٍ فتعرَّقها. ثم اهوينا لهُ باناء فيه ماء فشرب منهُ. وارتحلنا. فجعل الذئب يعوي. فقال الكميت: مالهُ ويلهُ ألم نطعمهُ ونسقيه. وما أعرفني بما يريد هو يُعلمنا انَّا لسنا على الطريق. تيامنوا يا فتيان. فتيامنّا. فسكن عواؤه. فلم نزل نسير حتى جئنا الشام. فتوارى في بني أسد وبني تميم وأرسل الى اشراف قريش وكان سيدهم يومئذٍ عنبسة بن سعيد بن العاص. فمشت رجالات قريش بعضها الى بعض وأتوا عنبسة فقالوا: يا أبا خالد هذه مكرمة قد أتاك الله بها. هذا الكميت ابن زيد لسانُ مُضر وكان امير المؤمنين كتب في قتلهِ فنجا حتى تخلص اليك والينا. فمضى عنبسة فاتى مسلمة بن هشام فقال لهُ: يا ابا شاكر مكرمة أتيتك بها تبلغ الثريا ان اعتقدتها فان علمتُ انك تفي بها والاَّ كتمتها. قال: وما هي. فأخبرهُ الخبر وقال. انهُ قد مدحكم عامةً وايَّاك خاصةً بما لم يُسمع بمثلهِ. فقال: عليَّ خلاصهُ. وبلغ ذلك هشامًا فدعا بهِ. ثم قال: أتجير على أمير المؤمنين بغير أمرهِ. فقال: كلاَّ ولكني انتظرت سكون غضبه. قال: احضرنيه الساعة فانهُ لا جوار لك. فقال مسلمة للكميت: يا أبا المستهل ان امير المؤمنين أمرني باحضارك. قال: أتُسلمني يا أبا شاكر. قال: كلاَّ ولكني احتال لك. ثم قال لهُ: انَّ معاوية بن هشام مات قريبًا وقد جزع عليهِ جزعًا شديدًا فاذا كان من الليل فاضربْ رواقك على قبرهِ وانا ابعث اليك بنيه يكونون معك في الرواق. فاذا دعا بك تقدَّمتَ اليهم أن يربطوا ثيابهم بثيابك ويقولوا: هذا استجار بقبر ابينا ونحن أحقّ من أجاره. فأصبح هشام على عادتهِ متطلعًا من قصره الى القبر فقال: من هذا. فقالوا: لعلهُ مستجير بالقبر. فقال: يُجار من كان الاَّ الكميت فانهُ لا جوار لهُ. فقيل: فانهُ الكميت. قال: يُحضر

أعنفَ احضارٍ. فلمَّا دُعي بهِ ربط الصبيان ثيابهم بثيابه. فلما نظر هشام اليهم أغرورقت عيناه واستعبر وهم يقولون: يا أمير المؤمنين استجار بقبر أبينا وقد مات ومات حظهُ من الدنيا فاجعلهُ هبةً لهُ ولنا ولا تفضحنا فيمن استجار بهِ. فبكى هشام حتى انتحب. ثم أقبل على الكميت فقال لهُ: يا كميت أنت القائل:

وان لا تقولوا غيرها تتعرَّفوا ... نواصيها تردى بنا وهي شزَّبُ

فقال: لا والله ولا أتان من أُتن الحجاز وحشية. فحمد الله واثنى عليهِ وصلّى على نبيهِ ثم قال: امَّا بعد فاني كنتُ أتدهدى في غمرة. وأعوم في بحر غواية. أخنى عليَّ خطَلها. واستفزَّني وهَمَها. فتحيرت في الضلالة. وتسكعت في الجهالة. مهرعًا عن الحق جائرًا عن القصد أقول الباطل ضلالاً. وأفوه بالبهتان وبالاً. وهذا مقام العائذ مبصر الهدى ورافض العماية. فاغسلْ عني يا أمير المؤمنين الحوبة بالتوبة. واصفح عن الزلة واعفِ عن الجرمة ثم قال:

كم قال قائلكم لعًا ... لك عند عثرته لعاثرْ
وغفرتمُ لذوي الذنو ... ب من الاكابر والاصاغرْ
أبني امية انكم ... أهل الوسائل والاوامرْ
ثقتي لكلّ ملمَّةٍ ... وعشيرتي دون العشائرْ
أنتم معادن للخلا ... فة كابرًا من بعد كابرْ
بالتسعة المتتابعين ... م خلائفًا وبخير عاشرْ
والى القيامة لا تزا ... ل لشافعٍ منكم وواترْ

ثم قطع الانشاد وعاد الى خطبتهِ فقال: اغضاءُ أمير المؤمنين وسماحته وصباحته ومناط المنتجعين بحبله مَن لا تحلّ حبوته لاساءة المذنبين. فضلاً عن

استشاطة غضبه بجهل الجاهلين. فقال له: ويلك يا كميت مَن زيّن لك الغواية ودلاك في العماية. قال: الذي أَخرج أَبانا من الجنة وأنساهُ العهد فلم يجد له عزماً. فقال: ايه انت القائل:

فقل لبني أُميّة حيث حلّوا ... وان خفت المهنّد والقطيعا

أَجاع الله من أَشبعتموهُ ... وأَشبع من بجوركم أُجيعا

بمرضيّ السياسة هاشميّ ... يكون حياً لأُمّتهِ ربيعا

فقال: لا تثريب يا امير المؤمنين ان رأيتَ ان تمحو عني قولي الكاذب. قال: بماذا. قال: بقولي الصادق:

أورثتهُ الحصان امّ هشامٍ ... حسباً ثاقباً ووجهاً نضيرا

وتعاطى بهِ ابن عائشة البد ... ر فأمسى لهُ رقيباً نظيرا

وكساه أَبو الخلائف مروا ... نُ سناءَ المكارم المأثورا

لم تجهّم له البطاح ولكن ... وجدتها لهُ معاناً ودورا

وكان هشام متكئاً فاستوى جالساً وقال: هكذا فليكن الشعر (يقولها لسالم ابن عبد الله بن عمر وكان الى جانبهِ). ثم قال: قد رضيت عنك يا كميت. فقبّل يده وقال: يا امير المؤمنين ان رأيتَ أَن تزيد في تشريفي ولا تجعل لخالد عليّ امارة. قال: قد فعلتُ. وكتب له بذلك وأَمر لهُ باربعين الف درهم وثلاثين ثوباً هشامية وكتب الى خالد أَن يخلي سبيل امرأته ويعطيها عشرين الفاً وثلاثين ثوباً. ففعل ذلك

حاتم وماوية امرأته

انّ ابن عمّ لحاتم كان يقال لهُ مالك قال لماوية امرأة حاتم: ما تصنعين بحاتم فوالله لئن وجد شيئاً ليتلفنّهُ وان لم يجد ليتكلفنّ وان مات ليتركنّ ولدهُ عيالاً على قومك. فقالت ماوية: صدقتَ انهُ كذلك. وكان النساء أَو بعضهنّ يطلّقنَ الرجالَ في الجاهلية وكان طلاقهنّ انهنّ ان كنّ في بيت من شعرٍ حوّلنَ الخباء. ان كان بابهُ قِبل المشرق حوّلنه قبل المغرب وان كان بابهُ قبل اليمن حوّلنه قبل الشام. فاذا رأى ذلك الرجل علم انها قد طلّقتهُ فلم يأتها. وانّ ابن عمّ حاتم قال لماوية وكانت أَحسن نساء الناس: طلّقي حاتماً وانا اتزوّج بكِ وانا خيرٌ لكِ منهُ واكثر مالاً وأَنا امسكُ عليكِ وعلى ولدك. فلم يزل بها حتى طلّقتْ حاتماً. فأَتاها حاتم وقد حوّلت باب الخباء فقال: يا عدي ما ترى امك عدى عليها. قال: لا ادري غير انها غيّرت باب الخباء وكأنهُ لم يلحن لما قال. فدعاه فهبط بهِ بطن وادٍ. وجاء قومٌ فنزلوا على باب الخباء كما كانوا ينزلون فتوافوا خمسين رجلاً. فضاقت بهم ماوية ذرعاً وقالت لجاريتها: اذهبي الى مالك فقولي لهُ: ان اضيافاً لحاتم قد نزلوا بنا خمسين رجلاً فأَرسلْ بنابٍ نَقْرِهم وابنٍ نَغْبِقهم. وقالت لجاريتها: انظري الى جبينهِ وفمهِ فان شافهك بالمعروف فاقبلي منهُ وان ضرب بلحيتهِ على زوره وأَدخلَ يده في راسهِ فاقفلي ودعيه. وانها لمّا أَتت مالكاً وجدتهُ متوسداً وطباً من لبنٍ وتحت بطنهِ آخر. فايقظتهُ. فادخل يدهُ في راسهِ وضرب بلحيته على زوره. فأَبلغته ما ارسلتها بهِ ماوية وقالت: انما هي الليلة حتى يعلم الناس مكانهُ. فقال لها: اقرإي عليها السلام وقولي لها: هذا الذي أَمرتُك ان تطلّقي حاتماً فيهِ

فما عندي من كبيرة قد تركت العمل. وما كنتُ لأَنحرَ صفيَّةً غزيرةً بشحم كلاها. وما عندي لبن يكفي اضياف حاتم. فرجعت الجارية فأَخبرتْها بما رأت منهُ وما قال. فقالت: ائتي حاتمًا فقولي: انَّ اضيافك قد نزلوا الليلة بنا ولم يعلموا بمكانك فارسل الينا بناب ننحرها ونقرهم وبلبن نسقيهم فانما هي الليلة حتى يعرفوا مكانك. فأَتت الجارية حاتمًا فصرخت بهِ فقال حاتم: لَبيكِ قريبًا دعوتِ. فقالت: ان ماوية تقرأ عليك السلام وتقول لك: انَّ اضيافك قد نزلوا بنا الليلة فأرسل اليهم بناب ننحرها لهم ولبن نسقهم. فقال: نعم وأَبي. ثم قام الى الابل فاطلق ثنيَّتينِ من عقاليهما ثم صاح بهما حتى اتى الخباء فضرب عراقيبهما. فطفقت ماوية تصيح وتقول: هذا الذي طلَّقتك فيهِ تترك ولدك وليس لهم شيء. فقال حاتم:

هل الدهر الَّا اليوم أَو امس او غدُ   كذاك الزمان بيننا يتردَّدُ
يرد علينا ليلة بعد يومها   فلا نحن ما نبقى ولا الدهر ينفدُ
لنا أَجلٌ امَّا تناهى امامهُ   فنحن على آثارهِ نتوردُ (١)

شاعر البرامكة وابو نوّاس

حدَّث ابن مناذر قال: حجَّ الرشيد بعد ايقاعهِ بالبرامكة وحج معهُ الفضل ابن الربيع وكان مضيقًا مملقًا. فهيَّأْتُ فيهِ قولًا أَجدتُ تنميقهُ وتنوقت فيهِ. فدخلت اليهِ في يوم التروية واذا هو يسأَل عني ويطلبني. فبدرني الفضل بن الربيع قبل ان أَتكلم فقال: يا أَمير المؤمنين هذا شاعر البرامكة ومادحهم.

(١) راجع هذه القصيدة مع ترجمة حاتم في كتاب شعراء النصرانية

وقد كان البشرُ ظهر لي في وجههِ لَمَّا دخلتُ. فتنكَّر وعبس في وجهي. فقال الفضل: مُرهُ يا امير المؤمنين أَن ينشدك قولهُ فيهم «أَتانا بنو الاملاك من آل برمك». فقال لي: انشدْ. فأَبيتُ. فتوعَّدني واكرهني. فانشدتهُ:

أَتانا بنو الآمال من آل برمكٍ   فيا طيب أَخبارٍ ويا حسن منظرِ
اذا نزلوا بطحاء مكة أَشرقتْ   بيحيى وبالفضل بن يحيى وجعفرِ
فتُظلم بغداد وتجلو لنا الدُّجى   بمكة ما حجُّوا ثلاثة اقمرِ
فما خُلقت الَّا لجودٍ اكفُّهم   وأَقدامهم الَّا لأَعواد منبرِ
اذا راض يحيى الامرَ ذلَّت صعابهُ   وناهيك من راعٍ لهُ ومدبّرِ
ترى الناس اجلالًا لهُ وكأَنهم   غرانيق ماءٍ تحت بازٍ مصرصرِ

ثم أَتبعتُ ذلك بأَنْ قلتُ: كانوا أَولياءَك يا أَمير المؤمنين أَيام مدحتُهم وفي طاعتك لم يلحقهم سخطك ولم تُحلِل بهم نقمتك ولم اكن في ذلك مبتدعًا ولا خلا احد من نظرائي من مدحهم. وكانوا قومًا قد أَظلَّني فضلهم واغناني رفدهم فأَثنيت بما أَولوا. فقال: يا غلام الطمْ وجههُ. فلُطمتُ والله حتى سَدِرتُ وأَظلم ما كان بيني وبين أَهل المجلس. ثم قال اسحبوه على وجههِ. ثم قال: والله لأَحرمنك ولا تركتُ احدًا يعطيك شيئًا في هذا العام. فسُحبت حتى أُخرجتُ وانصرفت وانا أَسوأُ الناس حالًا في نفسي وحالي وما جرى عليَّ. ولا والله ما عندي ما يقيم يومئذٍ قوت عيالي لعيدهم. فاذا بشاب قد وقف عليَّ ثم قال: أَعززْ عليَّ والله يا كبيرنا بما جرى عليك. ودفع اليَّ صرَّة وقال: تبلَّغ بما في هذه. فظننتها دراهم فاذا هي ثلثمائة دينار. فقلت لهُ: من أَنت جعلني الله فداءك. قال: انا أَخوك أَبو نواس فاستعن بهذه الدنانير اعذرني. فقبلتها وقلت: وصلك الله يا أَخي وأَحسنَ جزاءك

ذبح ابن أشعب

حدَّث يحيي بن محمد بن أبي قتيلة قال: غذى أشعب جديًا بلبن زوجته وغيرها حتى بلغ غاية. ثم جاء بهِ الى اسمعيل بن جعفر بن محمد فقال: بالله انهُ لابني قد رضع بلبن زوجتي حبوتك بهِ ولم أرَ احدًا يستاهلهُ سواك. (قال) فنظر اسمعيل الى فتنة من الفتن فأمر بهِ فذُبح وسُمِط. فأقبل عليهِ اشعب فقال: المكافأة. فقال: ما عندي والله اليوم شيء ونحن مَن تعرف وذلك غير فائت لك. فلما يئس منهُ قام من عنده فدخل على أبيهِ جعفر بن محمد ثم اندفع يشهق حتى التقت اضلاعه. ثم قال: أخلني. قال: ما معنا احد يسمع ولا عين عليك. قال: وثب ابنك اسمعيل على ابني فذبحهُ وانا انظر اليهِ. (قال) فارتاع جعفر وصاح: ويلك وفيمَ وتريد ماذا. قال: أمَّا ما أُريد فوالله مالي في اسمعيل حيلة ولا يسمع هذا سامع ابدًا بعدك. فجزاه خيرًا وأدخلهُ منزله وأخرج اليهِ مائتي دينار وقال لهُ: خذ هذه ولك عندنا ما تحبُّ. (قال) وخرج الى اسمعيل لا يبصر ما يطأ عليهِ. فاذا بهِ مترسل في مجلسهِ. فلما رأى وجد أبيهِ نكر وقام اليهِ. فقال: يا اسمعيل أو فعلتها باشعب قتلت ولده. (قال) فاستضحك وقال: جاءني بجدي من صفته كذا وخبَّره الخبر. فأخبرهُ أبوهُ ما كان منهُ وصار اليهِ. (قال) فكان جعفر يقول لاشعب: رعبتني رعبك الله. فيقول: روعة ابنك والله اياي في الجدي اكبر من روعتك انت في المائتي الدينار

عبد الله بن العباس وجدُّهُ والرشيد

حدَّث عبد الله بن العبَّاس الربيعي قال: كنت ارغب في الغناء فأظهرتُ لعمَّتي انني اشتهي ان أتعلَّم الغناء ويكون ذلك في سترٍ عن جدّي. وكان جدّي وعمتي في حالٍ من الرقَّة عليَّ والمحبة لي لا نهاية وراءها لأنَّ أبي توفي في حياة جدّي الفضل. فقالت: يا بنيَّ وما دعاك الى ذلك. فقلت: شهوة غلبتْ على قلبي ان مُنعت منها متُّ غمًّا. وكان لي في الغناء طبع قويّ. فقالت لي: أنت أعلمُ وما تختاره. والله ما أحبُّ منعك من شيء واني لكارهة أن تحذقَ ذلك وتشهر بهِ فتسقط ويفتضح أبوك وجدُّك. فقلت: لا تخافي ذلك فانما آخذ منهُ مقدار ما ألهو بهِ. فكنت آخذ الغناء عن جارية لجدّي وعن صواحباتها حتى تقدَّمتُ الجماعة حذقًا واقررنَ لي بذلك وصرتُ أُلازم مجلس جدّي. فكان يُسرُّ بذلك ويظنهُ تقرّبًا مني اليهِ. وانما كان وكدي فيهِ اخذ الغناء. فلم يكن يمرُّ لاسحق ولا لابن جامع ولا للزبير بن دحمان ولا لغيرهم صوتٌ الّا اخذتهُ. فكنت سريع الاخذ وانما كنت اسمعهُ مرَّتين أو ثلاثًا وقد صحَّ لي. واحسستُ من نفسي قوَّة في الصناعة. فكان اوَّل صوت صنعتهُ:

أتاني يُؤامرني في الصبو ح ليلًا فقلت لهُ غادِها

ثم صنعتُ في:

أقفر من بعد حلهِ سرفُ فالمنحنى فالعقيق فالجرف

وعرضتها على الجارية التي كنتُ آخذُ عنها وسألتها عمَّا عندها فيهما. فقالت: لا يجوز ان يكون في الصنعة شيء فوق هذا. وكان جواري الحرث بن بشخير

وجواري ابنه محمد يدخلنَ الى دارنا فيطرحنَ على جواري عمتي وجواري
جدّي وياخذنَ ايضًا مني ما ليس عندهنَّ من غناء دارنا. فسمعنني أُلقي
هذين الصوتين على الجارية فأخذنهما مني وسألنَ الجارية عنهما. فاخبرتهنَّ انهما
من صنعتي. فسألنها ان تصححهما لهنَّ ففعلتْ. فأخذنهما عنها. ثم اشتهرا حتى
غُنّي الرشيد بهما يومًا فاستظرفهما وسأل اسحق: هل تعرفهما. فقال: لا وانهما
لَمِن حسن الصنعة وجيّدها ومُتقنها. ثم سأل الجارية عنهما. فتوقفتْ خوفًا من
عمتي وحذرًا ان يبلغ جدّي انها ذكرتني. فانتهرها الرشيدُ. فأخبرته بالقصة.
فوجَّه من وقتهِ فدعا بجدّي. فلما أحضره قال لهُ: يا فضل أيكون لك ابنٌ
يغنّي ثم يبلغ في الغناء المبلغ الذي يمكنهُ معهُ ان يصنع صوتين يستحسنهما
اسحق وسائِر المغنّين ويتداولهما جواري القيان ولا تعلمني بذلك كأنَّك رفعتَ
قدره عن خدمتي في هذا الشأن. فقال لهُ جدّي: وحق ولائك يا امير
المؤمنين ونعمتك والَّا فانا نفيٌّ منهما بريء من بيعتك وعليَّ العهد والميثاق
والعتق والطلاق ان كنتُ علمت بشيء من هذا قط الَّا منك الساعة. فَمن
هذا مِن ولدي. قال: عبد الله بن العباس هو. فأحضرنيه الساعة. فجاء جدّي
وهو يكادُ ينشقُّ غيظًا فدعاني. فلمَّا خرجت اليهِ شتمني وقل: يا كلب بلغ من
أمرك ومقدارك ان تجسر على ان تتعلّم الغناء بغير اذني. ثم زاد ذلك حتى
صنعتَ. ولم تقنع بهذا حتى القيتَ صنعتك على الجواري في داري. ثم
تجاوزتهنَّ الى جوار الحرث بن بسخنير فاشتهرت وبلغ امرك امير المؤمنين
فتنكّر لي ولامني وفضحتَ آباءك في قبورهم وسقطتَ الابدَ الَّا من المغنين
وطبقة الخنياكرين. فبكيتُ غمًّا بما جرى وعلمت انهُ قد صدق. فرحمني
وضمَّني اليهِ وقال: قد صارت الآن مصيبتي في ابيك مصيبتين احدهما به

وقد مضى وفات والاخرى بك وهي موصولة بحياتي ومصيبته باقية العار عليَّ
وعلى أهلي بعدي. وبكى وقال: عزَّ عليَّ يا بنيَّ ان اراك أبدًا ما بقيتَ على غير
ما أُحبُّ وليست لي في هذا الامر حيلة لانهُ امرٌ قد خرج عن يدي. ثم قال:
جئني بعود حتى اسمعك وانظر كيف انت. فان كنت تصلح للخدمة في هذه
الفضيحة والَّا جئتهُ بك منفردًا وعرَّفتهُ خبرك واستعفيتهُ لك. فاتيتهُ بعود
وغنّيتهُ غناء قديمًا. فقال: لا بل غنِّ صوتيك اللذين صنعتهما. فغنيتهُ اياهما.
فاستحسنهما وبكى. ثم قال: بطلت والله يا بنيَّ وخاب املي فيك فوا حزني
عليك وعلى أَبيك. فقلت لهُ: يا سيّدي ليتني متُّ من قبل ما انكرتَهُ أَو
خرستُ وما لي حيلة ولكني وحياتك يا سيّدي والا فعليَّ عهدُ الله وميثاقه
والعتق والطلاق وكلُّ يمين يحلف بها حالف لازمة لي لا غنّيتُ ابدًا الَّا لخليفةٍ
او وليِّ عهدٍ. فقال: قد أَحسنتَ فيما نبهت عليهِ من هذا. ثم ركب وأمرني
فاحضرت فوقفت بين يديَّ الرشيد وانا ارعدُ. فاستدناني حتى صرت أقرب
الجماعة اليهِ ومازحني وأَقبل عليَّ وسكن مني وأمر جدّي بالانصراف وأَمر
الجماعة فحدّثوني وسقيت الجماعة وغنَّى المغنون جميعًا. فأَومأَ اليَّ اسحق الموصليّ
بعينهِ ان. ابدأ فغنِّ اذا بلغتِ النوبةُ اليك قبل ان تؤمر بذلك ليكون ذلك
أَصلح وأَجود بك. فلمَّا جاءت النوبة اليَّ أَخذت عودًا ممن كان الى جنبي
وقمت قائمًا واستأذنت في الغناء. فضحك الرشيد وقال: غنِّ جالسًا. فجلست
وغنيت لحني الاوّل فطرب واستعاده ثلاث مرَّات وشرب عليهِ ثلاثة انصاف
ثم غنّيت الثاني. فكانت هذه حالهُ وسكر فدعا بمسرور فقال لهُ: احمل الساعة
مع عبد الله عشرة آلاف دينار وثلاثين ثوبًا من فاخر ثيابي وعَيبة مملوءة
طيبًا. فحمل ذلك أجمع معي. ولم ازل كلما أرادَ وليُّ عهد أن يعلم مَن الخليفةُ

بعدَ الخليفةِ الوالي أَهو أم غيره دعاني فأَمرني بأَن أُغني فأُعرِّفهُ يميني فيستأْذن الخليفةَ في ذلك. فإن أَذن لي في الغناء عندهُ عرف انهُ وليّ عهد والّا عرف انهُ غيرهُ. حتى كان آخرهم الواثق فدعاني في ايام المعتصم وسأَلهُ ان يأْذن لي في الغناء فأَذن لي. ثم دعاني من الغد فقال: ما كان غناؤك الّا سببًا لظهور سرّي وسرّ الخلفاء قبلي ولقد هممتُ ان آمرَ بضرب رقبتك. لا يبلغني انك امتنعتَ من الغناء عند احدٍ. فوالله لئن بلغني لاقتلنك. فأَعتق من كنتَ تملكهُ يومَ حلفتَ وطلّقْ من كان يوجد عندك من الحرائر واستبدلْ بهنَّ. وعليَّ العوض من ذلك. وأَرحنا من يمينك هذه المشؤُومة. فقمت وانا لا اعقل خوفًا منهُ فاعتقت جميع من كان بقى عندي من مماليكي الذين حلفت يومئذٍ وهم في ملكي. وتصدّقت بجملة واستفتيت في يميني أَبا يوسف القاضي حتى خرجت منها. وغنّيتُ بعد ذلك اخواني جميعًا حتى شتهر امري وبلغ المعتصم خبري فتخلصت منهُ. ثم غضب عليَّ الواثق لشيء انكرهُ ووليَ الخلافة وهو ساخط عليَّ. فكتبت اليهِ:

اذكر امير المؤمنين وسائلي ... أَيام ارهب سطوة السيفِ
ادعو الهي ان اراك خليفة ... بين المقام ومسجد الخيف

فدعاني ورضي عني

قوة هلال

حدّث خالد عن كفيف بن عبد الله المازني قال: كنت يومًا مع هلال ونحن نبغي ابلًا لنا. فدفعنا الى قوم من بكر بن وائل وقد لغبنا وعطشنا

واذا نحن بفتية شباب عند ركيّة لهم وقد وردتْ ابلهم. فلما رأَوا هلالًا استهولوا خَلقه وقامته. فقام رجلان منهم اليهِ فقال لهُ احدهما: يا عبد الله هل لك في الصراع. فقال لهُ هلال: انا الى غير ذلك أَحوج. قال: وما هو. قال: الى لبن وماء فانني لغبٌ ظمآن. قال: ما انت بذائق من ذلك شيئًا حتى تعطينا عهدًا لتجيبنا الى الصراع اذا ارحتَ ورويتَ. فقال لهما هلال: انني لكم ضيفٌ والضيفُ لا يصارع ربَّ منزلهِ. وانتم مكتفون من ذلك بما أَقول لكم. اعمدوا الى اشدّ فحلٍ في ابلكم وأَهيبه صولةً والى اشدّ رجلٍ منكم ذراعًا. فإنْ لم أَقبض على هامة البعير وعلى يدِ صاحبكم فلا يمتنع الرجلُ ولا البعيرُ حتى أُدخلَ يدَ الرجل في فم البعير فإن لم افعل ذلك فقد صرعتموني. وان فعلتهُ علمتم ان صراع أَحدكم أَيسرُ من ذلك. (قال) فعجبوا من مقالتهِ تالك وأَومأُوا الى فحلٍ في الابل هائجٍ صائلٍ فطم. فأَتاه هلال ومعهُ نفر من اولئك القوم وشيخ لهم. فأَخذ بهامة الفحل ممّا فوق مشفره فضغطها ضغطةً جرجر الفحل واستخذى الفحل ورغى. وقال: ليعطني مَن أَحببتم يدهُ أُولجها في فم هذا الفحل. (قال) فقال الشيخ: يا قوم تنكّبوا هذا الشيطان فوالله ما سمعت فلانًا (يعني هذا الفحل) جرجر منذ نزل قبل اليوم فلا تعرضوا لهذا الشيطان. وجعلوا يتبعونهُ وينظرون الى خطوه ويعجبون من طول اعضائهِ حتى جازهم

عروة الصعاليك

كان عروة بن الورد في قوم اذا اصابتهم سنةٌ شديدة تركوا في دارهم المريضَ والكبيرَ والضعيفَ. وكان عروة بن الورد يجمع اشباه هولاء من دون

الناس من عشيرتهِ في الشدة ثم يحفر لهم الاسراب ويكنف عليهم الكُنُف (١) ويُكسيهم. ومَن قوي منهم إمَّا مريضٌ يبرأُ من مرضهِ أو ضعيفٌ تثوب قوته خرج بهِ معهُ فأغار وجعل لاصحابهِ الباقين في ذلك نصيباً. حتى اذا أخصب الناس وألبنوا وذهبتِ السنة ألحقَ كلَّ انسانٍ بأهلهِ وقسم لهُ نصيبهُ من غنيمةٍ ان كانوا غنموها. فربما اتى الانسانُ منهم أهلَهُ وقد استغنى. فلذلك سُمي عروة الصعاليك. فقال في بعض السنين وقد ضاقت حالهُ:

لعلَّ ارتيادي في البلاد وبغيتي ... وشدّي حيازيم المطية بالرحلِ
سيدفعني يومًا الى ربِّ هَجمةٍ ... يدافع عنها بالعقوق وبالبخلِ

فزعموا أن الله عزَّ وجلَّ قيَّض لهُ وهو مع قوم من هلال عشيرته في شتاء شديدٍ ناقتين دَهماوين. فنحر لهم إحداهما وحمل متاعهم وضعفاءَهم على الاخرى وجعل ينتقل بهم من مكان الى مكان. وكان بين النَّقرة والرَّبَذة فنزل بهم ما بينهما بموضع يقال لهُ ماوان. ثم ان الله عزَّ وجل قيَّض لهُ رجلًا صاحب مائة من الابل قد فرَّ بها من حقوق قومهِ وذلك اوَّل ما ألبنَ الناسُ. فقتله وأخذ ابلهُ وامرأتهُ وكانت من أحسن النساء. وأتى بالابل اصحاب الكنيف فحلبها لهم وحملهم عليها حتى اذا دنوا من عشيرتهم أقبل يقسمها بينهم وأخذ مثل نصيب أحدهم. فقالوا: لا واللات والعزَّى لا نرضى حتى تجعل المرأة نصيبًا فمن شاء اخذها. فجعل يهمُّ بأنْ يحمل عليهم فيقتلهم وينتزع الابل منهم ثم يذكر انهم صنيعتهُ وانهُ إن فعل ذلك أفسدَ ما كان صنع. فأفكر طويلًا ثم أجابهم الى ان يردّ عليهم الابل الّا راحلة يحمل عليها المرأة حتى

(١) الكنف جمع الكنيف وهو الحظيرة من الشجر تحظر عليهم كما تحظر على الابل فتقيهم من الريح والبرد

يلحق باهلهِ. فأبوا ذلك عليهِ حتّى انتدب رجلٌ منهم فجعل لهُ راحلةً من نصيبهِ. فقال عروة في ذلك قصيدتهُ التي اوَّلها:

ألا انَّ اصحاب الكنيف وجدتُهم ... كما الناس لمَّا أمرعوا وتموَّلوا
واني لمدفوعٌ اليَّ ولاؤهم ... بماوانَ اذ نمشي واذ نتململُ (١)
واني وايَّاهم كذي الامِّ اذ همت ... لهُ ماءَ (٢) عينيها تفدّي وتحمل
فباتت تحدُّ المرفقين كليهما ... توحوح ممَّا نالها وتولولُ
تخيَّرُ من أمرين ليسا بغبطةٍ ... هو الثكل الّا انها قد تجملُ

عروة الصعاليك والرجل ذو الصرامة والكعاعة

حدَّث حرّ بن قطن أنَّ ثمامة بن الوليد دخل على المنصور فقال: يا ثمامة أتحفظ حديث ابن عمك عروة الصعاليك ابن الورد العبسيّ. فقال: أي حديثهِ يا امير المؤمنين فقد كان كثير الحديث حسنه. قال: حديثهُ مع الهذلي الذي اخذ فرسهُ. قال: ما يحضرني ذلك فأرويه يا امير المؤمنين. فقال المنصور: خرج عروة حتّى دنا من منازل هذيل فكان منها على نحو ميلَين وقد جاع فاذا هو بارنب فرماها. ثم أورى نارًا فشواها واكلها. ودفن النار على مقدار ثلاثة اذرع وقد ذهب الليل وغارت النجوم. ثم اتى سرحة فصعدها وتخوَّف الطلب فلما تغيب فيها اذا الخيل قد جاءت وتخوفوا البيات. (قال) فجاءت جماعة منهم ومعهم رجل على فرس فجاء حتّى ركز رمحه في موضع النار وقال: لقد رأيت النار هاهنا. فنزل رجل فحفر قدر ذراع فلم يجد شيئًا. فأكبَّ

(١) وفي نسخة: نتململ. (٢) وفي نسخة: ارهنت له ماء

القومُ على الرجل يعذلونهُ ويعيبون أمره ويقولون: عنيتنا في مثل هذه الليلة القرَّة وزعمت لنا شيئًا كذبت فيهِ . فقال: ما كذبت ولقد رأيت النار في موضع رمحي . فقالوا: ما رأيت شيئًا ولكن تحذلُقك وتداهيك هو الذي حملك على هذا . وما نعجب الّا لانفسنا حين اطعنا أمرك واتبعناك . ولم يزالوا بالرجل حتّى رجع عن قولهِ لهم . فرجع الرجل ورجع القوم واتبعهم عروة حتى اذا وردوا منازلهم جاء عروة فكمن في كسر بيت . وجاء الرجل الى امرأته وقد اتاها عبد اسود بعلبة فيها لبن فقال . اشربي . فقالت: لا أو تبدأ . فبدأ الاسود فشرب وعروة ينظر . فقالت للرجل حين جاء: لعن الله صلبك عنيتَ قومك منذ الليلة . قال: لقد رأيت نارًا . ثم دعا بالعلبة ليشرب فقال حين ذهب ليكرع: ريح رجلٍ وربّ الكعبة . فقالت امرأتهُ: وهذه اخرى . وايّ ريح رجل تجدهُ في اناءك غير ريحك . ثم صاحت فجاء قومها فأخبرتهم خبره فقالت يتهمني ويظن بي الظنون . فأقبلوا عليهِ باللوم حتى رجع عن قولهِ . فقال عروة: هذه ثانية . (قال) ثم اوى الرجل الى فراشهِ فوثب عروة الى الفرس يريد أن يذهب بهِ . فضرب الفرس بيدهِ ونخر . فرجع عروة الى موضعهِ . ووثب الرجل فقال: ما كنت لتكذبني فما لك . فأقبلت عليهِ امرأتهُ لومًا وعذلًا . (قال) فصنع عروة ذلك ثلاثًا والرجل يقوم ويكلم الفرس . ثم اوى الرجل الى فراشهِ وضجر من كثرة ما يقوم فقال: لا أقوم اليك الليلة . وأتاه عروة فجال في متنهِ وخرج ركضًا . وركب الرجل فرسًا عنده انثى . (قال) فجعلت اسمعهُ خلفي يقول: الحقي فانك من نسله . فلما انقطع عن البيوت قال لهُ عروة بن الورد: ايها الرجل قِفْ فانك لو عرفتني لم تقدم عليَّ . انا عروة بن الورد وقد رأيتُ الليلة منك عجبًا . فأخبرني بهِ واردّ اليك فرسك . قال: وما هو . قال:

جئتَ مع قومك حتى ركزتَ رمحك في موضع نار كنتُ قد أوقدتها فثنوك عن ذلك فانثنيتَ وقد صدقتَ . ثم اتبعتك حتى أتيت منزلك وبينك وبين النار ميلان فأبصرتها منهما . ثم شممتَ رائحة رجل في اناءك وقد رأيتُ انا الرجل حين آثرته زوجتك بالاناء وهو عبدك الاسود . فقلتَ: ريح رجل . فلم تزل تثنيك عن ذلك حتى انثنيتَ . ثم خرجتُ الى فرسك فأردتهُ فاضطرب وتحرَّك فخرجتَ اليهِ . ثم خرجتَ وخرجتَ . ثم اضربتَ عنهُ . فرأيتك في هذه الخصال اكمل الناس ولكنك تنثني وترجع . فضحك وقال: ذلك اخوالي السوء . والذي رأيتَ من صرامتي فمن قبل أعمامي وهم هذيل . وما رأيت من كعاعتي فمن قبل اخوالي وهم بطن من خزاعة . والمرأة التي رأيتَ عندي امرأة منهم وانا نازل فيهم فذلك الذي يثنيني عن اشياء كثيرة . وانا لاحق بقومي وخارج عن اخوالي هولاء ومخلٍّ سبيل المرأة . ولولا ما رأيت من كعاعتي لم يقوَ على مناواة قومي احدٌ من العرب . فقال عروة: خذ فرسك راشدًا . قال: ما كنت لآخذهُ منك وعندي من نسلهِ جماعة مثله . فخذهُ مباركًا لك فيهِ . قال ثمامة: انَّ لهُ عندنا أحاديث كثيرة ما سمعنا لهُ بحديث هو اظرف من هذا

تطفُّل اسحق الموصليّ

حدَّث اسحق قال: غدوتُ يومًا وأنا ضجرٌ من ملازمة دار الخلافة والخدمة فيها فخرجت وركبت بَكرة وعزمت على أن أطوف الصحراء واتفرَّج . فقلت لغلماني: انْ جاء رسول الخليفة أو غيره فعرّفوه أني بكرت في بعض مهماتي

وأنكم لاتعرفون أين توجهتُ . ومضيت وطفت ما بدا لي . ثم عدت وقد حمي
النهار . فوقفت في الشارع المعروف بالحرم في فناء ثخين الظل وجناحٍ رحبٍ
على الطريق لأستريح . فلم ألبث أن جاء خادم يقودُ حمارًا فارهًا عليه جارية
راكبة تحتها منديل دبيقي وعليها من اللباس الفاخر ما لاغاية بعده . ورأيت لها
شمائل حسنة . فخرصتُ عليها أنها مغنية . فدخلت الدار التي كنت واقفًا عليها .
ثم لم ألبث أن جاء رجلان شابان جميلان . فاستأذنا فاذن لهما . فنزلا ونزلتُ
معهما ودخلت . فظنَّا أنَّ صاحب الدار دعاني . وظنَّ صاحب الدار أني
معهما . فجلسنا وأُتي بالطعام فأكلنا وبالشراب فوُضع . وخرجت الجارية وفي
يدها عود فغنَّت وشربنا . وقمت قومةً . وسأل صاحب المنزل الرجلين عني .
فأخبراه أنهما لا يعرفاني . فقال : هذا طُفيليٌّ ولكنهُ ظريف فأجملوا عشرتهُ .
وجئت فجلست . وغنَّت الجارية في لحن لي . فأدّتهُ أداء صالحًا . ثم غنَّت
اصواتًا شتّى . وغنت في أضعافها من صنعتي :

الطلول الدوارسُ　　فارقتها الاوانسُ
أوحشت بعد أهلها　　فهي قفرٌ بسابسُ

فكان أمرها فيهِ أصلح منهُ في الاوَّل . ثم غنت أصواتًا من القديم والحديث
وغنت في اثنائها من صنعتي

قلْ لمَن صدَّ عاتبا　　ونأى عنك جانبا
قد بلغتَ الذي أرد　　تَ وان كنت لاعبا

فكان أصلح ما غنّتهُ . فاستعدتهُ منها لاصحّحهُ لها . فأقبلَ عليَّ رجل من
الرجلين وقال : ما رأيت طفيليًا أصفق وجهًا منك لم ترضَ بالتطفيل حتى
اقترحتَ وهذا غايةُ المثل : طفيلي مُقترح . فاطرقتُ ولم أجبه . وجعل صاحبه

يكفُّهُ عني فلا يكفُّ . ثم قاموا للصلاة وتأخرتُ قليلًا . فأخذت عود الجارية ثم
شددتُ طبقته وأصلحتهُ اصلاحًا محكمًا وعدت الى موضعي فصلّيت . وعادوا .
ثم اخذ ذلك الرجل في عربدتِهِ عليَّ وانا صامت . ثم أخذتِ الجارية العود
فجسّتهُ وأنكرتْ حاله وقالت : من مسَّ عودي . قالوا : ما مسَّهُ أحد . قالت :
بلى والله لقد مسَّهُ حاذقٌ متقدِّم وشدَّ طبقته وأصلحهُ اصلاح متمكّن من
صناعته . فقلت لها : انا أصلحتهُ . قالت : فبالله خذهُ واضرب بهِ . فأخذتهُ وضربت
بهِ مبدأً صحيحًا ظريفًا عجيبًا صعبًا فيهِ نقرات محرّكة . فما بقي احد منهم الّا
وثب وجلس بين يديَّ . ثم قالوا : بالله يا سيدنا أتُغنّي . فقلت : نعم وأُعرّفكم
نفسي انا اسحق بن ابراهيم الموصلي ووالله اني لأتيهُ على الخليفة اذا كلّمني
وأنتم تسمعونني ما اكره منذ اليوم لاني تملحتُ معكم . فوالله لا نطقتُ بحرف
ولا جلست معكم حتى تخرجوا هذا المعربد المقيت الغثَّ . فقال لهُ صاحبه :
من هذا حذرتُ عليك . فأخذ يعتذر . فقلتُ : والله لانطقت بحرف ولا جلست
معكم حتى يخرجَ . فأخذوا بيدهِ فأخرجوه وعادوا . فبدأتُ وغنيت الاصوات
التي غنتها الجارية من صنعتي . فقال لي الرجل : هل لك في خصلةٍ . قلت : ما
هي . قال : تُقيم عندي شهرًا والجارية والحمار لك مع ما عليها من حليَ .
قلت : افعلُ . فأقمت عنده ثلاثين يومًا لايدري احد أين انا والمأمون يطلبني
في كل موضع فلا يعرف لي خبرًا . فلمَّا كان بعد ثلاثين يومًا أسلمَ اليَّ
الجارية والحمار والخادم فجئت بذلك الى منزلي . وركبت الى المأمون من وقتي .
فلمَّا رآني قال : اسحق ويحك أين تكون . فأخبرتهُ بخبري فقال : عليَّ بالرجل
الساعةَ . فدللتهم على بيتهِ فأُحضر . فسألهُ المأمون عن القصة فأخبرهُ . فقال لهُ :
أنت رجل ذو مروءة وسبيلك ان تعاونَ عليها . وأمرَ لهُ بمائة الف درهم وقال :

لا تعاشرنَّ ذلك المعربد النذلَ البتة. وأمر لي بخمسين الف درهم وقال:
احضرْني الجارية. فأحضرتها فغنّته. فقال لي: قد جعلت لها نوبة في كل يوم
ثلاثاء تغنّيني وراء الستارة مع الجواري. وأمر لها بخمسين الف درهم فربحت
والله بتلك الركبة وأربحتُ

دحمان والجارية والوليد

كان دحمان جمّالًا يكري الى المواضع ويتجر وكانت لهُ مروءة. فبينما هو
ذات يوم قد اكرى جمالهُ وأخذَ مالهُ اذ سمع رنّة. فقام واتبع الصوت. فاذا
جارية قد خرجت تبكي. فقال لها: أمملوكة أنتِ. قالت: نعم. فقال: لمن. فقالت:
لامرأة من قريش وسمّتها لهُ. فقال: أتبيعكِ. قالت: نعم. ودخلت الى مولاتها
فقالت: هذا انسان يشتريني. فقالت: ائذني لهُ. فدخل فسامها حتى استقرّ
أمر الثمن بينهما على مائتي دينار. فنقدها اياها وانصرف بالجارية فأقامت عندي
مدة اطرح عليها ويطرح عليها معبد والابجر ونظراؤهما من المغنين. ثم خرجت
بها بعد ذلك الى الشام وقد حذقت. وكنت لا ازال اذا نزلنا انزلُ الاكرياء
ناحية وأنزل معتزلًا بها ناحية في محمل واطرح على المحمل من اعبية الجمّالين
واجلس انا وهي تحت ظلّها فأخرج شيئًا فناكلهُ ونضع ركوةً لنا فيها لنا
شرابٌ فنشرب وتتغنّى حتى نرحل. ولم نزل كذلك حتى قربنا من الشام. فبينما
انا ذات يوم نازل وانا القي عليها لحنًا:

لو ردَّ ذو شفقٍ حمامَ منيةٍ   لرددتُ عن عبد العزيز حماما
صلّى عليك اللهُ من مستودعٍ   جاورتَ رمسًا في القبور وهاما

(قال) فرددتهُ عليها حتى اخذتهُ واندفعتْ تغنيه. فاذا انا براكب قد طلع

فسلّم علينا فرددنا عليهِ السلام. فقال: أتأذنوا لي ان انزل تحت ظلكم
هذا ساعةً. قلنا: نعم. فنزل. وعرضتُ عليهِ طعامنا وشرابنا فأجاب. فقدّمنا
اليهِ السفرة فأكل وشرب معنا واستعاد الصوت مرارًا. ثم قال للجارية:
أتغنين لدحمان شيئًا. قالت: نعم. قال: فغنيني صوتًا من صنعته: فغنّتهُ أصواتًا
من صنعتي. وغمزتُها ان لا تعرّفهُ أني دحمان. فطرب وامتلأ سرورًا وشرب
أقداحًا والجارية تغنيه حتى قرب وقت الرحيل. فأقبل عليَّ وقال. أتبيعني هذه
الجارية. فقلت: نعم. قال: بكم. قلت كالعابث: بعشرة آلاف دينار. قال: قد
اخذتها بها فهلمَّ دواةً وقرطاسًا. فجئتهُ بذلك. فكتب: ادفع الى حامل كتابي
هذا حين تقرأه عشرة آلاف دينار واستوصِ بهِ خيرًا وأعلمني بمكانه. وختم
الكتاب ودفعهُ اليَّ ثم قال: أتدفع اليَّ الجارية أم تمضي بها معك حتى تقبض
مالك. فقلت: بل أدفعها اليك. فحملها وقال: اذا جئتَ النجراء فسلْ عن
فلان وادفع كتابي هذا اليهِ واقبض منهُ مالك. ثم انصرفَ بالجارية. (قال)
ومضيتُ. فلمّا وردت النجراء سألتُ عن اسم الرجل فدُللتُ عليهِ. فاذا داره
دار ملك. فدخلت عليهِ ودفعت اليهِ الكتاب. فقبّلهُ ووضعهُ على عينيهِ ودعا
بعشرة آلاف دينار فدفعها اليَّ وقال: هذا كتابُ امير المؤمنين. وقال لي.
اجلس حتى أعلم امير المؤمنين بك. فقلت لهُ: حيث كنتُ فأنا عبدك وبين
يديك وقد كان أمر لي بانزال وكان بخيلًا فاغتنم ذلك. فارتحلت وقد كنت
أصبت بجملين وكانت عدّة اجمالي خمسة عشر فصارت ثلاثة عشر. (قال)
وسأل عني الوليد فلم يدرِ القهرمان اين يطلبني. فقال لهُ الوليد: عدّة جماله
خمسة عشر جملًا فارددها اليَّ. فلم أُوجد لانهُ لم يكن في الرفقة مَن معهُ خمسة
عشر جملًا ولم يعرف اسمي فيسأل عني. (قال) وأقامت الجارية عنده شهرًا

لا يسأل عنها. ثم دعاها بعد ان استبرئت وأُصلح من شانها. قال لها: غنيني
لدحمان. فغنت. وقال لها: زيديني. فزادت. ثم أقبلت عليه فقالت: يا امير
المؤمنين أو ما سمعت غناء دحمان منهُ. قال: لا. قالت: بلى والله. قال: أقول
لك لا فتقولين بلى والله. فقالت: بلى والله لقد سمعتهُ. قال: وما ذاك ويحك.
قالت: ان الرجل الذي اشتريتني منهُ هو دحمان. قال: أو ذلك هو. قالت:
نعم هو هو. قال: فكيف لم اعلم. قالت: غمزني بأن لا اعلمك فأمر فكتب الى
عامل المدينة بان يحمل اليهِ دحمان فحُمل فلم يزل عنده أسيرًا

جرير والفرزدق وراعي الابل

حدَّث ابو سعيد السكري قال: كان راعي الابل يقضي للفرزدق على
جرير ويفضلهُ. وكان راعي الابل قد ضخم أمرهُ وكان من شعراء الناس. فلما
اكثر من ذلك خرج جرير الى رجالٍ من قومهِ فقال: هلا تعجبون لهذا الرجل
الذي يقضي للفرزدق عليَّ وهو يهجو قومه وانا امدحهم فضربتُ رأيي فيهِ.
ثم خرج جرير ذات يوم يمشي ولم يركب دابتهُ وقال: والله ما يسرُّني ان اعلم
احدًا. وكان لراعي الابل والفرزدق وجلسائهما حلقة بأعلى المربد بالبصرة
يجلسون فيها. (قال) فخرجت اتعرَّض لهُ لألقاهُ من حيالٍ حيث كنتُ
أراهُ يمرُّ اذا انصرف من مجلسهِ وما يسرُّني ان يعلم أحدٌ. حتى اذا هو قد
مرَّ على بغلة لهُ وابنهُ جندل يسير وراءه على مهرٍ لهُ أحوى محذوف الذنب
وانسان يمشي معهُ يسألهُ عن بعض السببِ. فلما استقبلتهُ قلت: مرحبًا بك
يا أبا جندل. وضربت بشمالي على معرفة بغلتهِ. ثم قلت: يا أبا جندل ان قولك

يُستمع وانك تفضِّلُ الفرزدقَ عليَّ تفضيلًا قبيحًا وانا امدح قومك وهو يهجوهم
وهو ابن عمي ويكفيك من ذلك اذا ذكرنا ان تقول: كلاهما شاعر كريم. ولا
تحتمل مني ولا منهُ لائمة. (قال) فبينا انا وهو كذلك واقف عليَّ وما ردَّ
عليَّ بذلك شيئًا حتى لحق ابنهُ جندل فرفع كرمانية معهُ فضرب بها عجز بغلتهِ
ثم قال: لا اراك واقفًا على كلب من بني كليب كأنك تخشى منهُ شرًّا او
ترجو منهُ خيرًا. وضرب البغلة ضربة فرمحتني رمحة وقعتْ منها قلنسوتي. فوالله
لو يعوج عليَّ الراعي لقلت: سفيهٌ غويٌّ. ولكن لا والله ما عاج عليَّ. فأخذتُ
قلنسوتي فمسحتها ثم اعدتها على راسي. فسمعت الراعي قال لابنهِ. أما والله لقد
طرحت قلنسوته طرحة مشؤومة. ولا والله ما القلنسوة بأغيظ امره اليَّ لو كان
عاج عليَّ. فانصرف جرير غضبان حتى اذا صلَّى العشاء بمنزلهِ في علّية لهُ قال:
ارفعوا لي باطية من نبيذ واسرجوا لي. فأسرجوا لهُ وأتوه بباطية من نبيذ.
(قال) فجعل يهمهم. فسمعت صوتهُ عجوز في الدار فاطلعت في الدرجة حتى
نظرت اليهِ فاذا هو يحبو على الفراش لما هو فيهِ. فانحدرتْ فقالت:
ضيفكم مجنون رأيت منهُ كذا وكذا. فقالوا لها: اذهبي لطيتك نحن أعلمُ بهِ
وبما يمارس. فما زال كذلك حتى كان السحر. ثم اذا هو يكبر قد قالها ثمانين بيتًا
في بني نمير. فلما ختمها بقولهِ

فغُضَّ الطرف انك من نمير ... فلا كعبًا بلغتَ ولا كلابا

كبَّر ثم قال: أخزيتهُ وربِّ الكعبة. ثم أصبحَ حتى اذا عرف ان الناس قد
جلسوا في مجالسهم بالمربد وكان يعرف مجلسهُ ومجلس الفرزدق دعا بدهنٍ فادَّهن
وكفَّ راسهُ وكان حسن الشعر. ثم قال: يا غلام أسرج لي. فأسرج لهُ حصانًا.
ثم قصد مجلسهم حتى اذا كان موقع السلام قال: يا غلام ولم يسلم قل لعبيد

أبعثك نسوتك تكسبهنّ المال بالعراق. اما والذي نفس جرير بيده لترجعنّ اليهم بمير يسوءهنّ ولا يسرّهنّ. ثم اندفع فيهـا فأنشدها. (قال) فنكس الفرزدق وراعي الابل وأزم القوم. حتى اذا فرغ منها سار وثبت راعي الابل ساعتئذٍ فركب بغلته بشرّ وعرّ وخلّى المجلس حتى اتى الى المنزل الذي يترلهُ ثم قال لاصحابه: ركابكم ركابكم. فليس لكم ههنا مقام فضحكم والله جرير. فقال لهُ بعض القوم: ذاك شؤمك وشؤم ابنك. (قال) فما كان الّا ترحلهم. (قال) فسرنا الى اهلنا سيرًا ما سارهُ احد وهم بالشريف وهو اعلى دار بني نمير. فيحلف بالله راعي الابل انا وجدنا في اهلنا « فغضّ الطرف انك من نمير». وأقسمَ بالله ما بلغهُ انسي قط وان لجرير لأشياعًا من الجنّ. فتشاءمت بهِ بنو نمير وسبّوه وابنه. فهم يتشاءمون بهِ الى الآن

حكم اعرابيٍّ في اطيب طعام واشعر بيت

حدّث عوانة قال: صنع عبد الملك بن مروان طعامًا فاكثر وأطاب. ودعا اليهِ الناس فاكلوا. فقال بعضهم: ما أطيبَ هذا الطعام. ما نرى ان احدًا رأى اكثر منهُ ولا اكل أطيب منهُ. فقال اعرابي من ناحية القوم. امّا اكثر فلا. وامّا أطيب فقد والله اكلت أطيب منـهُ. وطفقوا يضحكون من قولهِ. فأشار اليهِ عبد الملك فأدنى منهُ فقال: ما انت بمحقّ فيما تقول الّا ان تخبرني بما يبين بهِ صدقك. فقال: نعم يا امير المؤمنين. بينما انا بهجر في ترب احمر في اقصى حجر اذ توفي أبي وترك كلاً وعيالاً. وكان لهُ نخل فكانت فيهِ نخلة لم ينظر الناظرون الى مثلها كأنّ تمرها اخفاف الرباع لم يرَ تمر قط اغلظ ولا

اصلب ولا اصغر نوًى ولا احلى حلاوة منها. وكانت تطرقها أتان وحشيـه قد القتها تاوي الليل تحتها. فكانت تُثبت رجليها في اصلها وترفع يديهـا وتعطو بفيها فلا تترك فيها الّا النبذ والمتفرّق. فاعظمني ذلك ووقع مني كل موقع. فانطلقتُ بقوسي واسهمي وانا اظنّ اني ارجع من ساعتي. فمكثت يومًا وليلة لا أراها حتى كان السحر أقبلت. فتهيأتُ لها فرشقتها فاصبتها واجهزت عليها. ثم عمدت الى سرّتها فافريتها. ثم عمدت الى حطب جزل فجمعتهُ الى رضف. وعمدت الى زندي فقدحت واضرمت النار في ذلك الحطب والقيت سرتها فيـهِ. وأدركني نوم السبات فلم يوقظني إلّا حرّ الشمس في ظهري. فانطلقتُ اليها فكشفتها وألقيت ما عليها من قذًى أو سواد أو رماد. ثم قلبت مثل الملاءة البيضاء. فألقيت عليها من رطب تلك النخلة المجزّعة والمنصّفة فسمعت لها أطيطًا كتداعي عامر وغطفان. ثم أقبلت أتناول الشحمة واللحمة فأضعها بين التمرتين وأهوي الى فمي. فبما أحلف اني ما اكلت طعامـًا مثلهُ قط. فقال لهُ عبد الملك: لقد اكلتَ طعامًا طيّبًا فمن أنت. قال: انا رجل جانبتني عنعنة تميم وأسد وكسكسة ربيعة وحُوشيّ أهل اليمن وان كنتُ منهم. فقال: من أيّهم انت. قال: من أخوالك من عذرة. قال: أولئك فصحـاء الناس فهل لك علم بالشعر. قال: سلني عما بدا لك يا امير المؤمنين. قال أيّ بيتٍ قالتهُ العرب امدحُ. قال: قول جرير:

أَلستم خير من ركب المطايا　　وأندى العالمين بطون راحِ

(قال) وجرير في القوم فرفع راسهُ وتطاول لها. ثم قال: فأيّ بيتٍ قالتـهُ العرب أفخر. قال: قول جرير:

اذا غضبتَ عليك بنو تميمٍ　　حسبتَ الناس كلهمُ غضابا

(قال) فتحرّكَ . ثم قال لهُ : فأيُّ بيتٍ أهجى . قال : قول جرير :

فغُضَّ الطرفَ انك من نمير   فلا كعباً بلغتَ ولا كلابا

(قال) فاستشرف لها جرير واهتزَّ وطرِب . ثم قال لهُ : فايُّ بيتٍ قالتهُ العرب أحسن تشبيهاً . قال: قول جرير :

سرى نحوهم ليلٌ كانَّ نجومهُ   قناديلُ فيهنَّ الذبالُ المفتَّلُ

فقال جرير : جائزتي للعُذريّ يا امير المؤمنين . فقال لهُ عبد الملك : ولهُ مثلها من بيت المال ولك جائزتك يا جرير لا تنتقص منها شيئاً . وكانت جائزة جرير اربعة آلاف درهم وتوابعها من الحملان والكسوة . فخرج العذري وفي يده اليمنى ثمانية آلاف درهم وفي اليسرى رزمة ثياب

بثينة وجميل

حدَّثت بثينة وكانت صدوقة اللسان جميلة الوجه حسنة البيان عفيفة قالت : والله ما أرادني جميل رحمة الله عليهِ بريبةٍ قط ولا حدَّثتُ انا نفسي بذلك منهُ . وانَّ الحيَّ انتجعوا موضعاً . واني لفي هودج لي أسير اذا انا بهاتفٍ ينشد أبياتاً . فلم اتمالك ان رميتُ بنفسي وأهلُ الحي ينظرون . فبقيتُ اطلب المنشد فلم أقف عليهِ . فناديتُ : ايها الهاتف بشعر جميل ما وراءك منهُ . واني أحسبهُ قد قضى نحبه ومضى لسبيله . فلم يجبني مجيب . فناديت ثلاثاً وفي كل ذلك لا يردُّ عليَّ احد شيئاً . فقال صواحباتي : أَصابكِ يا بثينة طائف من الشيطان . فقلت : كلاَّ لقد سمعتُ قائلاً يقول . قلنَ : نحن معكِ ولم نسمع . فرجعتُ فركبت مطيّتي وانا حيرى والهة العقل كاسفة البال . ثم سرنا . فلما

كان في الليل اذا ذلك الهاتف يهتف بذلك الشعر بعينهِ . فرميت بنفسي وسعيت الى الصوت . فلمّا قربت منهُ انقطع . فقلت : ايها الهاتف ارحم حيرتي وسكّن عبرتي بخبر هذه الابيات فانَّ لها شأناً . فلم يردّ عليَّ شيئاً . فرجعتُ الى رحلي فركبت وسرت وانا ذاهبة العقل . وفي كل ذلك لا يخبرني صواحباتي أنهنَّ سمعنَ شيئاً . فلمّا كانت الليلة القابلة نزلنا وأخذ الحيُّ مضاجعهم ونامت كل عين . فاذا الهاتف يهتف بي ويقول : يا بثينة اقبلي اليَّ انبئك عمّا تريدين . فأقبلتُ نحو الصوت فاذا شيخ كانهُ من رجال الحيّ . فسألتهُ عن اسمهِ وبيتهِ فقال : دعي هذا وخذي فيما هو أهمّ عليكِ . فقلت لهُ : وانَّ هذا لِمماَّ يهمُّني . قال : اقنعي بما قلتُ لكِ . فقلت لهُ : أأنت المنشد الابيات . قال : نعم . قلت : فما خبر جميل . قال : نعم فارقتهُ وقد قضى نحبه وصار الى حفرته رحمة الله عليهِ . فصرخت صرخة آذيت منها الحيّ وسقطت لوجهي فأُغمي عليَّ . فكانَ صوتي لم يسمعهُ أحدٌ وبقيتُ سائر ليلتي . ثم أفقتُ عند طلوع الفجر وأهلي يطلبونني فلا يقفون على موضعي . ورفعت صوتي بالعويل والبكاء ورجعت الى مكاني . فقال لي اهلي : ما خبركِ وما شأنكِ . فقصصتُ عليهم القصة . فقالوا : يرحم الله جميلاً . واجتمع نساء الحيّ وأنشدتهنَّ الابيات فأسعدنَني بالبكاء . فلم تزل كذلك لا يفارقنني ثلاثاً . وتحزّن الرجال ايضاً وبكوا ورثوه وقالوا كلهم : يرحمهُ الله فانهُ كان عفيفاً صدوقاً . فلم اكتحل بعدهُ بإثمدٍ ولا فرقت راسي بخَيط ولا مشط ولا دهنتهُ الّا من صداعٍ خفتُ على بصري منهُ ولا لبست خماراً مصبوغاً ولا ازاراً . ولا ازالُ كذلك أبكيه الى المات

ابن ابي دُواد يخلّص ابا دلف من يد الأفشين

قال أحمد بن أبي طاهر: كان أبو دلف القاسم بن عيسى في جملة من كان مع الافشين حيدر بن كاوس لمّا خرج لمحاربة بابك. ثم تنكّر له فوجّه يومًا بمن جاء به ليقتله. وبلغ المعتصمَ الخبرُ فبعث اليه باحمد بن أبي دواد وقال له: ادركْهُ وما أراك تلحقهُ فاحتلْ في خلاصهِ منهُ كيف شئتَ. (قال) فمضيتُ ركضًا حتى وافيتهُ. فاذا أبو دلف واقف بين يديه وقد اخذ بيده غلامان له تركيان. فرميت بنفسي على البساط وكنت اذا جئتهُ دعا لي بمصلّي. فقال لي: سبحان الله ما حملك على هذا. قلتُ: أنت اجلستني هذا المجلس. ثم كلّمتُهُ في القاسم وسألتهُ فيه وخضعت له. فجعل لايزداد الّا غلظةً. فلمّا رأيت ذلك قلت هذا عبدٌ وقد أغرقتُ في الرفق بهِ فلم ينفع وليس الّا أخذهُ بالرهبة والصدق. فقمت فقلت: كم تراك قدرتَ تقتل أولياء امير المؤمنين واحدًا بعد واحد وتخالف امرهُ في قائدٍ بعد قائد. قد حملتُ اليك هذه الرسالة عن امير المؤمنين فهاتِ الجواب. (قال) فذلّ حتّى لصق بالارض وبان لي الاضطراب فيهِ. فلمّا رأيتُ ذلك نهضت الى أبي دلف وأخذت بيدهِ وقلت له: قد أخذتهُ بأمر امير المؤمنين. فقال: لا تفعل يا أبا عبد الله. فقلت: قد فعلت. وأخرجتُ القاسم فحملتهُ على دابّة ووافيت المعتصم. فلمّا بصر بي قال: بك يا أبا عبد الله وريتُ زِنادي. ثم ردّ عليَّ خبري مع الافشين حدسًا بظنهِ ما اخطأ فيهِ حرفًا. ثم سألني عمّا ذكرهُ لي وهو كما قال. فأخبرتهُ انهُ لم يخطىء حرفًا

عُمر الميداني

حدّث عليُّ بن أُميّة قال: دخلتُ يومًا على عُمَر الميداني. وكان له بقّال على باب داره ينادمهُ ولا يفارقهُ ويقارضهُ اذا أعسرَ ويتصرّف في حوائجهِ فاذا حصلت له دراهم دفعها اليهِ يقبض منها ما رأى لا يسألهُ عن شيء. فوجدتُ عندهُ يومئذٍ هذا البقّال فقال لنا عمر: معي أربعة دراهم تعطوني منها لِعلَف حماري درهمًا والثلاث لكم فكلوا بها ما احببتم. وعندي نبيذ وانا أُغنيكم والبقال يُحضرنا من الابقال اليابسة ما في حانوتهِ. فوجّهنا بالبقّال فاشترى لنا بدرهم فاكهة وريحانًا وجاءنا من حانوتهِ بحوائج السكباج ونَقلٍ. فبينا نحن نتوقع الفراغ من القدر اذا بفرانق يدقّ الباب. فأدخلَهُ عمر. فقال له: أجبِ الامير اسحق بن ابراهيم. فحلف علينا عُمَر بالطلاق الّا نبرح ومضى هو. واكلنا السكباج وشربنا وانصرف عشاء. وبكّر اليَّ رسولهُ في السحر أنْ: صِرْ اليَّ. فصرت اليهِ فقلت: أعطني خبرك من النعل الى النعل. قال: دخلتُ فوُضعت بين يديّ مائدة كأنها جزعة يمانية قد فُرشت في عراصها الخبز. فاكلت وسُقيت رطلين. ودُفع اليَّ طنبور فدخلتُ الى اسحق فوجدتهُ في الصدر جالسًا وخلفهُ ستارة وعن يمينهِ مخارق وعن يسارهِ علوية فقال لي: أنت عمر الميداني. فقلت: نعم. فقال: أأكلت. فقلت: نعم. قال: ههنا او في منزلك. فقلت: بل ههنا. قال: أحسنت فغنِّ بصوتك الذي صنعتهُ في « يا شبيه الهلال كلل في الافق انجما » فغنيتهُ. فضرب الستارة وقال: قولوه انتم. فقالوه. فقال لمخارق وعلوية: كيف تسمعان. فقالا: هذا والله ذا وذا ذاك. فرددتهُ مرارًا وشرب عليهِ وقال لي: انا اليوم على خلوة ولك عليّ

دعوات فانصرفَ اليومَ بسلام. فخرجت ودفع الى الغلام خمسة آلاف درهم. فهي هذه والله لا استأثرتُ عليكم منها بدرهم. فلم تزل عندهُ تقصف حتى نفدت.

أبو العبَّاس بن ثوابة

قال علي بن الحسين الاصبهاني: حضرت أبا عبد الله الباقطاني وهو يتقلّد ديوان المشرق وقد تقلّد ابن أبي السلاسل ماسندان ومهرجان فقذف وجاءهُ ياخذ كتبه. فجعل يوصيه كما يوصي أصحاب الدواوين العمَّال. فقال ابن أبي السلاسل: كأنك استكثرتَ هذا العمل ايضاً. قد كنتَ تكتب لابي العباس ابن ثوابة ثم صرتَ صاحب ديوان. فقال لهُ الباقطاني: يا جاهل يا مجنون لولا انهُ قبيح عليَّ مكافأة مثلك لراجعت الوزير ايدهُ الله في أمرك حتَّى أزيل يدك. ومَن لي ان أجد مثل أبي ثوابة في هذا الوقت فاكتب لهُ ولا اريد الرئاسة. ثم أقبل علينا يحدّثنا فقال: دخلت مع أبي العباس بن ثوابة الى المهتدي وكان سليمان بن وهب وزيره. وكان يدخل اليهِ الوزير واصحاب الدواوين والعمَّال والكتَّاب فيعملون بحضرتهِ فيوقع اليهم في الاعمال. فأمر سليمانَ أن يكتب عنهُ عشرة كتب مختلفة الى جماعة من العمَّال. فأخذ سليمانُ بيد أبي العباس بن ثوابة ثم قال لهُ: أنت اليوم أحدُّ ذهناً مني فهلمَّ نتعاون. فدخلا بيتاً ودخلتُ معهما. وأخذ سليمانُ خمسة انصافٍ وأبو العباس خمسة أنصافٍ أُخَر. فكتبا الكتبَ التي أُمر بها سليمانُ ما احتاج احدهما الى نسخة. وقد اكمل كل واحد منهما ما كتب بهِ صاحبهُ فاستحسنهُ وقرّظهُ. ثم وضع سليمان الكتب بين

يدي المهتدي. فقال لهُ وقد قرأها: أحسنت يا سليمانُ ونعمَ الرجلُ أنت لولا المُعجَّل والمؤجل. وكان سليمان اذا ولَّى عاملًا اخذ منهُ مالًا معجَّلًا وأجَّل لهُ مالًا الى ان يتسلَّم عمله. فقال لهُ: يا امير المؤمنين هذا قول لا يخلو من أن يكون حقاً أو باطلًا. فان كان باطلًا فليس مثلك من يقولهُ. وان كان حقاً وقد علمتَ ان الاصول محفوظة فما يضرُّ مَن يساهمني من عمَّالي على بعض ما يصل اليهم من برّ من غير تحيُّف للرعية ولا نقص للاموال. فقال: اذا كان هكذا فلا بأس. ثم قال لهُ: اكتب الى فلان العامل يقبض ضيعة فلان المصروف المعتقل في يده وبباقي ما عليهِ من المصادرة. فقال لهُ أبو العباس ابن ثوابة: كلُّنا يا امير المؤمنين خدمك وأولياؤك وكلنا حاطب في حبلك وساعٍ فيما ارضاك وايَّد ملكك. أفنمضي ما تأمرُ بهِ على ما خُيِّلتَ أم نقول بالحق. قال: بل قل الحق يا احمد. فقال: يا امير المؤمنين الملك يقين والمُصادرة شك. أفترى ان أُزيل اليقين بالشك. قال: لا. قال: فقد شهدت للرجل بالملك وصادرتهُ عن شكٍّ فيما بينك وبينهُ وهل خانك أم لا فتجعل المصادرة صلحاً فاذا قبضت ضيعته بهذا فقد أزلتَ اليقين بالشك. فقال لهُ: صدقت ولكن كيف الوصول الى المال. فقال لهُ: انت لا بدّ لك من عمَّال على اعمالك وكلهم يرتزق ويرتفق فيجوز رفقه ورزقه الى منزله. فاجعلهُ احد عمالك ليصرف هذين الوجهين الى ما عليهِ ويسعفهُ معاملوه فيتخلص بنفسهِ وضيعتهِ ويعود اليك مالك. فأمر سليمانَ بن وهب بان يفعل ذلك. فلمَّا خرجا عن حضرة المهتدي قال لهُ سليمان: عهدي بهذا الرجل عدوُّك وكل واحد منكما يسعى على صاحبهِ فكيف زال ذلك حتى ثبَّتَّ عنهُ في هذا الوقت نيابة أحييتهُ بها وتحصلت نفسهُ ونعمته. فقال: انما كنت اعاديه واسعى عليهِ وهو يقدر على

الانتصاف مني . فاماً وهو فقير اليَّ فلا . فهذا ممـَّا يحظره الدين والصناعة والمروءة . فقال لهُ سليمان : جزاك الله خيرًا اما والله لاشكرنَّ هذه النية لك ولاعتقدنَّك من اجلها أخًا وصديقًا ولاجعلنَّ هذا الرجل لك عبدًا ما بقي . ثم قال الباقطاني : فمَن كان هذا وزنه وفعله يُعاب مَن يكتب له

مان الموسوس ومحمَّد بن عبد الله بن طاهر

قال ابن البراء حدَّثني أبي قال : عزم محمد بن عبد الله بن طاهر على الصبوح وعندهُ لحسن بن محمد بن طالوت فقال : لقد خطر ببالي رجل ليس علينا في منادمتهِ ثقل . قد خلا من ابرام الجالسين . وبرئَ من ثقل المؤانسين . خفيف الوطأة اذا ادنيته . سريع الوثبة اذا أمرتهُ . قال : مَن هو . قال : مان الموسوس . قال : ما اساتَ الاختيار . ثم تقدَّم الى صاحب الشرطة بطلبهِ واحضاره . فما كان باسرع من ان قبض عليهِ صاحب ربع الكرخ فوافى بهِ باب محمد بن عبد الله . فأُدخل ونُظِّف وأُخذ من شعرهِ وأُلبس ثيابًا نظافًا وأُدخل على محمد بن عبد الله . فلما مثل بين يديه سلَّم فردَّ عليهِ وقال لهُ : أَما حان لك ان تزورنا مع شوقنا اليك . فقال لهُ مان : اعزَّ الله الاميرَ الشوقُ شديدٌ . والودّ عتيد . والحجـاب صعب والبواب فظٌّ . ولو تسهَّل لنا الاذنُ تسهلت علينا الزيارة . فقال لهُ محمد : لقـد لطفت في الاستئذان . وأمره بالجلوس فجلس . وقد كان أُطعم قبل أن يدخل فأُتي محمد بن عبد الله بجارية لاحدى بنات المهديّ يقال لها منوس وكان يحبّ السماع وكانت تكثر ان تكون عنده . فكان اوَّل ما غنَّتهُ :

ولست بناسٍ اذ غدوا فتحمَّلوا   دموعي على الخدَّين من شدَّة الوجدِ
وقولي وقد زالت بعيني حمولهم   بواكر تُحدى لا يكنْ آخر العهدِ

فقال مان : أيأذن لي الامير . قال : فماذا . قال : في استحسان ما اسمع . قال : نعم . قال : أَحسنتِ والله . فان رأيتِ أن تزيدي مع الشعر هذين البيتين :

وقمت افاجي الدمع والقلب حائرٌ   بمقلة موقوفٍ على الضرّ والجهدِ
ولم يعدني هذا الامير بعدلـهِ   على ظالمٍ قد لجَّ في الهجر والصدّ

فقـال لهُ محمد : ومن اي شيء استعديتَ يا مان . فاستحيا وقال : لا من ظلم ايها الامير ولكن الطربُ حرَّك شوقًا كان كامنًا فظهر . فقال ابن طالوت : قد وجب شكرك يا مان . فساعدك دهرك . وعطف عليك إلفك . ونلت سرورك . وفارقت محذورك . والله يديم لنا ولك بقاء مَن ببقائهِ اجتمع شملنا وطاب يومنا . فقال مان :

مدمن التخفيف موصول   ومطيل اللبث مملول

فانا استودعكم الله . ثم قام فانصرف . فأمر لهُ محمد بن عبد الله بصلة . ثم كان كثيرًا ما يبعث بطلبهِ اذا شرب فيبرُّهُ ويصله ويقيم عنده

مان الموسوس والمؤذّن

حدَّثَ أبو العبَّاس بن عمَّار قال : كان مان يألفني وكان مليح الانشاد حلوه رقيق الشعر غزله . فكان ينشدني الشيء ثم يخالط فيقطعهُ . وكان يومًا جالسًا الى جنبي فأنشدني للعريان البصري :

ما أنصفتك العيون لم تكِفِ   وقد رأيت الحبيب لم يقفِ

فابكِ ديارًا هلَّ لحبيب بهـا ... يُباع منهـا الجفاء باللطفِ

(قال) فسألتهُ ان يمليها عليَّ ففعل . (قال) فبينما هو ينشد اذ نظر الى امام المسجد الذي كنّا بازائهِ قد صعد المأذنة ليؤذّن . فأمسك عن الانشاد ونظر اليهِ وكان شيخًـا ضعيف الجسم والصوت فأذّن اذانًا ضعيفًا بصوت مرتعش . فصعد اليهِ مان مسرعًا حتَّى صار معـهُ في رأس الصومعة . ثم اخذ بلحيتهِ فصفعهُ في صلعتهِ صفعة ظننت انهُ قد قلع رأسهُ وجاء لها صوت منكر شديد . ثم قـال لهُ : اذا صعدتَ المنارة لتؤذّن فطعطعْ ولا تطمطمْ . ثم نزل ومضى يعدو على وجههِ . ولقيت عَنَتًا من عنت الشيخ وشكواه اياي الى أبي ومشايخ الجيران يقول لهم : هذا ابن عمّار يجيء بالمجانين فيكتب هذيانهم ويسلطهم على المشايخ فيصفعونهم في الصوامع اذا أذّنوا . حتَّى صرتُ الى منزلهِ فاعتذرت وحلفت اني انما اكتبُ شيئًا من شعرهِ وما عرفت ما عملهُ ولا احيط بهِ علمًا

ابن ابي مَعْقِل ومُصعَب

قال ابن القداح : كان ابن أبي معقل كثير الاسفار في طلب الرزق . فلامتهُ امرأتهُ أمّ نهيك وهي ابنة عمـه على ذلك وقد قدم من مصر . فلم يلبث ان قال لها : جهزيني الى الكوفة الى المغيرة بن شعبة فانهُ صديقي وقد وليها . فجهزتهُ ثم قالت : لن تزال في اسفارك هذه حتَّى تموت . فقال لها : أو أثري . ثم انشأ يقول :

أأمّ نهيك ارفعي الطرْف صاعدًا ... ولا تيأسي ان يُثري الدهرَ بائسُ

ثم قدم المدنة فلم يزل مقيمًا بها حتَّى ولي مصعب بن الزبير العراق . فوفد

اليهِ ابن أبي معقل ولقيه . فدخل اليهِ يومًا وهو يندب الناس الى غزوة زرنج ويقول : مَن لها . فوثب عبد الله بن أبي معقل وقال : انا لها . فقـال لهُ : اجلس . ثم ندب الناس . فانتدب لها مرّةً ثانية . فقال لهُ مصعب : اجلس . ثم ندبهم ثالثة . فقال لهُ عبد الله : انا لها . فقال لهُ : اجلس . فقال لهُ : ادنني اليك حتَّى اكلمك . فأدناه فقال : قد علمتُ انهُ ما يمنعك منّي الّا انك تعرفني ولو انتدب اليها رجلٌ ممن لا تعرفه لبعثته . فلعلّك تحسدني ان اصبتُ خيرًا او أستشهد فاستريح من الدنيا وطلبها . فأعجبهُ قوله وجزالته فولّاهُ . فأصاب في وجههِ ذلك مالًا كثيرًا . وانصرف الى المدينة فقال لزوجتـهِ : ألم اخبرك في شعري :

سيغنيك سيري في البلاد ومطلبي ... وبعلُ التي لم تحظَ في الحيِّ جالسُ

فقالت : بلى والله لقد أخبرتني وصدق خبرك

بارك الله فيك وبارك الله عليك

حدث عمر بن شبة عن اسحق قال : كان بعض اهل نهيك قد تعاطى الغناء . فلما ظن انهُ قد أحكمهُ شاورني وأبي حاضر . فقلت لهُ : ان قبلتَ مني فلا تغني فلستَ فيهِ كما أرضى . فصاح أبي عليَّ صيحة شديدة ثم قال لي : وما يدريك ياصبيّ . ثم أقبل على الرجل فقال : أنت ياحبيبي بضدّ ما قـال وان لزمتَ الصناعة برعتَ فيها . فلما خلا بي قال لي : يا أحمق ما عليك ان يخزي الله مائة الف مثل هذا . هولاء اغنياء ملوك وهم يعيرونا بالغناء فدعهم يتهتّكوا بهِ ويُعيَّروا ويفتضحوا ويحتاجوا الينا فننتفع بهم ويبـين فضلنا لدى الناس

بأمثالهم . (قال) ولزمهُ النهيكي يأخذ عنــهُ ويبرّهُ فيجزل . فكان اذا غنّى
فاحسنَ قال لهُ : بارك الله فيك . واذا أساء قال : بارك الله عليك . وكثر
ذلك منهُ حتى عرف النهيكي معناه فيهِ . فغنّى يوماً وأبي ساهٍ عنهُ فسكت ولم
يقل لهُ شيئاً . فقال لهُ : جُعلت فداك يا أستاذي أهذا الصوت من اصوات
فيك أم عليك . فضحك أبي ولم يكنْ علم أبي انهُ قد فطن لقوله . ثم قال
لهُ : والله لاقبلنّ عليك حتى تصير كما تشتهي فانك ظريف أديب . وعني بهِ
حتى حسُن غناؤه وتقدم . وفيه يقول أبي :

أوجب الله لك الحقّ م على مثلي بظرفكْ
لن تراني بعــد هذا ناطقــاً الّا بوصفكْ
وترى القوّة فيمــا تشتهيهِ بعد ضعفكْ

حيلة ابي احمد بن الرشيد مع اسحق

حدّث ينشو مولى أبي احمد بن الرشيد قال : اشتراني مولاي ابو أحمد
ابن الرشيد واشترى رفيقي محموماً فدفعنا الى وكيل لهُ أعجميّ خراساني
وقال لهُ : انحدر بهذين الغلامين الى بغداد الى اسحق الموصلي . ودفع اليـهِ
مائة الف درهم وشهرياً بسرجهِ ولجامه وثلاثة ادراج من فضة مملوءة طيباً
وسبعة تخوت من بزّ خراساني وعشرة أسفاط من بزّ مصر وخمسة تخوت وشي
كوفي وخمسة تخوت خزّ سوسي وثلاثين الف درهم للنفقة وقال للرسول :
عرّف اسحق ان هذين الغلامين لرجل من وجوه أهل خراسان وجّه بهما
اليه ليتفضّل ويعلّمهما اصواتاً اختارها وكتبها لهُ في درج . وقال لهُ : كلّما

علّمهما صوتاً ادفع اليهِ الف درهم حتى يتعلما بها مائة صوت . فاذا علمهما
الصوتين اللذين بعد المائة فادفع اليهِ الشهري . ثم اذا علمهمـا الثلاثة التي
بعد الصوتين فادفع اليهِ بكل صوت درجاً من الادراج . ثم لكل صوت بعد
ذلك تختاً او سفطاً حتى ينفد ما بعثتُ بهِ معك . ففعل وانحدرنا الى بغداد
فأتينا اسحق وغنينا بحضرتهِ وبلّغهُ الوكيل الرسالة . فلم يزل يلقي علينا الاصوات
حتى اخذناها كما امرنا سيّدنا . ثم سرنا الى سرّ من رأى فدخلنا اليهِ وغنينـاه
جميع ما أخذناه فسرّهُ ذلك . وقدم اسحق سرّ من رأى والقيه مولانا فدعا بنا
وأوصانا بما اراد وغدا بنا الى الواثق وقال : انكما ستريان اسحق بين يديـه
فلا تسلّما عليهِ ولا توهماه انكما رأيتماه قط . وألبسنا اقبية خراسانيّة ومضينا
معهُ . فلما دخلنا على الواثق قال لهُ : ياسيدي هذان غلامان اشتُريا لي من
خراسان يغنيان بالفارسية . فقال : غنّيا . فضربنـا ضرباً فارسياً وغنينا غناءً
فهاذياً . فطرب الواثق وقال : أَحسنتما فهل تغنيـان بالعربية . قلنـا : نعم
واندفعنا نغني ما أَخذناه عن اسحق وهو ينظر الينا ونحن نتغـافل عنهُ حتى
غنينا اصواتاً من غنـائهِ . فقام اسحق ثم قال للواثق : وحياتك ياسيدي
وبيعتك والّا كلُّ ملك لي صدقة وكل مملوك لي حرّ ان لم يكـن هذان
الغلامان من تعليمي ومن قصتهما كيت وكيت . فقال لهُ ابو أحمد : ما أدري ما
تقول هذان اشتريتهما من رجل نخاس خراساني . فقال لهُ : بلغ ولعلك الى
هذا . ونخاس خراساني من أَين يحسن يختار مثل تلك الاغاني . فضحك
ابو أحمد ثم قال : صدق أَنِ احتلتُ عليهِ ولو رمت ان يعلمهما ما أَخذاه منهُ
اذا علم انهما لي بعشرة اضعاف ما اعطيتهُ لَما فعل . فقال لهُ اسحق : قد تمّت
عليّ حيلتهُ . وقال أبو احمد للواثق : ان أَردتَهما فخذهما . فقال : لا افجعك

بهما ياعمّ ولكن لاتمنعني حضورهما . فقال له : قد بذلت لك الملك فلا تؤثره أفتراني امنعك الخدمة . فكنا نخدمهُ بنوبة

الربعي وجعفر بن سليمان امير المدينة

حدّث الربعي المغني قال : قال لنا جعفر بن سليمان وهو امير المدينة : اغدوا على قصري بالعقيق غداً . وكنت انا ودحمان وعطرد . فغدوت للموعد فبدأت بمنزل دحمان وهو في جهينة فاذا هو وعطرد قد اجتمعا على قدر يطبخانها واذا السماء تبغش . فأذكرتهما الموعد فقالا : أما ترى يومنا هذا ما اطيبهُ اجلس حتى نأكل من هذا القدر ونصيب شيئاً ونستمتع من هذا اليوم فقال : ماكنت لافعل مع ما تقدم الامير بهِ اليَّ . فقالا لي : كأنَّا بالامير قد انحل عزمهُ وأخذك المطر الى ان تبلغ ثم ترجع الينا مبتلاً فتقرع الباب وتعود الى ما سألناك حينئذٍ . (قال) فلم التفت الى قولهما ومضيت . واذا جعفر مشرف من قصره والمضارب تضرب والقدور تنصب فلما كنت بحيث يسمع تغنيت :

وأستصحب الاصحاب حتى اذا ونوا　　وملّوا من الادلاج جئتكمُ وحدي

قال : وما ذاك . فأخبرتهُ . فقال : يا غلام هات اربعمائة دينار فانثرها في حجر الربعي . اذهب الآن فلا تحل لها عقدة حتى تريهما اياها . فقلت: وما في يدي من ذلك . ياتيانك غدا فتلحقهما بي . قال : ما كنت لأفعل . قلت : فلا امضي حتى تحلف لي انك لا تفعل . فحلف . فمضيت اليهما فقرعت الباب . فصاحا وقالا: ألم نقل لك ان هذه تكون حالك . فقلت: كلا . فاريتهما الدنانير فقالا:

ان الامير لحيٌّ كريم ونأتيه غدا فنعتذر اليهِ فيدعوه كرمه الى ان يلحقنا بك . فقلت: كذبتكما انفسكما والله اني قد احكمت الامر ووكدت عليهِ الايمان ان لا يفعل . فقالا: لا وصلتك رحم

الفرزدق والانصاري

أخبرَ أبو عبيدة قال : قدم الفرزدق المدينة في امارة إبان بن عثمان . فأتى الفرزدق وكُثيِّر عزَّة . فبينما هما يتناشدان الاشعار اذ طلع عليهما غلام شخت رقيق الادمة في ثوبين ممصرين (١) فقصد نحونا فلم يسلم وقال : أيكم الفرزدق . فقلت مخافة ان يكون من قريش : أهكذا تقول لسيّد العرب وشاعرها . فقال : لوكان كذلك لم أقل هذا . فقال لهُ الفرزدق : من انت لا امَّ لك . قال : رجل من الانصار ثم من بني النجار ثم انا ابن أبي بكر بن حزم . بلغني انك تزعم انك اشعر العرب وتزعمهُ مضر . وقد قال شاعرنا حسّان ابن ثابت شعراً فأردت ان اعرضهُ عليك وأؤجلك سنة . فان قلت مثلهُ فانت اشعر العرب كما قيل . والّا فأنت منتحل كذّاب . ثم انشدهُ : « ألم تسأل الربع الجديد التكلما » حتى بلغ الى قولهِ :

وأبقى لنا مرّ الحروب ورزؤها　　سيوفاً وادراعاً وجمّاً عرمرما

متى ما تردنا من معدٍّ عصابةٌ　　وغسانَ نمنعْ حوضنا أن يُهدَّما

لنا حاضر نعم وبادٍ كأنهُ　　شماريخ رضوى عزة وتكرما

بكل فتىً عاري الاساجع لاحهُ　　قراع الكماة يرشح المسك والدما

(١) اي مصبوغين بصفرة غير شديدة

ولدنا بني العنقاء وابنَي محرقٍ   فأَكرِمْ بذا خالًا وأكرم بذا ابنما

سود ذا المال القليل اذا بدا   مروءتهُ منا وان كان معدما

وانّا لَنقري الضيف ان جاء طارقًا   من الشحم ما امسى صحيحًا مسلّما

لنا الجفنات الغرّ يلمعنَ بالضحى   وأَسيافنا يقطرنَ من نجدةٍ دما

فأنشدهُ القصيدة وهي نيف وثلاثون بيتًا. وقال لهُ: قد اجلتك في جوابها حولًا. فانصرف الفرزدق مغضبًا يسحب رداءه وما يدري انهُ طرفهُ حتى خرج من المسجد. فأقبل على كثيِّر فقال لهُ: قاتل الله الانصار ما أفصح لهجتهم وأوضح حجتهم وأجود شعرهم. فلم نزل في حديث الانصار والفرزدق بقية يومنا حتى اذا كان من الغد خرجت من منزلي الى المسجد الذي كنت فيهِ بالامس فأتى كثيِّر فجلس معي. وانّا لنتذاكر الفرزدق ونقول: ليت شعري ما صنع. اذ طلع علينا في حلة أفواف قد أرخى غديرتيهِ حتى جلس في مجلسهِ بالامس. ثم قال: ما فعل الانصاري. فنلنا منهُ وشتمناه. فقال: قاتلهُ الله ما منيت بمثلهِ ولا سمعت بمثل شعرهِ فارقتهُ واتيت منزلي فأقبلت اصعد واصوت في كل فنّ من الشعر فكأني مفحم لم أقل شعرًا قط حتى اذا نادى المنادي بالفجر رحلت ناقتي وأخذت بزمامها حتى اتيت ريانا (وهو جبل بالمدينة). ثم ناديت باعلى صوتي: أخاكم أخاكم (يعني شيطانهُ). فجاش صدري كما يجيش المرجل. فعقلت ناقتي وتوسدت ذراعها فما قمت حتى قلت مائة بيت من الشعر وثلاثة عشر بيتًا. فبينا هو ينشد اذ طلع الانصاري حتى اذا انتهى الينا سلم علينا ثم قال: اني لم آتك لاعجلك على الاجل الذي وقتهُ لك ولكني أحببت ان لا اراك الّا سألتك عمّا صنعت. فقال: اجلس وانشده قوله:

عزفت باعشاش وما كنت تعزفُ   وانكرت من حدراء ما كنت تعرفُ

ولجّ بك الهجران حتى كأنما   ترى الموت في البيت الذي كنت تألفُ

حتى بلغ الى قولهِ:

ترى الناس ما سرنا يسيرون خلفنا   وان نحن أومأنا الى الناس وقّفوا

وانشدها الفرزدق حتى بلغ الى آخرها. فقام الانصاري كئيبًا. فلمّا توارى طلع أبوهُ أبو بكر بن حزم في مشيخة من الانصار فسلّموا عليهِ وقالوا: يا أبا فراس قد عرفت حالنا ومكاننا من رسول الله صلعم. وقد بلغنا ان سفيهًا من سفهائنا ربما تعرَّض لك فنسألك بحق الله وحق رسوله لما حفظت فينا وصية رسول الله صلعم ووهبتنا لهُ ولم تفضحنا. قال محمد بن ابراهيم: فاقبلت عليهِ اكلمهُ فلمّا اكثرنا عليهِ قال: اذهبوا فقد وهبتكم لهذا القرشي

ابن سريج وعديّ بن الرِقَاع

ان الاحوص وابن سريج قدما المدينة فنزلا في بعض الخانات ليصلحا من شأنهما. وقد قدم عدي بن الرقاع وكانت هذه حالهُ فنزل عليهما. فلمّا كان في بعض الليل أفاضوا في الاحاديث. فقال عدي بن الرقاع لابن سريج: والله لخروجنا كان الى امير المؤمنين أجدى علينا من المقام معك يا مولى بني نوفل. قال: وكيف ذلك. قال: لانك توشك ان تلهينا فتشغلنا عمّا قصدنا لهُ. فقال لهُ ابن سريج: او قلة شكر ايضًا. فغضب عدي وقال: انك لتمنّ علينا ان نزلنا عليك. واني اعاهد الله ان لا يظلّني واياك سقف الّا ان يكون بحضرة امير المؤمنين وخرج من عندهما. وقدم الوليد من باديتهِ فأذن لهما فدخلا. وبلغهُ خبر ابن الرقاع وما جرى بينهُ وبين ابن سريج. فأمر بابن سريج

فأُدخل في بيت . ودعا بعديّ فأدخله . فأنشده قصيدة امتدحهُ بها . فلمّا فرغ
أومأ الى بعض الخدم فأمر ابن سريج فغنّى في شعر عدي بن الرقاع
يمدح الوليد :

عرف الديار توهمـاً فاعتادها   من بعد ما شمل البلى ابلادها

فطرب عدي وقـال : لا والله ما سمعت يا امير المؤمنين بمثل هذا قط ولا
ظننت ان يكون مثله طيبـاً وحسناً ولولا انهُ في مجلس امير المؤمنين لقلت
طائف من الجنّ . أيأذن لي امير المؤمنين ان اقول . قال : قل . قال : مثل هذا
عند امير المؤمنين وهو يبعث الى ابن سريج يتخطى بهِ قبائل العرب فيُقال :
ابن سريج المغني مولى بني نوفل بعث امير المؤمنين اليهِ . فضحك ثم قال للخادم :
اخرجهُ . فخرج . فلما رآه عدي اطرق خجـلاً ثم قال : المعذرة الى الله واليك
يا اخي فمـا ظننت انك بهذه المنزلة وانك لحقيقٌ أن تحتمل عليَّ كل هفوة
وخطيئة . فأمر لهم الوليد بمال سوّى بينهم فيهِ ونادمهم يومئذٍ الى الليل

الأعشى والمحلّق

ذكر عليّ بن محمد النوفليّ ان اباهُ حدَّثهُ عن بعض الكلابيّين من اهل
البادية قال : كان لأبي المحلّق شرف . فمات وقد اتلف مالهُ وبقي المحلق وثلاث
اخوات لهُ ولم يترك لهم الّا ناقة واحدة وحلّتي برود جيدة كان يسدّ بها الحقوق .
فأقبل الاعشى من بعض اسفاره يريد منزله باليمامة . فنزل المـاء الذي بهِ
المحلق فقراه اهل الماء فأحسنوا قراه . فأقبلت عمـة المحلق فقالت : يا ابن أخي
هذا الاعشى قد نزل بمائنا وقد قراه اهل الماء والعرب تزعم انهُ لم يمدح قوماً

الّا رفعهم ولم يهجُ قومـاً الّا وضعهم فانظرْ ما اقول لك واحتلْ في زقّ من
خمر من عند بعض التجار فارسل اليه بهذه الناقة والزقّ وبردَتي أبيك . فوالله
لئن اعتلج الكبد والسنام والخمر في جوفهِ ونظر الى عطفيه في البردتين ليقولنَّ
فيك شعراً يرفعك بهِ . قال : ما املك غير هذه الناقة وانا اتوقّع رسلها . فأقبل
يدخل ويخرج ويهمّ ولا يفعل . فكلما دخل على عمتـهِ حضتهُ . حتى دخل
عليها فقال : قد ارتحل الرجل ومضى . قالت : الآن والله أحسن ما كان القرى
تُتبعهُ ذلك مع غلام أبيك (مولى لهُ اسود شيخ) . فحيثما لحقهُ أخبره عنك انك
كنتَ غائباً عن الماء عند نزوله اياه وانت لما وردت الماء فعلمت انهُ كان بهِ
كرهت ان يفوتك قراه . فانّ هذا أحسن لموقعهِ عنده . فلم تزل تحضهُ حتى
أتى بعض التجّار فكلمهُ ان يقرضهُ ثمن زق خمر وأتاهُ بمن يضمن ذلك عنهُ .
فأعطاه . فوجَّه بالناقة والخمر والبردين مع مولى أبيـهِ . فخرج يتبعهُ . فكلما
مرّ بماء قيل : ارتحلَ امس عنهُ . حتى صار الى منزل الاعشى بمفتوحة اليمامة
فوجد عندهُ عدّة من الفتيان قد غدّاهم بغير لحم وصبَّ لهم فضيخـاً . فهم
يشربون منهُ اذ قرع الباب . فقال : انظروا مَن هذا . فخرجوا فاذا رسول المحلق
يقول كذا وكذا . فدخلوا عليهِ وقالوا : هذا رسول المحلق الكلابي اتاك بكيت
وكيت . فقال : ويحكم أعرابيّ والذي أرسل اليَّ لا قدر لهُ . والله لئن اعتلج
الكبد والسنام والخمر في جوفي لاقولنَّ فيهِ شعراً لم أقل قط مثله . فواثبـهُ
الفتيان وقالوا : غبتَ عنّا فأطلتَ الغيبة ثم اتيناك فلم تطعمنا لحمـاً وسقيتنا
الفضيخ . واللحم والخمر ببابك . لا نرضى بذا منك . فقـال : ائذنوا لهُ . فدخل
فأدّى الرسالة وقـد اناخ الجزور بالباب ووضع الزق والبردين بين يديه . قال :
اقره السلام وقل لهُ : وصلتك رحم سيأتيك ثناؤنا . وقام الفتيان الى الجزور

فنحروها وشقوا خاصرتها عن كبدها وجلدها عن سنامها ثم جاءوا بهما. فأقبلوا يشبون وصبوا الخمر فشربوا. واكل معهم وشرب ولبس البردين ونظر الى عطفيه فيهما فانشأ يقول:

« أرقت وما هذا السهاد المؤرّق » حتى انتهى الى قوله:

أبا مسمع سار الذي قد فعلتم ... فأنجد اقوام بهِ ثم أعرقوا
بهِ تعقد الاجمال في كل منزل ... وتعقد اطراف الحبال وتطلقُ

قال فسار الشعر وشاع في العرب. فما اتت على المحلّق سنة حتى زوّج اخواتهِ الثلاث كل واحدة على مائة ناقة. فأيسر وشرف

مخارق يكيد اسحق عند الواثق

كان الواثق اذا أراد ان يعرض صنعتهُ على اسحق نسبها الى غيره وقال: وقع الينا صوت قديم من بعض العجائز ما سمعهُ أحد. ويامر مَن يغنّيه اياه. وكان اسحق يأخذ نفسهُ في ذلك بقول الحق أشدّ اخذ. فان كان جيدًا من صناعتهِ قرّظهُ ووصفه واستحسنهُ. وان كان مطرحًا او فاسدًا او متوسطًا ذكر ما فيهِ. فربما كان للواثق فيهِ هوًى فيسألهُ عن تقويتهِ واصلاح فساده. وربما اطّرحهُ بقول اسحق فيهِ. الى ان صنع لحنًا في قول الشاعر:

لقد بخلت حتى لو انّي سألتها ... قذى العين من ضاحي التراب لضنّتِ

فأعجب بهِ واستحسنهُ وأمر المغنين فغنّوا بهِ وأمر باشخاص اسحق اليهِ من بغداد ليسمعهُ. فكاده مخارق عندهُ وقال: يا امير المؤمنين ان اسحق شيطان خبيث داهية وان قولك له فما تصنعهُ: هذا صوت وقع الينا لا يخفى عليهِ بهِ انّ

الصوت لك ومن صنعتك ولا تُوقع في فهمهِ انهُ قديم. فيقول لك وبحضرتك ما يقارب هواك. فاذا خرج عن حضرتك قال لنا ضد ذلك. فاحفظ الواثق قولهُ وغاظهُ وقال لهُ: اريد على هذا القول منك دليلًا. قال: انا أُقيم عليهِ الدليل اذا حضر. فلما قدم بهِ وجلس في اوّل مجلس اندفع مخارق يغني لحن الواثق « لقد بخلت حتى لو انّي سألتها » فزاد فيهِ زوائد أفسدت قسمتهُ فسادًا شديدًا وخفيتْ على الواثق لكثرة زوائد مخارق في غنائهِ. فسألهُ الواثق عنهُ. فقال: هذا غناء فاسد غير مرضيّ عندي. فغضب الواثق وأمر باسحق فسُحب حتى أُخرج من المجلس. فلمّا كان من غد قالت فريدة للواثق: يا امير المؤمنين ان اسحق رجل يأخذ نفسهُ بقول الحق في صناعتهِ على كل حال ساءتهُ أو سرّتهُ لا يخاف في ذلك ضررًا ولا يرجو نفعًا وما لك منهُ عوض. وقد كاده مخارق عندك فزاد في صدر الصوت من زوائده التي تُعرف وتركه في المصراع الثاني على حالهِ. ونقّص من البيت الثاني. وقد تبيّنتُ ذلك وانا اعرضهُ على اسحق واغنّيه ايّاه على صحتهِ واسمع ما يقول. وما زالت تلطف للواثق حتى رضي عنهُ وأمر باحضارهِ. فغنّتهُ اياه فريدة كما صنعهُ الواثق. فلما سمعهُ قال: هذا صوت صحيح الصنعة والقسمة والتجزئة وما هكذا سمعتهُ في المرّة الاولى. ثم أخبر الواثق عن مواضع فساده وأبان ذلك لهُ بما فهمهُ. وغنّتهُ فريدة عدّة اصوات من القديم والحديث كلّها يقول فيها بما عنده من مدحٍ لبعضها وطعنٍ على بعض. فاستحسن الواثق ذلك وأجازه يومئذٍ وحباه وجفا مخارقًا مدّة لما فعله بهِ

صعصعة مُحيي المَوْؤُودات

قال صعصعة : خرجتُ باغيًا ناقتين لي فارقتين (١) فرفعتْ لي نار فسرتُ نحوها وهممت بالنزول فجعلتِ النـار تضيء مرَّة وتخبو اخرى . فلم تزل تفعل ذلك حتى قلتُ : اللهمَّ لك عليَّ ان بلّغتني هذه النـار أن لا اجد اهلها يوقدون لكربة يقدر احد من الناس ان يفرّجها الّا فرّجتها عنهم . (قال) فلم أسر الّا قليلًا حتى انتهينا . فاذا حيٌّ من بني أنمـار بن الهجيم بن عمرو ابن تميم . واذا بشيخ حادر أشعر يوقدها في مقدّم بيتهِ والنساء قـد اجتمعنَ الى امرأة ماخض قد حبستهنَّ ثلاث ليالٍ . فسلّمت . فقال الشيخ : مَن أنت . فقلت : أنا صعصعة بن ناجية بن عقال . قال : مرحبًا بسيّدنا . ففيمَ انت يا ابن اخي . فقلت : في بغاء ناقتين لي فارقتين عمي عليَّ اثرهمـا . فقال : قد وجدتهما بعد أن احيا الله بهما اهل بيت من قومك وقد نتجناهما وعطفت احداهمـا على الاخرى وهما تانِك في أدنى الابل . (قال) قلت : ففيمَ توقد نارك منذ الليلة . قال : اوقدها لامرأة ماخض قد حبستنا منذ ثلاث ليالٍ . وتكلمت النساء فقلنَ : قد جاء الولد . فقـال الشيخ : ان كان غلامًا فوالله ما ادري ما اصنع بهِ . وان كانت جارية فلا اسمعنَّ صوتها اني اقتلها . فقلت : يا هذا ذَرْها فانّهـا ابنتك ورزقها على الله . فقال : اقتلها . فقلت : أنشدك الله . فقال : اني اراك بها حفيًّا فاشترِها مني . فقلت : اني اشتريها منك . فقال : ما تعطيني . قلت : أُعطيك احدى ناقتيَّ . قال : لا . قلت : فأزيدك الاخرى . فنظر الى جملي الذي تحتي فقال : لا الّا ان تزيدني جملك هذا فاني اراه حسن اللون شابَّ السنّ . فقلت :

(١) الفارق التي تفرق اذا ضربها المخاض تشدُّ على وجهها حتى تنتج

هو لك والناقتان على ان تبلّغني اهلي عليهِ . قال : قد فعلت . فابتعتُها منـهُ بلقوحين وجمل وأخذت عليهِ عهد الله وميثاقهُ ليحسننَّ برّها وصلتها ما عاشت حتى تبين منهُ أو يُدركها الموت . فلما برزت من عنده حدّثتني نفسي وقلت : انّ هذه لَمكرُمة ما سبقني اليها احد من العرب . فآليت ان لا يئد أحد بنتًا لهُ الّا اشتريتها منهُ بلقوحين وجمل . فجاء الاسلام وقد فديتُ ثلثمائة موؤدة

أشعب والبخيل

حدَّث أشعب قال : وَلِيَ المدينة رجلٌ من ولد عامر بن لؤيّ وكـان أبخل الناس وانكدهم . وأغراه الله بي يطلبني في ليلهِ ونهاره . فان هربت منهُ هجم على منزلي بالشُرط وان كنت في موضعٍ بعث الى مَن اكون معهُ أو عنده يطلبني منهُ فيطالبني بأن احدّثهُ وأُضحكهُ . ثم لا اسكت ولا ينام ولا يطعمني ولا يعطيني شيئًا . فلقيت منهُ جهدًا عظيمًا وبلاءً شديدًا . وحضر الحجّ فقال لي : يا أشعب كن معي . فقلت : بأبي انت وامي انا عليل وليست لي نيّـة في الحجّ . فقال : عليهِ وعليهِ . وقال : انّ الكعبة بيت النار لئن لم تخرج معي لاودعنّك الحبس حتى اقدم . فخرجت معـهُ مكرَهًا . فلمّا نزلنا المنزل أظهر انهُ صائم ونام حتى تشاغلتُ . ثم أكل ما في سفرتهِ وأمر غلامهُ أن يطعمني رغيفين بملحٍ . فجئت وعندي انهُ صائم ولم ازل انتظر المغرب أتوقّع إفطاره . فلمّا صلّيت المغرب قلت لغلامـهِ : ما ينتظر بالاكل . قال : قد اكل منذ زمان . قلت : أو لم يكن صائمًا . قال : لا . قلت : أفأطوي انا . قال : قد أعدّ لك ما تأكلهُ فكلْ . وأخرج اليَّ الرغيفين والملح . فأكلتهما وبتُّ ميتًا جوعًا . وأصبحت

فسرنا حتى نزلنا المنزل فقال لغلامهِ . ابتع لنا لحماً بدرهم . فابتاعهُ . فقال: كبّب لي قطعاً . ففعل فاكلهُ ونصب القدر . فلما اغبرّت قال: اغرف لي منها قطعاً ففعل فاكلها ثم قال: اطرح فيها دُقّـة واطعمني منها . ففعل . ثم قال: ألقِ توابلها واطعمني منها . ففعل وانا جالس انظر اليـهِ لا يدعوني . فلمّا استوفى اللحم كلّه قال: يا غلام اطعم أشعب . ورمى اليَّ برغيفين . فجئت الى القدر واذا ليس فيها الّا مرق وعظام . فاكلت الرغيفين . واخرج لهُ جراباً فيهِ فاكهة يابسة فأخذ منها حفنة فأكلها وبقي في كفهِ كف لوز بقشره ولم يكن لهُ فيهِ حيلة . فرمى بهِ اليَّ وقال: كل هذا يا اشعب . فذهبت اكسر واحدة منها فاذا بضرسي قد انكسرت منهُ قطعة فسقطت بين يديَّ . وتباعدتُ اطلب حجرًا اكسرهُ بهِ فوجدتهُ فضربت بهِ لوزة فطفرت يعلم الله مقدار رمية حجرٍ . وغدوت في طلبها . فبينما انا في ذلك اذ أقبل بنو صعب (يعني ابن ثابت واخوتهُ) يلبون بتلك الحلوق الجمهورية . فصحت بهم: الغوث الغوث العياذ بالله وبكم يا آل الزبير الحقوني ادركوني . فركضوا اليَّ . فلمّا رأوني قالوا: أشعب ما لك ويلك . قلت: خذوني معكم تخلصوني من الموت . فحملوني معهم . فجعلت ارفرف بيديَّ كما يفعل الفرخ اذا طلب الزقّ من أبويه . فقالوا: ما لك ويلك . قلت: ليس هذا وقت الحديث زقوني ممّا معكم فقد متُّ ضرًّا وجوعاً منذ ثلاث . (قال) فأطعموني حتى تراجعت نفسي . وحملوني معهم في محمل ثم قالوا: اخبرنا بقصتك . فحدثتهم وأريتهم ضرسي المكسورة . فجعلوا يضحكون ويصفقون وقالوا: ويلك من أين وقعت على هذا . هذا من أبخل خلق الله او دنسهم نفساً . فحلفت بالطلاق اني لا ادخل المدينة ما دام لهُ بها سلطان . فلم ادخلها حتى عُزل

العديل والعبد دابغ

كان للعديل ثمانية اخوة . وامهم جميعاً امرأة من بني شيبان . منهم (وكان شاعرًا فارساً) اسود وسوادة وشملة . وكان للعديل واخوته ابن عمّ يسمى عمرًا . فتزوج بنت عمّ لهم بغير أمرهم . فغضبوا ورصدوه ليضربوه . وخرج عمرو ومعهُ عبد لهُ يسمى دابغاً . فوثب العديل واخوته فأخذوا سيوفهم . فقالت امهم: اني أعوذ بالله من شرّكم . فقال لها ابنها الاسود: واي شيء تخافين علينا فوالله لو حملنا باسيافنا على هذا الحنو حنو قراقر لما قاموا لنا . فانطلقوا حتى لقوا عمرًا . فلما رآهم ذُعر منهم وناشدهم فأبوا . فحمل عليهِ سوادة فضرب عمرًا ضربة بالسيف وضربهُ عمرو فقطع رجله . فقال سوادة:

ألا من يشتري رجلاً برجلٍ   تأتّى للقيام فلا تقومُ

وقال عمرو لدابغ: اضرب وانت حرّ . فحمل دابغ فقتل منهم رجلاً . وحمل عمرو فقتل آخر وتداولاهم فقتلا منهم أربعة وضرب العديل على راسهِ . ثم تفرّقوا وهرب دابغ حتى أتى الشام . فداوى ربضة بن النعمان الشيباني للعديل ضربته ومكث مدةً . ثم خرج العديل بعد ذلك حاجاً . فقيل لهُ: انّ دابغاً قد جاء حاجاً وهو يرتحل فيأخذ طريق الشام وقد اكترى . فجعل العديل عليهِ الرصد . حتى اذا خرج دابغ ركب العديل راحلته وهو متلثم وانطلق يتبعهُ حتى لقيهُ خلف الركاب يحدو بشعر العديل ويقول:

يا دار سلمى اقفرت من ذي قار   وهل باقفار الديار من عارِ

وقد كسينَ عرقاً مثل القار   يخرجنَ من تحت خلال الاوبارِ

فلحقهُ العديل فحبس عليـهِ بعيره وهو لا يعرفهُ ويسير رويداً ودابغ يمشي

رويدًا وتقدَّمت ابله فذهبت وانمـا يريد أن يباعده عنها بوادي حنين. ثم قال العديل: والله لقـد استرخى حقب رحلي. أنزلُ فاغيّر الرحل وتعينني. فنزل فغيّر الرحل وجعل دابغ يعينهُ حتى اذا شدّ الرحل أخرج العديل السيف فضربهُ حتى برد. ثم ركب راحلته فنجا وأنشأ يقول:

ألم ترني جللت بالسيف دابغًا ... وان كان ثأرًا لم يصبهُ غليلي
بوادي حنين ليلة البدر رعتهُ ... بأبيض من ماء الحديد صقيلِ
وقلت لهم هذا الطريق امامكم ... ولم آل اذ صاروا لهم بدليلِ

العديل والحجّاج

قال أبو عمـرو الشيباني: لمّا لجّ الحجّاج في طلب العديل لفظتهُ الارض ونبا بهِ كلُّ مكان هرب اليهِ. فاتى بكر بن وائل وهم يومئذٍ بادرنَ جمعٌ منهم بنو شيبان وبنو عجـل وبنو يشكر. فشكا اليهم أمره وقال لهم: انا مقتول أفتسلمونني هكذا وانتم اعزّ العرب. قالوا: لا والله ولكن الحجّاج لا يراغم ونحن نستوهبك منهُ فان أجابنا فقـد كفيت وان حادنا في امرك منعناك وسألنا أمير المؤمنين ان يهبك لنا. فأقام فيهم واجتمعت وجوه بكـر بن وائل الى الحجّاج فقالوا لهُ: ايها الامير انا قد جنينا جميعًا عليك جناية لا يُغفر مثلها وها نحن قد استسلمنا وألقينا بايدينـا اليك فأمّا وهبت فأهل ذلك انت وأمّا عاقبت فكنت المسلّط المالك العادل. فتبسّم وقال: قـد عفوت عن كل جرم الّا جرم الفاسق العديل. فقاموا على ارجلهم فقالوا: مثلك ايها الامير لا يستثني على اهل طاعتهِ وأوليائه في شيء. فان رأيت ان لا تكدّر منّتك باستثناء

وأن تهب لنا العديل في اوّل من تهب. قال: قد فعلت فهاتوه قبّحهُ الله. فأتوه بهِ. فلمّا مثل بين يديه أنشأ يقول:

خليل أمـير المؤمنين وسيفـه ... لكل امـامٍ صاحبٌ وخليلُ
بـهِ نصر الله الخليفـة منهمُ ... وثبّت ملكًا كاد عنـهُ يزولُ
فانت كسيف الله في الارض خالد ... تصول بعون الله حـين تصولُ
وجازيت اصحاب البلاء بلاءهم ... فما منهمُ عمـّا تحبُّ نُكولُ
وصلت بمرّان العراق فأصبحت ... مناكبها للوطء وهي ذلولُ
أذقت الحمام ابني عبـاد فاصبحوا ... بمنزل موهون الجناح نَكولُ
ومن قطريٍّ نلت ذاك وحولهُ ... كتائبُ من رجّالةٍ وخيولُ
اذا ما اتت باب ابن يوسف ناقتي ... أتت خير منزول بـهِ ونزيلُ
وما خفت شيئًا غير ربّيَ وحدهُ ... اذا ما انتحيت النفس كيفَ أقولُ
ترى الثقلَين الجنّ والانس اصبحا ... على طاعة الحجّاج حين يصولُ

فقال لهُ الحجّاج: أَولى لك قد نجوت. وفرض لهُ وأعطاه عطاءه

مباراة في إطعام الطعام

حدّثَ ابن عيّاش قال: كان حوشب بن يزيد بن الحويرث بن رويم الشيبانيّ وعكرمة بن ربعي يتنازعان الشرف ويتباريان في اطعام الطعام ونحر الجزر في عسكر مصعب. وكان حوشب يغلب عكرمة لسعة يدهِ. (قال) وقدم عبد العزيز بن يسار مولى بحتر الفقيه بسفائن دقيق. فأتاه عكرمة فقال لهُ: الله الله فيَّ قد كاد حوشب ان يستعليني ويغلبني بمالهِ فبعني هـذا الدقيق

بتأخير ولك فيه مثل ثمنه ربحاً. فقال: خذه. وأعطاه اياه. فدفعهُ الى قومهِ وفرّقهُ بينهم وأمرهم بعجنهِ كلّه فعجنوه كله. ثم جاء بالعجين كلّه فجمعهُ في هوّة عظيمة وأمر بهِ فغطي بالحشيش وجاء برَمَكة فقرّبوها الى فرس حوشب حتى طلبها وأفلت. ثم ركضوها بين يديه وهو يتبعها حتى ألقوها في ذلك العجين وتبعها الفرس حتى تورّطا في العجين وبقيا فيهِ جميعاً. وخرج قوم عكرمة يصيحون في العسكر يا معشر المسلمين ادركوا فرس حوشب فقد غرق في خميرة عكرمة. فخرج الناس تعجباً من ذلك أنْ تكون خميرة يغرق فيها فرس. فلم يبقَ في العسكر احد الّا ركب ينظر. وجاءوا الى الفرس وهو غريق في العجين ما يبين منهُ الّا رأسهُ وعنقه فما أُخرج الّا بالعمد والحبال. وغلب عليهِ عكرمة وافتضح حوشب. فقال العديل بن الفرخ يمدحهما ويفخر بهما:

وعكرمة الفياض فينا وحوشب ... هما فتيا الناس اللذا لم يغمرا
هما فتيا الناس اللذا لم ينلهما ... رئيسٌ ولا الاقبال من آل حميرا

قال: وفي حوشب يقول الشاعر:

وأجود بالمال من حاتم ... وأنحر للجزر من حوشبِ

الأعلم أحد العدّائين

حدّث عبد الله بن ابراهيم الجمحي قال: كان الأعلم أخو صخر الغيّ احد صعاليك هذيل وكان يعدو على رجليه عدواً لا يلحق واسمهُ حبيب بن عبد الله. فخرج هو وأخواه صخر وصخير حتى اصبحوا تحت جبل يقال لهُ السطاع في يوم

من ايام الصيف شديد الحرّ وهو متأبط قربة لهم فيها ماء. فأيبستها السموم وعطشوا حتى لم يكادوا أن يبصروا من العطش. فقال الاعلم لصاحبهِ: اشرب من القربة لعلّي أن أرِد الماء وانتظرني مكانك. وكانت بنو عدى بن الديل على ذلك الماء (وهو ماء لاطوافهم) يتفيئون بنخل متأخر عن الماء قدر رمية سهم. فأقبل يمشي متلثماً وقد وضع سيفهُ وقوسه ونبله فيما بينهُ وبين صاحبه. فلما برز للقوم مشى رويداً مشتملاً. فقال بعض القوم: من ترون الرجل. فقالوا: نراه بعض بني مدلج بن مرّة. ثم قالوا لبعضهم: القَ الفتى فاعرفهُ. فقال لهم: ما تريدون بذلك. الرجل آتيكم اذا شرب فدعوه فليس بمفيتنا. فأقبل يمشي حتى رمى براسهِ في الحوض مدبرًا عنهم بوجههِ. فلما روي أفرغ على راسهِ من الماء ثم أعاد نقابه ورجع في طريقهِ رويداً. فصاح القوم بعبدٍ لهم كان على الماء: هل عرفتَ الرجل الذي صدر. قال: لا. فقالوا: فهل رأيت وجهه. قال: نعم هو مشقوق الشفة. فقالوا: هذا الأعلم. وقد صار بينهُ وبين الماء مقدار رمية سهم آخر. فعدوا في اثرهِ وفيهم رجل يقال لهُ جذيمة ليس في القوم مثلهُ عدواً فأغروه بهِ. وطردوه فاعجزهم ومرّ على سيفهِ وقوسهِ ونبلهِ فاخذهُ. ثم مرّ بصاحبيه فصاح بهما: فصبرا معهُ فاعجزوهم

محمد بن عبد الملك الزيات (*) والمظلوم

حدّث هارون بن محمد بن عبد الملك قال: جلس أبي يوماً للمظالم.

(*) هو محمد بن عبد الملك بن أبان بن ابي حمزة الزيات واصلهُ من جيل ويكنى ابا جعفر. وكان ابوهُ تاجرًا من تجار الكرخ المياسير فكان يحثهُ على التجارة وملازمتها فيابى الّا الكتابة. وطلبها وقصد المعالي حتى بلغ منها آن وزر ثلاث دفعات وهو اول من تولى ذلك وتمّ لهُ

فلما انقضى المجلس رأى رجلًا جالسًا. فقال لهُ: أَلَك حاجة. قال: نعم تُدنيني اليك فاني مظلوم. فأدناه. فقال: اني مظلوم وقد أعوزني الانصاف. قال: ومن ظلمك. قال: انت ولست أَصِل اليك فأذكر حاجتي. قال: ومن يحجبك عني وقد ترى مجلسي مبذولًا. قال: يحجبني عنك هيبتي لك وطول لسانك وفصاحتك واطراد حجتك. قال: ففيمَ ظلمتك. قال: ضيعتي الفلانية اخذها وكيلك غصبًا بغير ثمن فاذا وجب عليها خراج أديتهُ باسمي لئلا يثبت لك اسم في ملكها فيبطل ملكي فوكيلك ياخذ غلتها وأنا اؤدي خراجها وهذا مما لم يسمع في الظلم مثلهُ. فقال محمد: هذا قول تحتاج عليهِ الى بيّنة وشهود واشياء. فقال لهُ الرجل: أيؤمّنني الوزير من غضبه حتى أُجيب. قال: قد أمّنتك. قال: البيّنة هم الشهود واذا شهدوا فليس يُحتاج معهم الى شيء. فما معنى قولك بيّنة وشهود واشياء أيش هذه الاشياء الّا العيّ والتغطرش. فضحك وقال: صدقت والبلاء موكّل بالمنطق واني لأرى فيك مصطنعًا. ثم وقّع لهُ بردّ ضيعتهِ وبأن يُطلق لهُ كرّ حنطة وكرّ شعير ومائة دينار يستعين بها على عمارة ضيعتهِ وصيّرهُ من اصحابهِ واصطنعهُ

محمد بن عبد الملك الزيات وابراهيم بن المهدي

حدّث عُبيد الله بن محمد بن عبد الملك قال: لما وثب ابراهيم بن المهدي على الخلافة اقترض من مياسير التجار مالًا. فأخذ من جدّي عبد الملك عشرة آلاف درهم. وقال لهُ: انا اردّها اذا جاءني مال ولم يتمّ أمره فاستخفى. ثم ظهر ورضي عنهُ المأمون. فطالبهُ الناس بأموالهم. فقال: انما اخذتها للمسلمين

واردت قضاءها من فيئهم والأمر الآن الى غيري. فعمل أبي محمد بن عبد الملك قصيدة فخاطب فيها المأمون ومضى بها الى ابراهيم بن المهدي فأقرأها اياه وقال: والله لئن لم تعطني المال الذي اقترضتهُ من أبي لاوصلنّ هذه القصيدة الى المأمون. فخاف ان يقرأها المأمون فيتدبر ما قالهُ فيُوقع بهِ فقال لهُ: خذ مني بعض المال ونجّم عليّ بعضهُ. ففعل أبي ذلك بعد أن حلّفهُ ابراهيم بأوكد الايمان أن لا يظهر القصيدة في حياة المأمون. فوفى لهُ أبي ذلك ووفى ابراهيم باداء المال كلّهِ. والقصيدة قوله

ألم ترَ أنّ الشيء للشيء علّةٌ   تكون لهُ كالنار تقدحُ بالزندِ
كذلك جرّبت الامور وانما   يدلّك ما قد كان قبل على البعدِ
وظنّي بابراهيم أنّ مكانهُ   سيبعث يومًا مثل أيامهِ النكدِ

حتى قال:

فوالله ما من توبةٍ نزعتْ بهِ   اليك ولا ميل اليك ولا ودِّ
ولكنّ اخلاص الضمير مقرّبٌ   الى الله زُلفى لا تخيب ولا تكدي
أتاك بها طوعًا اليك بانفهِ   على رغمهِ واستأثر الله بالحمدِ
فلا تتركن للناس موضع شبهةٍ   فانك مجزيٌّ بحَسب الذي تسدي
فقد غلطوا للناس في نصب مثله   ومن ليس للمنصور بابنٍ ولا المهدي
فكيف بمن قد بايع الناس والتقت   ببيعتهِ الركبان غورًا الى نجدِ
ومن سك تسليم الخلافة سمعهُ   ينادى بهِ بين السماطين من بعدِ
وايّ امرىءٍ سمّى بها قط نفسهُ   ففارقها حتى يُغيّبَ في اللحدِ
وتزعم هذي النابتيّة انّهُ   إمامٌ لها فيما تُسِرّ ولا تُبدي
تقولون سنّيٌّ وأيّة سنّةٍ   تقوم بجون اللون صلّ القفا جعدِ

وقد جعلوا رخص الطعام بعهدهِ | زعيماً لهُ باليُمنِ والكوكبِ السعدِ
اذا ما رأوا يوماً غلاءً رأيتهم | يحنّون تحناناً الى ذلك العهدِ
واقبالهُ في العيد يوجف حولهُ | وجيف الجياد واصطفاق القنى الجردِ
ورجّالةٌ يمشون بالبيض قبلهُ | وقد تبعوهُ بالقضيب وبالبردِ
فان قلت قد رام الخلافة غيره | فلم يُؤتَ فيما كان حاول من جدِّ
فلم أجزهِ اذ خيّب الله سعيهُ | على خطإٍ اذ كان منهُ على عمدِ
ولم ارضَ بعد العفو حتى رفعتهُ | وللعمّ أولى بالتغمّد والرفدِ
فليس سواءً خارجيٌّ رمى بهِ | اليك سفاه الرأي والرايُ قد يُردي
تعادت لهُ من كلّ أوبٍ عصابةٌ | متى يُوردوا لا يُصدروهُ عن الوردِ
ومن هو في بيت الخلافة تلتقي | بهِ وبك الآباء في ذروة المجدِ
فمولاك مولاهُ وجندك جندهُ | وهل يجمع القينُ الحسامَين في غمدِ
وقد رابني من أهل بيتك انني | رأيت لهم وجداً بهِ أيّما وجدِ
يقولون لا تبعدْ من ابن ملمّةٍ | صبورٍ عليها النفس ذي مرّة جلدِ
فدانا وهانت نفسهُ دون ملكنا | عليهِ لدى الحال التي قلَّ من يغدي
على حين أعطى الناسُ صفو اكفهم | عليَّ بن موسى بالولاية والعهدِ
فما كان فينا من أبى الضيم غيره | كريمٌ كفى ما في القبول وفي الردِّ
وجرّد ابراهيم للموت نفسهُ | وأبدى سلاحاً فوق ذي ميعة نهدِ
وأبلى ومن يبلغ من الأمر جهده | فليس بمذمومٍ وان كان لم يجدِ
فهذي امورٌ قد يخاف ذوو النهى | مغبّتها والله يهديك للرشدِ

دِعبِل واحمد السرّاج والمطّلب بن عبد الله بن مالك

أخبرَ عبد الله بن أبي الشيص قال: حدّثني دعبل قال: حججت انا وأخي رزين وأخذنا كتباً الى المطلب بن عبد الله بن مالك وهو بمصر يتولّاها. فصرنا من مكة الى مصر. فصحبنا رجلٌ يعرف بأحمد بن فلان السرّاج فما زال يحدّثنا ويؤانسنا طول طريقنا ويتولّى خدمتنا كما يتولّاها الرفقاء والاتباع. ورأيناه حسن الادب. وكان شاعراً ولم نعلم وكتمنا نفسه وقد علم ما قصدنا له. فعرضنا عليهِ ان يقول في المطلب قصيدة ننحلهُ اياها. فقال: ان شئتم. وأرانا بذلك سروراً وتقبلاً لهُ. فعملنا قصيدة وقلنا لهُ: تنشدها المطلب وانّك تنتفع بها. فقال: نعم. ووردنا مصر بهِ فدخلنا الى المطلب وأوصلنا اليهِ كتباً كانت معنا وانشدناهُ فسُرَّ بموضعنا. ووصفنا لهُ أحمد السرّاج هذا وذكرنا لهُ أمره. فأذن لهُ فدخل عليهِ ونحن نظنّ انهُ سينشد القصيدة التي نحلناهُ اياها. فلما مثل بين يديه عدل عنهُ وانشدهُ:

لم آتِ مطلباً الّا بمطلب | وهمّةٍ بلغتْ بي غاية الرتبِ
افردتهُ برجاء ان تشاركهُ | في الوسائل أو ألقاه في الكتبِ

(قال) وأشار الى كتبي التي اوصلتها اليهِ وهي بين يديه فكان ذلك اشدّ من كل شيءٍ مرَّ بي منهُ عليَّ. ثم أنشده:

رحّلتُ عيسي الى البيت الحرام على | ما كان من وصَبٍ فيها ومن نصَبِ
ألقي بها وبوجهي كلَّ هاجرةٍ | تكاد تقدح بين الجلد والعصبِ
حتى اذا ما قضت نسكي ثنيت لها | عطف الزمام فأمّتْ سيّد العربِ
فأمّمتكَ وقد ذابت مفاصلُها | من طول ما تعبٍ لاقت ومن نقبِ

اني استجرت باستارين مستلمًا ركنين مطّلبًا والبيتَ ذا الحُجُبِ
فذاك للأجَل المأمول ألمسهُ وأنت للعاجل المرجوّ والطلبِ
هذا ثنائي وهذي مصر سانحةٌ وانت أنت وقد ناديتُ من كثبِ

(قال) فصاح مطّلب: لبيّك لبيك ثم قام اليهِ فأخذ بيدهِ وأجلسهُ معهُ وقال: يا غلمان البدر. فأُحضرت. ثم قال: الخلع فنُشرت. ثم قال: الدوابّ. فقُيّدت. فأمر لهُ من ذلك بما ملأ عينه وأعيننا وصدورنا وحسدناه عليهِ. وكان حسدنا لهُ بما اتفق لهُ من القبول وجودة الشعر وغيظنا بكتمهِ ايانا نفسه واحتيالهِ علينا أكثرَ واعظم. فخرج بما أمر لهُ بهِ وخرجنا صفرًا

دِعْبِل وابو سعد المخزومي

حدّث عليُّ بن أبي عمرو الشيباني قال: جاءني اسمعيل بن ابراهيم بن ضمرة الخزاعي فقال لي: اني سألت دعبلًا ان أقرأ عليهِ قصيدته التي يناقض بها الكميت:

أفيقي من ملامك يا ظعينا كفاك اللوم مرّ الاربعينا

فقال لي اسمعيل: قال لي دعبل: يا أبا الحسن فيها اخبار وغريب فليكن معك رجل يقرأها عليَّ وانت معهُ فيكون اهون عليَّ منك. فقلت لهُ: لقد اخترت صديقًا لي يقال لهُ عليّ. فقال: أمن العرب هو. قلت: نعم. قال: من اي العرب. قلت: من بني شيبان. قال: شيبان كندة. فقلت: بل شيبان ربيعة. فقال لي: ويحك أتاتيني برجل أُسمعهُ ما يكره في قومهِ. فقلت لهُ: انهُ رجل يحتمل ويحب ان يسمع ما لهُ وعليهِ. فقال: في مثل هذا أريحية فأتني بهِ. فصرنا اليهِ. فلمّا لقيه قال: قد أخبرني عنك أبو الحسن بما سُررت بهِ أن كنت

رجلًا من العرب تحب ان تسمع ما لك وعليك لكيلا تُغبَن. فقرأنا عليهِ الشعر حتى انتهينا في القصيدة الى قولهِ:

من أيّ ثنيّةٍ طلعتْ قريشٌ وكانوا معشرًا متنبّطينا

فقال دعبل: معاذ الله ان يكون هذا البيت لي. ثم قال: لعنهُ الله وانتقمَ منهُ دسّهُ والله في هذا الشعر. وضرب بيدهِ الى سكين كانت معهُ فجرّد البيت بجدّها ثم قال لنا: أحدّثكم عنهُ بحديث ظريف: جاءني يومًا ببغداد أشدّ ما كان بيني وبينه من الهجاء وبين يديّ صحيفة ودواة وانا أهجوه فيها اذ دخل عليَّ غلام لي فقال: أبو سعد المخزومي بالباب. فقلت لهُ: كذبتَ. فقال وهو عارف بأبي سعد: بلى والله يا مولاي. فأمرتهُ برفع الدواة والجلد الذي كان بين يديّ وأذنت لهُ في الدخول وجعلتُ أحمدُ الله في نفسي فأقول: الحمد لله الذي اصلح بيني وبينه من هتك الاعراض وذكر القبيح وكان الابتداء منهُ. فقمت اليهِ وسلّمت عليهِ وهو ضاحك مسرور. فأبديت لهُ مثل ذلك من السرور بهِ ثم قلت: أصبحتُ والله حاسدًا لك. قال: على ماذا يا أبا عليّ. فقلت: بسبقك اياي الى الفضل. فقال لي: أنا اليوم في دعوة عندك. فقلت: قلْ ما أحببت. فقال: ان كان عندك ما نأكلهُ والّا ففي منزلي شيء معدٌّ. فسألت الغلمان. فقالوا: عندنا قدر أمسيّة. فقال: غاية واتفاق جيّد. فهل عندك شيء نشربهُ والّا وجّهتُ الى منزلي ففيهِ شراب معدّ: فقلت لهُ: عندنا ما نشرب. فطرح ثيابه وردّ دابته وقال: أُحبُّ أن لا يكون معنا غيرنا. فتغدّينا وشربنا. فلمّا أن اخذ الشرابُ منا قال: مرْ غلاميك يُغنّياني. فأمرت الغلامين فغنّياه. فطرب وفرح واستحسن الغناء حتى سرّني واطربني معهُ. ثم قال: حاجتي اليك يا ابا عليّ أن تأمرهما بأن يغنياني في هجائك لي. وكان الغلامان

لكثرة ما يسمعانه مني في هجائهِ قد حفظا منـه اشياء ولحّناها . فقلت لهُ :
سبحان الله يا ابا سعد قد طفئت الثائرة وذهبت العداوة بيننا وانقطع الشرّ فما
حاجتك الى هذا . فقال لي : سألتُك بالله الّا فعلت فليس يشقّ ذلك عليَّ .
ولو كرهتهُ لما سألتهُ . فقلت في نفسي : أترى أبا سعد يتاجن عليَّ . يا غلمان غنّوه
بما يريد . فقال : غنوه : « يا أبا سعد قوصره » فغنّوه وهو يحرّك رأسه وكتفيه
ويطرب ويصفق . فما زلنا يومنا مسرورين . فلمّا ثمل ودّعني وقام فانصرف .
وأمرتُ غلماني فخرجوا معهُ الى الباب . فاذا غلامٌ منهم قد انصرف اليَّ بقطعة
قرطاس وقال : دفعها اليَّ أبو سعد المخزومي وأمرني ان ادفعها اليك . (قال)
فقرأتها فاذا فيها :

عدوٌّ راح في ثوبي صديقٍ ... شريكٌ في الصبوح وفي الغبوقِ
لـهُ وجهان ظاهرهُ ابن عمٍّ ... وباطنهُ ابن خائنـةٍ عتيقِ
يسرُّك معلنًا ويسوءك سرًّا ... كذاك يكون أبناء الطريقِ

فقال : ويلي على ابن اللئام . هاتوا جلدًا ودواة . (قال) فردّوهما عليَّ فعدتُ
الى هجائهِ . ولقيتهُ بعد يومين أو ثلاثة فما سلّم عليَّ ولا سلّمتُ عليهِ

سوء خُلق دِعبِل

حدّث محمد بن موسى الضبّي راوية العتابي وكان نديمًا لعبد الله بن
طاهر قال : بينا هو ذات ليلة يذاكرنا بالادب وأهلهِ وشعراء الجاهليّة اذ بلغ
الى ذكر المُحدَثين حتى انتهى الى ذكر دعبل فقال : ويحك يا ضبي اني اريد
أن أحدّثك بشيء على أنْ تسترهُ طول حياتي . فقلت لـهُ : أصلحك الله انا

عندك في موضع ظنّهِ . قال : لا ولكن أطيبُ لنفسي أن تُوثّق لي بالايمان
لأركن اليهـا ويسكن قلبي عندها فأُحدّثك حينئذٍ . (قال) قلت : ان كنتُ
عند الامير في هذه الحال فلا حاجة بهِ الى افشاء سرّه اليَّ . واستعفيته مرارًا
فلم يعفني . فاستحييت من مراجعتهِ وقلت : فليرَ الامير رأيه . فقـال لي :
يا ضبي قل : والله . قلت : والله . فأمرها عليَّ غموسًا مؤكدة بالبيعة والطلاق
وكلّ ما يحلف بهِ مسلمٌ . ثم قال : أشعرت ان دعبلًا مدخول النسب .
وأمسكَ . فقلت : أعزَّ الله الامير أفي هذا أخذتَ العهود والمواثيـق ومغلظ
الايمان . قال : اي والله . فقلت : ولمَ . قال : لاني رجل لي في نفسي حاجة ودعبل
رجلٌ قد حمل نفسهُ على المهالك وحمل جذعه على عنقه فليس يجد من يصلبهُ
عليهِ وأخاف ان بلغه أن يقول فيَّ ما يبقى عليَّ عاره على الدهر . وقُصاراي ان
ظفرت بهِ وأسلمتهُ اليمن . وما اراها تفعل لانهُ اليوم لسانها وشاعرها والذابُّ
عنها والمحامي لها والمرامي دونها . فاضربهُ مائة سوط وأُثقلهُ حديدًا واصيّرهُ في
مطبق باب الشام . وليس في ذلك عوض مما سار فيَّ من الهجاء وفي عقبي
من بعدي . فقلت : ما اراه يفعل ويقدم عليك . فقال لي : يا عاجز اهون عليـهِ
مما لم يكن . أتراه أقدم على الرشيـد والامين والمأمون وعلى أبي ولا يُقدم عليَّ
فقلت : فاذا كان الامر كذا فقـد وفق الامير فيما أخذهُ عليَّ . (قال) وكان
دعبل صديقًا لي فقلت : هذا شيء قد عرفتهُ . فمن أين قال الامير انهُ مدخول
النسب وهو في البيت الرفيع من خزاعة لا يتقدّمهم غير بني أهبـان مكلم
الذئب . فقال : اسمع . انهُ كان أيام ترعرع خاملًا لا يُؤبهُ لهُ وكان مسلم بن
الوليد استاذه وهو غلامهُ يخدمهُ ودعبل حينئذٍ لا يقول شعرًا يفكر فيـهِ
حتى قال:

لا تعجبي يا سلمَ من رجلٍ ... ضحك المشيب براسهِ فبكى

وغنّى فيهِ بعض المغنين وشاع. فغنّى بهِ بين يدي الرشيد إمّا ابن جامع او ابن المكّي. فطرب الرشيد وسأل عن قائل الشعر فقيل لهُ دعبل بن عليّ وهو غلام نشأ من خزاعة. فأمر باحضار عشرة آلاف درهم وخلعة من ثيابهِ. فاحضر ذلك فدفعهُ مع مركب من مراكبهِ الى خادم من خاصتهِ وقال لهُ: اذهب بهذا الى خزاعة فأسال عن دعبل بن عليّ فاذا دُللتَ عليهِ فأَعطهِ هذا وقل لهُ ليحضر ان شاء. وان لم يحبّ ذلك فدعهُ. وأمر للمغنّي بجائزة. فسار الغلام الى دعبل واعطاه الجائزة وأشار عليهِ بالمسير اليهِ. فلمّا دخل عليهِ وسلّم أمرهُ بالجلوس فجلس واستنشده الشعر فانشده اياه فاستحسنهُ وأمره بملازمتهِ وأجرى عليهِ رزقًا سنيًا. فكان أوّل من حرّضه على قول الشعر. فوالله ما بلغهُ ان الرشيد مات حتى كافأه على ما فعلهُ من العطاء السنيّ والغنى بعد الفقر والرفعة بعد الخمول باقبح مكافأة. وقال فيهِ من قصيدة مدح بها اهل البيت عليهم السلام وهجا الرشيد:

وليس حيٌّ من الاحياء نعلمهُ ... من ذي يمانٍ ومن بكرٍ ومن مضرِ
الّا وهم شركاء في دمائهم ... كما تشارك ايسار على جزرِ
قتلٌ واسرٌ وتحريقٌ ومنهبةٌ ... فعل الغزاة بارض الروم والخزرِ
ارى اميّة معذورين ان قتلوا ... ولا ارى لبني العبّاس من عذرِ
إربع بطوس على القبر الذكيّ اذا ... ما كنتَ تربعُ من ديرٍ الى وطرِ
قبران في طوس خير الناس كلّهمِ ... وقبرُ شرّهم هذا من العبرِ
ما ينفعُ الرجسَ من قرب الذكيّ ولا ... على الذكيّ بقرب الرجس من ضررِ
هيهات كل امرئٍ رهن بما كسبتْ ... لهُ يداهُ فخذ ما شئتَ او فذرِ

يعني قبر الرشيد وقبر الرضا عليهِ السلام. فهذه واحدة. واما الثانية فانّ المأمون لم يزل يطلبهُ وهو طائرٌ على وجههِ حتى دسّ اليهِ قولهُ:

علمٌ وتحكيمٌ وشيب مفارقٍ ... تطميس ريعانِ الشبابِ الرائقِ
وأمارةٌ في دولةٍ ميمونةٍ ... كانت على اللذات اشغب عائقِ
أنّى يكون وليس ذاك بكائنٍ ... يرث الخلافة فاسقٌ عن فاسقِ
إن كان ابراهيم مضطلعًا بها ... فلتصلحَنْ من بعدهِ لمخارقِ

فلمّا قرأها المأمون ضحك وقال: قد صفحت عن كل ما هجانا بهِ اذ قرن ابراهيم بمخارق في الخلافة وولّاه عهده. وكتب الى أبي ان يكاتبهُ بالامان ويحمل اليهِ مالًا وان شاء ان يقيم عندهُ اويصير الى حيث شاء فليفعل. فكتب اليه أبي بذلك وكان واثقًا بهِ. فصار اليه فحملهُ وخلع عليهِ وأجازه واعطاه المال وأشار عليهِ بقصد المأمون. ففعل. فلمّا دخل وسلّم عليهِ تبسم في وجههِ ثم قال: انشدني:

مدارس آياتٍ خلتْ من تلاوةٍ ... ومنزل وحيٍ مُقفرُ العرصاتِ

فجزع. فقال لهُ: لك الأمان فلا تخف وقد رويتها ولكنّي أُحبُّ سماعها من فيك. فأنشدهُ ايّاها الى آخرها والمأمون يبكي حتى أخضل لحيتهُ بدمعهِ. فوالله ما شعرنا بهِ الّا وقد شاعت لهُ أبيات يهجو بها المأمون بعد إحسانهِ اليهِ وأُنسهِ بهِ حتى كان اوّل داخل وآخر خارج من عنده

مناظرة نحويّة في حضرة المهدي

حدّث أبو محمد اليزيدي (١) قال: كنّا مع المهدي ببلدٍ في شهر رمضان قبل ان يستخلف باربعة اشهر. وكان الكسائي معنا. فذكر المهدي العربية وعنده شيبة بن الوليد العبسيّ عمّ دفافة فقال المهدي: نبعث الى اليزيديّ والكسائيّ. وانا يومئذٍ مع يزيد بن منصور خال المهدي. والكسائي مع الحسن الحاجب. فجاءنا الرسولُ. فجئت انا فاذا الكسائي على الباب قد سبقني. فقال: يا أبا محمد أعوذ بالله من شرّك. فقلت: والله لا تؤتى من قبلي حتى أُوتى من قبلك. فلمّا دخلنا عليهِ أقبل عليّ وقال: كيف نسبوا الى البحرين فقالوا بحرانيّ ونسبوا الى الحصنين فقالوا حصنيّ ولم يقولوا حصنانيّ كما قالوا بحرانيّ. فقلت: أصلح الله الامير لو انهم نسبوا الى البحرين فقالوا بحريّ لم يعرف أَإلى البحرين نسبوا أم الى البحر. فلما جاءوا الى الحصنين لم يكن موضع آخر يقال لهُ الحصن ينسب اليهِ غيرهما فقالوا حصنيّ. (قال أبو محمد) سمعت الكسائي يقول لعمر بن بزيع وكان حاضرًا: لو سألني الامير لأخبرتهُ فيها بعلّة هي أحسن من هذه. قلت: أصلح الله الاميرَ انّ هذا يزعم انك لو سألتهُ لأجاب باحسن ممّا اجبت بهِ. قال: فقد سألتهُ. فقال الكسائي: لمّا نسبوا الى الحصنين كانت فيهِ نونان فقالوا حصنيّ اجتزاء باحدى النونين عن الاخرى. ولم يكن في

(١) كان ابو محمد عالمًا باللغة والنحو راوية للشعر متصرّفًا في علوم العرب. أخذ عن أبي عمرو بن العلاء ويونس بن حبيب النحوي واكابر البصريّين وقرأ القرآن على ابي عمرو بن العلاء وجوّد قراءتهُ ورواها عنهُ وهي المعوّل عليها في هذا الوقت. وكان بنوه جميعاً في مثل منزلتهِ من العلم والمعرفة باللغة وحسن التصرف في علوم العرب ولسائرهم علمٌ جيّد (لابي الفرج الاصبهاني)

البحرين الّا نون واحدة فقالوا بحرانيّ. فقلتُ: أصلح الله الامير فكيف تنسب رجلًا من بني جنان فانهُ يلزمهُ على قياسهِ ان يقول جنّي. انّ في جنان نونين. فإن قال ذلك فقد سوّى بينهُ وبين المنسوب الى الجنّ. (قال) فقال لي المهدي ولهُ: تناظرا في غير هذا حتى نسمع. فتناظرنا في مسائل حفظ فيها ولي وقولهُ. الى ان قلت لهُ: كيف تقول ان من خير القوم أَو خيرِهم نيّةً زيد. (قال) فاطال الفكر لا يُجيب. فقلت: لأن تجيب فتخطئ فتتعلّم أحسنُ من هذه الاطالة. فقال: انّ من خيرِ القوم أَو خيرُهم نيةً زيدًا. (قال) فقلت: أصلح الله الامير ما رضي ان يلحن حتى لحن وأحال. قال: وكيف. قلتُ: لرفعهِ قبل ان يأتي باسم انّ ونصبهِ بعد رفعه. فقال شيبة بن الوليد: أراد بأوْ بلْ فرفع. هذا معنًى. فقال الكسائي: ما أردتُ غير ذلك. فقلتُ: فقد اخطآ جميعًا ايها الامير. لو أراد بأوْ بل رفع زيدًا. لانهُ لايكون بل خيرُهم زيدًا. فقال المهدي: يا كسائي لقد دخلتَ عليّ مع مسلمة النحويّ وغيره فما رأيتُ كما اصابك اليوم. (قال) ثم قال: هذان عالمان ولا يقضي بينهما الّا اعرابي فصيح يُلقى عليهِ المسائل التي اختلفا فيها فيجيب. (قال) فبعث الى فصيح من فصحاء الاعراب. (قال أبو محمد) واطرقتُ الى ان يأتي الاعرابي. وكان المهدي محبًا لاخوالهِ ومنصور بن يزيد بن منصور حاضر. فقلت: أصلح الله الامير كيف ينشد هذا البيت الذي جاء في هذه الابيات:

يا ايها السائلي لاخبره   عمّن بصنعاء من ذوي الحسبِ
حِميرُ ساداتها تُقرُّ لها   بالفضل طرًّا جحاجحُ العربِ
وانّ من خيرِهم واكرمهم   أَو خيرَهم نيةً أبو كربِ

(قال) فقال لي المهدي: كيف تنشدهُ أنت: فقلت: أَو خيرَهم نيةً أبو كرب

على اعادة أنَّ كانهُ قال :أو انَّ خيرهم نية أبو كرب . فقال الكسائي : هو والله قالها الساعة . (قال) فتبسم المهدي وقال : انك لتشهد لهُ وما تدري . (قال) ثم طلع الاعرابي الذي بعث اليهِ فألقيت عليهِ المسائل . فأجاب فيها كلها بقولي . فاستفزَّني السرور حتى ضربت بقُلَنسيَتي الارض وقلت: أنا أبو محمد . فقال لي شيبة : أتتكنَّى باسم الامير . فقال المهدي : والله ما اراد بذلك مكروهاً ولكنهُ فعل ما فعل للظفر وقد لعمري ظفر . فقلت: ان الله عزَّ وجلَّ انطقك ايها الامير بما انت أهلهُ وانطق غيرك بما هو أهلهُ . (قال) فلما خرجنا قال لي شيبة أتخطِّئني بين يدي الامير. أما لتعلمنَّ . قلت : قد سمعتُ ما قلتَ وأرجو ان تجد غبها . ثم لم اصبح حتى كتبتُ رقاعًا عدَّةً . فلم أدع ديوانًا الَّا دسستُ اليهِ رقعة فيها أبيات قلتها فيهِ . فأصبح الناس يتناشدونها وهي :

عِشْ بجدٍّ ولا يضرُّك نَوْكٌ   انما عيش مَن ترى بالجدودِ
عش بجدٍّ وكن هبنَّقة القيسيَّ م   نوكًا او شيبة بن الوليدِ
شيبَ يا شيب يا جديَّ بني القعقا م   ع ما انت بالحليم الرشيدِ
لا ولا فيك خلَّة من خلال م   الخير أحرزتها لحزمٍ وجودِ
غير ما انك المجيد لتقطيع م   غناءٍ وضرب دفٍّ وعودِ
فعلى ذا وذاك يحتملُ الدهر م   مجيدًا له وغير مجيدِ

أبو محمد وعاصم الغسَّاني ويحيى بن خالد

حدَّث أبو محمد قال : أمر لي الرشيد بمالٍ . وحضر شخوصه الى السِّنّ (١) فأتيت عاصمًا الغساني وكان اثيرًا عند يحيى بن خالد فقلت لهُ : ان امير المؤمنين قد أمر لي بمال وقد حضر من شخوصه ما قد علمت فأُحبُّ ان تُذكِّر أبا علي يحيى بن خالد أمرهُ ليعجّلهُ اليَّ . فقال: نعم . ثم عدتُ بعد ذلك بيومين فقال لي يتفخَّم في لفظهِ : ما اصبت لحاجتك موضعًا . (قال) قلت : فاجعلها منك اكرمَكَ اللهُ ببالٍ . فلما خرجت لحقني بعض من كان في المجلس فقال لي: يا أبا محمد اني لأربأُ بك ان تأتي هذا الكلب أو تسألهُ حاجة . قلت : وكيف . قال : سمعتهُ يقول وقد وليتَ : لو أن بيدي دجلة والفرات ما سقيت هذا منهما شربة . فقيل لهُ : ولِمَ ذاك اصلحك الله فانَّ لهُ قدرًا وعلمًا . قال : لانهُ من مضر ما رأيت مضريًا قط يحبُّ اليمانية . (قال) فأحببتُ ان لا اعجَل . فعدت اليهِ من غد فقلت : هل كان منك اكرمك الله في الحاجة شيء . فقال: والله لكأنك تطلبنا بدَين . فتحقَّق عندي ما بلغني عنهُ فقلت لهُ : لا قضى الله هذه الحاجة على يدك ولا قضى لي حاجة ابدًا ان سألتكها . والله لا سلَّمتُ عليك مبتدئًا أبدًا ولا رددتُ عليك السلام ان بدأتني بهِ . ونفضت ثوبي وخرجت. فاني لأسير وافكر في الحيلة لحاجتي اذا براكبٍ يركض حتى لحقني فقال: بعثني اليك أبو علي يحيى بن خالد لتقف حتى يلحقك . فرجعت مع رسوله

---

(١) السِّنّ ويقال لها سنُّ باريما مدينة على دجلة فوق تكريت لها سور وجامع كبير وفي اهلها علماء وفيها كنائس وبيع للنصارى . وعند السنّ مصبّ الزاب الاسفل (معجم البُلدان لياقوت)

اليهِ فلقيتهُ وكان قريبًا فسلَّمت عليهِ ثم سايرتهُ . فقال لي : انَّ امير المؤمنين أمرني ان آمرك بطلب مؤدّبٍ لابنهِ صالح . فاني احدّثك حديثًا حدّثني بهِ أبي خالد بن برمك : ان الحجاج بن يوسف أراد مؤدبًا لولده فقيل لهُ : ههنا رجل نصرانيٌّ عالم وههنا مسلم ليس علمهُ كعلم النصراني . قال : ادعوا لي المسلم . فلمَّا أتاه قال : ألا ترى يا هذا انا قد دُللنا على نصراني قد ذكروا انهُ أعلم منك . غير اني كرهت ان اضمَّ الى ولدي من لا يُنبّههم للصلاة عند وقتها ولا يدلُّهم على شرائع الاسلام ومعالمه . وانت ان كان لك عقل قادرٌ على ان تتعلَّم في اليوم ما يعلّمهُ أولادي في جمعة وفي الجمعة ما يُعلّمهم في الشهر وفي الشهر ما يعلمهم في سنة . ثم قال لي يحيى : فينبغي يا أبا محمد أن تؤثر الدين على ما سواه . فقلت لهُ : قد اصبتُ من أرضاه . وذكرت لهُ الحسن بن المسوَر . فضمَّهُ اليه . ثم سألني من أين أقبلتُ . فأخبرتهُ بخبر عاصم وما كان منهُ فقلت لهُ : قد حضر هذا المسير ولست أدري من أيّ وجهٍ اتقاضاه . فضحك وقال : ولِمَ لا تدري . الْقَ صديقك جعفرًا حتى يكلّم امير المؤمنين أو يذكّرني حاجتك فقد تركتهُ على المضيّ الساعةَ اليهِ . فانثنيتُ الى جعفر وقلت لهُ في طريقي :

يا سائلي عمَّا اخبّرهُ   عن جعفرٍ كرمًا وعن شيمهْ
انَّ ابن يحيى جعفرًا رجلٌ   سبط السماح بلحمهِ ودمهْ
فعليهِ لا ابدًا محرَّمةٌ   وكلامه وقفٌ على نعمهْ
وترى مُسابقهُ ليدركهُ   بمكانِ حذوِ النعل من قدمهْ

فلمَّا دخلت اليهِ أخبرتهُ الخبر وانشدتهُ الابيات وأعلمتهُ ما أمرني بهِ أبوهُ . فقال لي : قلْ بيتين تذكرهُ فيهما الى أن اجدّد طهرًا وا كتبهما حتى يكونا معي

فاذكر بهما حاجتك . فقلت : نعم يا سيدي . وأخذت الدواة وكتبت :

أحقُّ مَن أنجز موعودهُ   خليفةُ الله على خلقهِ
ومن لهُ ارثُ نبيّ الهدى   بالحقّ لا يدفع عن حقّهِ
يُنسب في الهدى الى هديهِ   برًّا وفي الصدق الى صدقهِ
ومَن لهُ الطاعة مفروضةٌ   لائحةٌ بالوحي في رقّهِ
والراتقُ الفتق العظيم الذي   لا يقدر الناس على رتقهِ

قال فأخذ الشعر ومضى الى الرشيد في حاجتي وأقرأه اياه . فصكَّ اليَّ بالمال عليهِ وقبضتهُ بعد ذلك بيوم

كلاب بن أميَّة وأبواه

حدَّث عروة بن الزبير قال : هاجر كلاب بن امية بن الاسكر الى المدينه في خلافة عمر بن الخطَّاب فأقام بها مدة . ثم لقي ذات يوم طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام فسألهما : ايُّ الاعمال افضل في الاسلام . فقالا: الجهاد . فسأل عمر فاغزاهُ في جيشٍ . وكان أبوهُ قد كبر وضعف . فلمَّا طالت غيبة كلاب عنهُ قال :

لمن شيخان قد نشدا كلابا   كتاب الله لو قبل الكتابا
أُناديه فيعرض في اباءٍ   فلا وأبي كلابٍ ما أصابا
اذا سجعت حمامة بطن وادٍ   الى بيضاتها دعوا كلابا
أتاهُ مهاجران تكنّفاهُ   ففارق شيخهُ خطأً وطابا
تركتَ اباك مرعشةً يداهُ   وامَّك ما تسيغ لها شرابا

تمسح مهرهُ شفقاً عليهِ　　وتجنبهُ أباعرها الصعابا
فانك قد تركتَ اباك شيخاً　　يطارق أينقاً شرباً طرابا
فانك والتماس الاجر بعدي　　كباغي الماء يتبع السرابا

فبلغت أبياتهُ عمر فلم يردد كلاباً . وطال امية . فأهترَّ امية وخلط جزعاً عليه . ثم أتاه يوماً وهو في مسجد الرسول وحوله المهاجرون والانصار فوقف عليه ثم أنشأ يقول :

أعاذل قد عذلت بغير قدرٍ　　ولا تدرين عاذل ما ألاقي
فاما كنت عاذلتي فردّي　　كلاباً اذ توجّه للعراقِ
ولم اقضِ اللبانة من كلاب　　غداةَ غدٍ واذّن بالفراقِ
فتى الفتيان في عسرٍ ويسرٍ　　شديد الركن في يوم التلاقي
فلا والله ما باليت وجدي　　ولا شفقي عليك ولا اشتياقي
وابقائي عليك اذا شتونا　　وضمّك تحت نحري واعتناقي
فلو فلق الفؤاد حطام وجدٍ　　لهمَّ سوادُ قلبي بانفلاقِ
سأستعدي على الفاروق ربّاً　　لهُ دفع الحجيج الى سياقِ
وادعو الله مجتهداً عليهِ　　ببطن الاخشبين الى دفاقِ
انِ الفاروقُ لم يردد كلاباً　　الى شيخان هامهما زَوَاقِ

قال فبكى بكاءً شديداً وكتب بردّ كلاب الى المدينة . فلماَّ قدم دخل اليهِ فقال: ما بلغ من برّك بأبيك . قال: كنت أُدثّرهُ واكفيه أمره . وكنت اعتمد اذا أردتُ ان أحلب لبناً أغزر ناقة في ابلهِ واسمنها فاسقيه . فبعث عمر الى اميّة مَن جاء بهِ اليهِ . فأدخلهُ يتهادى وقد ضعف بصره وانحنى . فقال لهُ : كيف انت يا أبا كلاب . قال: كما تراني يا أمير المؤمنين . قال : فهل لك من حاجة .

قال: نعم اشتهي ان أرى كلاباً فأشمّهُ شمّة وأضمّهُ ضمّة قبل ان أموت . فبكى عمر ثم قال: ستبلغ من هذا ما تحبُّ ان شاء الله تعالى . ثم أمر كلاباً أن يحتلب لابيهِ ناقة كما كان يفعل ويبعث اليهِ بلبنها . ففعل : فناولهُ عمر الاناء وقال: دونك هذا يا ابا كلاب . فلماَّ أخذهُ وادناه الى فمهِ قال: نعم والله يا أمير المؤمنين اني لأشمّ رائحة كلاب من هذا الاناء . فبكى عمر وقال: هذا كلاب عندك حاضراً قد جئناك بهِ . فوثب الى ابنه وضمّهُ اليهِ وقبّلهُ . وجعل عمر يبكي ومَن حضرهُ . وقال لكلاب : الزم أبويك فجاهد فيهما ما بقيا ثم شانك بنفسك بعدهما . وأمر لهُ بعطائهِ وصرفهُ مع أبيهِ . فلم يزل معهُ مقيماً حتى مات أبوهُ

البُحتُريُّ وأبو تمَّام

حدَّث عليّ بن العبَّاس النوبختيّ عن البحتريّ قال: اوَّل ما رأيت أبا تمّام اني دخلتُ على أبي سعيد محمد بن يوسف وقد مدحتهُ بقصيدتي :

أأفاق صبٌّ من هوًى فأفيقا　　أو خان عهداً أو أطاع شفيقا

فسُرَّ بها أبو سعيد وقال: أحسنت يا فتى واجدتَ . (قال) وكان في مجلسهِ رجل نبيل رفيع المجلس فوق من حضر عنده تكاد تمسّ ركبته ركبته . فأقبل عليَّ ثم قال: يا فتى أما تستحي مني . هذا شعرٌ لي تنتحلهُ وتنشدهُ بحضرتي . فقال لهُ أبو سعيد: أحقاً تقول . قال: نعم وانما علقهُ مني فسبقني بهِ اليك وزاد فيهِ . ثم اندفع فأنشد اكثر هذه القصيدة حتى شككني علمَ اللهُ في نفسي وبقيت متحيراً . فأقبل عليَّ أبو سعيد فقال: يا فتى قد كان في قرابتك لنا وودّك لنا ما يغنيك عن هذا . فجعلت أحلف لهُ بكلّ محرّجةٍ من الايمان انّ

الشعر لي ما سبقني اليهِ احد ولا سمعتهُ منه ولا انتحلتهُ . فلم ينفع ذلك شيئًا . وأطرق أبو سعيد وفظَّع بي حتى تمنَّيتُ اني سختُ في الارض . فقمت منكسر البال أجرّ رجليَّ فخرجت . فما هو الَّا ان بلغتُ الدارَ حتى خرج الغلمان فردّوني . فأقبل عليَّ الرجل فقال : الشعر لك يا بنيَّ والله ما قلتهُ قط ولا سمعتهُ الَّا منك ولكنّني ظننتُ انك تهاونتَ موضعي فاقدمتَ على الانشاد بحضرتي من غير معرفة كانت بيننا تريد بذلك مضاهاتي ومكاثرتي حتى عرَّفني الامير نسبك وموضعك . ولوَددتُ ان لا تلد ابدًا طائيَّةٌ الَّا مثلك . وجعل أبو سعيد يضحك . ودعاني أبو تمَّام وضمَّني اليهِ وعانقني وأقبل يقرّظني . ولزمتهُ بعد ذلك واخذت عنهُ واقتديت بهِ

ذكاء كاتبٍ من كُتَّاب المأمون

حدَّث ابراهيم بن رباح قال : كنت اتولَّى نفقات المأمون . فوَصفَ لهُ اسحق بن ابراهيم الموصلي عريب . فأمرهُ ان يشتريها . فاشتراها بمائة الف درهم . فأمرني المأمون بحملها وان احمل الى اسحق مائة الف درهم اخرى . ففعلت ذلك ولم ادرِ كيف أُثبتها . فحكيت في الديوان ان المائة الالف خرجت في ثمن جوهرة والمائة الالف الاخرى أُخرجت لصائغها ودلَّالها . فجاء الفضل بن مروان الى المأمون وقد رأَى ذلك فأنكره . وسألني عنهُ فقلت : نعم هو ما رأيت . فسأَل المأمونَ عن ذلك وقال : أَوجب لدلَّالٍ وصائغٍ مائة الف درهم . وغلَّظَ القصةَ . فانكرها المأمونُ فدعاني ودنوت اليهِ واخبرتهُ المال الذي خرج في ثمن عريب وصِلة اسحق وقلت : أَيمـا أصوب يا امير المؤمنين ما فعلتُ او

أُثبتُ في الديوان انها خرجت في صِلة مغنٍّ وثمن مغنيَّةٍ . فضحك المأمون وقال : الذي فعلتَ أَصوب . ثم قال للفضل بن مروان : يا نبطيّ لا تعترض على كاتبي هذا في شيءٍ

المنصور والرجل الذي يسايره في المدينة

أخبرَ الحرمي عن الزبير قال : حدَّثني عمّي انَّ المنصور أمر الربيع لمَّا حجَّ ان يسايرهُ برجل يعرف المدينة واهلها وطرقها ودورها وحيطانها . فكان رجل من اهلها قد انقطع زمانًا وهو رجل من الانصار . فقال لهُ : تهيأ فاني اظنّ جدّك قد تحرّك . ان امير المؤمنين قد أمرني ان اسايرهُ برجل يعرف المدينـة واهلها وطرقها وحيطانها ودورها . فتُحسن موافقتهُ ولا تبتدئهُ بشيء حتى يسألك . ولا تكتمهُ شيئًا ولا تسألهُ حاجة . فغدا عليهِ بالرجل . وصلّى المنصور فقال : يا ربيع الرجل . فقال : ها هوذا . فسار معهُ يخبرهُ عمَّا سأَل حتى ندر من أبيات المدينة . فأقبل عليهِ المنصور فقال : مَن انت اوَّلًا . فقال : مَن لا تبلغهُ معرفتك . فقال : ما لك من الاهل والولد . فقال : والله ما تزوّجت ولا لي خادم . قال : فأَين منزلك . قال : ليس لي منزل . قال : فانَّ امير المؤمنين قد أَمر لك باربعة الاف درهم . فرمى بنفسه فقبَّل رجله . فقال لهُ : اركب . فركب . فلمَّا أراد الانصراف قال للربيع : يا أَبا الفضل قد أَمر لي امير المؤمنين . قال : ايه . قال : ان رأَيتَ ان تنجزها لي . قال : هيهات . قال : فأَصنعُ ماذا . قال : لا ادري والله . فقال الفتى : هذا همٌّ لم يكن في الحساب . فلبثتُ ايَّامًا . ثم قال المنصور للربيع : ما فعل الرجلُ . قال : حاضر . قال : سايرنا بهِ الغداة . ففعل . وقال لهُ الربيع : انهُ

خارج بعد غد فاحتلْ لنفسك فانهُ والله ان فاتك فانهُ آخر العهد بهِ . فسار معهُ . فجعل لا يمكنهُ شيء حتى انتهى الى مسيره ثم رجع وهو كالمعرض عنهُ . فلما خاف فوته أقبل عليهِ فقال: يا امير المؤمنين هذا بيت عاتكة . قال: الذي يقول فيهِ الاحوص « يا بيت عاتكة الذي أتعزلُ » قال: فمه . قال: انهُ يقول فيها:

انَّ أمرءًا قد نال منك وسيلة ... يرجو منافع غيرها لمضلَّلُ

وأراك تفعلُ ما تقول وبعضهم ... مذقُ الحديث يقول ما لا يفعلُ

فضحك المنصور وقال: قاتلك الله ما اظرفك . يا ربيع أعطهِ الف درهم . فقال: يا امير المؤمنين انها كانت اربعة آلاف درهم . فقال: الف يحصل خير من أربعة آلاف لا تحصل

اسحق وابراهيم بن أبي سلمة

حدَّث حماد عن أبيهِ قال: جاء ابراهيم بن أبي سلمه الى الرشيد فقال لهُ: يا امير المؤمنين اني احب ان تشرّفني بان تكون نوبتي ونوبة اسحق الموصلي في مكان وان يكون دخولي اليك ودخولهُ في مكان فان رأيت ان تجعل ذلك كما سألت فعلت . قال: قد فعلت . ولم اكن حاضرًا لمسئلتهِ . فلما كان يوم دخولي عليهِ جاءني ابراهيم فدقّ بابي دقًا عنيفًا وعرَّفني الغلام خبرهُ فقلت لهُ: يدخل . فأبى وقال لهُ: قل لهُ اخرج أنت . فساء ظنّي واغتممت فخرجت اليهِ فقلت لهُ: ما الخبر . قال: ان امير المؤمنين يأمرك بالحضور ويامرك ان لا تدخل الدار الّا معي بعد ان أُوجه اليك فتركب اليَّ وتمضي

معي . فمضيت معهُ على رغمي وانا منكسر وكنت بقية يومي على تلك الحال . ثم ركبت الى الفضل بن الربيع فشكوت ذلك اليهِ . فقال: ما أرى امير المؤمنين يحلك هذا المحل . ثم بنا اليهِ . فقمت معهُ . فدخل الى الرشيد فقال لهُ: يا امير المؤمنين اسحق وخدمته وحقوق أبيه عليك وعلى امير المؤمنين المهديّ نضع مقداره ان تجعلهُ مضمومًا الى ابراهيم بن أبي سلمة . قال: لا والله ما فعلت هذا . قال: انهُ قد جاءني يبكي ويحلف ان جرى عليهِ هذا تاب من الغناء وتركهُ جملة ثم لو قتل لم يعد اليهِ . فقال: ويحك والله ما جرى من هذا شيء الّا ان ابراهيم بن أبي سلمة جاء فقال: تشرّفني ان تجعل نوبتي مع نوبة اسحق ووصولي مع وصوله . ففعلت . فقل لهُ يجيء متى شاء وينفرد عنهُ ولا يجيء معهُ ولا كرامة . فأخبرني فرجعت . فلمَّا كانت نوبتي جاء ابراهيم اليَّ ففعل مثل فعلهِ . فقلت لغلامي: اخرج اليهِ فقل لهُ: ولا كرامة لك يا خبيث يا ابن الخبيثة لا أجي معك ولا ادعك تجيء معي ايضًا . وشتمهُ اقبح شتم . فخرج الغلام فأدّى اليهِ الرسالة . فعلم ان هذا لم يتجرأ عليهِ الّا بعد توثق فخجل . فقال لهُ: قل لهُ: ومن اكرهك على هذا انما احببت ان نصطحب ونتأنس في طريقنا فان كرهت هذا فلا تفعلهُ . وانصرف ولم يعاودني بعدها

غضب المامون على اسحق ورضاه عنه

حدَّث حمَّاد عن أبيهِ قال: أقام المأمون بعد قدومهِ عشرين شهرًا لا يسمع حرفًا من الاغاني . فكان اوّل من تغنَّى بحضرتهِ أبو عيسى بن الرشيد . ثم واظب على السماع متسترًا متشبهًا في اوّل أمره بالرشيد . فاقام كذلك اربع

حججج . ثم ظهر الى الندماء والمغنّين وكان حين أحبّ السماع سأل عنّي فخرجت بحضرته . وقال الطاعن عليَّ: ما يقول امير المؤمنين في رجل يتيه على الخلافة . قال المأمون: ما بقّى هذا من التيه شيئًا الّا استعملهُ . فأمسك عن ذكري وجفاني من كان يصلني لسوء رأيهِ الذي ظهر فيَّ . فأضرّ ذلك بي . حتى جاءني علوية يومًا فقال لي: أتأذن لي في ذكرك فانّا قد دعينا اليوم . فقلت: لا ولكن غنّهِ بهذا الشعر فانهُ سيبعثهُ على ان يسألك لمن هذا . فاذا سألك انفتح لك ما تريد وكان الجواب اسهل عليك من الابتداء . فقال: هات . فالقيت عليهِ لحني في شعري :

يا سرحة الماء قد سدّت مواردهُ   اما اليك طريق غير مسدودِ
لحائمٍ حام حتى لا حوامَ لهُ   مُحوَّلٍ عن طريق الماء مطرودِ

(قال) فمضى علوية . فلمّا استقرّ بهِ المجلس غنّاه بالشعر الذي أمرتهُ . فما عدا المأمون ان يسمع الغناء حتى قال: ويحك يا علوية لمن هذا . قال: يا سيدي لعبد من عبيدك جفوتهُ وأطرحتهُ من غير جرم . فقال: أ إسحق تعني . قال: نعم . قال: يحضر الساعة . فجاءني رسولهُ فصرت اليهِ . فلمّا دخلت عليهِ قال: ادنُ . فدنوت . فرفع يديه مادّهما . فانكببت عليهِ واحتضنني بيديه وأظهر من برّي واكرامي ما لو اظهرهُ صديق مؤانس لصديقهِ لبرّه

رجلان من هوازن ويزيد بن عبد المدان

قال ابن الكلبي: جاور رجلان من هوازن يقال لهما عمرو وعامر في بني مرّة بن عوف بن ذبيان . وكانا قد أصابا دمًا في قومهما . ثم انّ قيس بن عاصم

المنقري أغار على بني مرّة بن عوف بن ذبيان . فأصاب عامرًا اسيرًا في عدّة أسارى كانوا عند بني مرّة . ففدى كل قوم أسيرهم من قيس بن عاصم وتركوا الهوازني . فاستغاث أخوهُ بوجوه بني مرّة فلم يغيثوه . فركب الى موسم عكاظ فأتى منازل مذحج ليلًا فنادى :

دعوت سنانًا وابن عوفٍ وحارثًا   وعاليت دعوى بالحصين وهاشمِ
أُعيذهمُ في كلّ يومٍ وليلةٍ   بترك أسير عند قيس بن عاصمِ
حليفهم الادنى وجار بيوتهم   ومن كان عمّا سرَّهم غير نائمِ
فصمّوا واحداث الزمان كثيرة   وكم في بني العلّات من متصاممِ
فيا ليت شعري من لاطلاق غلمة   ومن ذا الذي يحظى بهِ في المواسمِ

(قال) فسمع صوتًا من الوادي ينادي بهذه الابيات :

ألا أيّهذا الذي لم يجب   عليك بحيّ يجلّي الكُرَبْ
عليك بذا الحيّ من مذحج   فانهمُ للرضا والغضبْ
فنادِ يزيد بن عبد المدان   وقيسًا وعمرو بن معدي كربْ
يفكّوا أخاك باموالهم   واقلل بمثلهمِ في العربْ
اولاك الرؤوس فلا تعدُهم   ومن يجعل الراس مثل الذنبْ

(قال) فاتّبع الصوت فلم يرَ احدًا . فغدا على المكشوح واسمهُ قيس بن عبد يغوث المرادي فقال لهُ: اني وأخي رجلان من بني جشم بن معاوية أصبنا دمًا في قومنا وان قيس بن عاصم أغار على بني مرّة وأخي فيهم مجاور فأخذهُ أسيرًا فاستغثت بسنان بن أبي حارثة والحرث بن عوف والحرث بن ظالم وهشام بن حرملة فلم يغيثوه . فأتيت الموسم لاصيب بهِ من يفكّ أخي فانتهيت الى منازل مَذحج فناديت بكذا وكذا فسمعت من الوادي صوتًا أجابني بكذا

وكذا وقد بدأت بك لتفكّ أخي . فقال لهُ المكشوح : والله ان قيس بن عاصم لرجل ما قارضتــهُ معروفًا قط ولا هو لي بجار . ولكن اشترِ أخاك منهُ وعليَّ الثمن ولا يمنعك غلاؤهُ . ثم أتى عمرو بن معدي كرب فقــال لهُ مثل ذلك . فقــال : هل بدأت باحد قبلي . قال : نعم : بقيس بن المكشوح . قال : عليك بمن بدأتَ بهِ . فتركهُ وأتى يزيد بن عبد المدان فقال لهُ : يا أبا النضر انَّ من قصتي كذا وكذا . فقال لهُ : مرحبًا بك واهلًا . ابعثُ الى قيس بن عاصم فان هو وهب لي أخاك شكرتهُ والَّا اغرت عليــهِ حتى يتقيني بأخيك . فان نلتها والَّا دفعت اليك كل اسير من بني تميم بنجران فأشتريت بهِ أخاك . قال : هذا الرضا . فارسل يزيد الى قيس بن عاصم بهذه الابيات :

يا قيس ارسل اسيرًا من بني جشمٍ ... اني بكلّ الذي تأتي بهِ جازي
لا تأمن الدهر أن تشجى بغصّتهِ ... فاختر لنفسك احمادي واعزازي
فافكك أخا منقرٍ عنهُ وقل حسنًا ... فيما سئلت وعقبــهُ بانجازِ

(قال) وبعث بالابيات رسولًا الى قيس بن عاصم فأنشده اياها ثم قال : يا ابا عليّ انَّ يزيد بن عبــد المدان يقرأُ عليك السلام ويقول لك : ان المعروف قروض ومع اليوم غد فاطلق لي هذا الجشمي . فقد استعان باشراف بني جشم وبعمرو بن معدي كرب وبمكشوح بن مراد فلم يصب عندهم حاجته فاستجار بي ولو ارسلت اليَّ في جميع أسارى مضر بنجران لقضيت حقك . فقال قيس ابن عاصم لمن حضره من بني تميم : هذا رسول يزيد بن عبد المدان سيّد مذحج وابن سيدها ومن لا يزال له فيكم يد وهذه فرصة لكم فما ترون . قالوا : نرى ان نغليهُ عليهِ ونحكم فيهِ شططًا فانهُ لن يخذلهُ ابدًا ولو اتى ثمنهُ على ماله . فقال قيس : بئسما رأيتم أما تخافون سجال الحروب ودول الايام ومجــازاة القروض .

فلما أبوا عليهِ قال : بيعونيه . فأغلوه عليــه . فتركهُ في ايديهم وكان اسيرًا في يد رجل من بني سعد وبعث الى يزيد فأعلمهُ بما جرى وأعلمهُ انَّ الاسير لوكان في يدهِ او في يد منقر لأخذهُ وبعث بهِ ولكنهُ في يد رجل من بني سعــد . فأرسل يزيد الى السعدي ان : سرْ اليَّ بأسيرك ولك فيــهِ حكمك . فأتى بهِ السعدي يزيد بن عبد المدان . فقال لهُ : احتكم . فقال : مائة ناقة ورعاؤها . فقال لهُ يزيد : انك لقصير الهمة قريب الغنى جاهــل باخطار بني الحرث . اما والله لقد غبنتك يا أخا بني سعد ولقد كنت أخاف ان يأتي ثمنهُ على جلّ اموالنا . ولكنكــم يا بني تميم قوم قصار الهمم . واعطاه ما احتكم . فجاورهُ الاسير وأخوهُ حتى ماتا عندهُ بنجران

بخل مروان بن ابي حفصة

كان المهديّ يعطي مروان وسَلْمًا الخاسر عطية واحدة . وكان سلْم ياتي باب المهدي على البرذون قيمتهُ عشرة آلاف درهم والسرج واللجام المقذوذين ولباسه الخزّ والوشي وما اشبه ذلك من الثياب الغالية الاثمان . ورائحة المسك والغالية والطيب تفوح منهُ . ويجيء مروان وعليهِ فروكبش وقميص كرابيس وعمامة كرابيس وخفا كبل وكساء غليظ منتن الرائحة وكان لا ياكل اللحم بخلًا حتى يقدم اليهِ . فاذا قدم أرسل غلامهُ فأشترى لهُ راسًا فاكلهُ . فقيل لهُ : نراك لا تاكل الَّا الرؤس في الصيف والشتاء فلمَ تختــار ذلك . قال : نعم الرأس أعرفُ سعرهُ ولا يستطيع الغلام ان يغبنني فيهِ وليس بلحم يطبخهُ الغلام فيقدر ان ياكل منهُ . إن مسَّ عينًا او اذنًا او خدًّا وقفت عليهِ . فآكل منهُ الوانًا

آكل عينيه لونًا واذنيه لونًا وغلصمتهُ لونًا وأُكفى مؤونة طبخه. فقد اجتمعت لي فيهِ مرافق

غناء ابراهيم بن المهديّ

أخبر عبد الله بن العباس الربيعي قال: كنا عند ابراهيم بن المهدي ذات يوم وقد دعا كلّ مطربٍ محسن من المغنين يومئذٍ وهو جالس يلاعب احدهم بالشطرنج. فترنّم احدهم بصوت فريدة « قال لي أحمد ولم يدرِ ما بي » وهو متكئ. فلما فرغ منهُ ترنّم بهِ مخارق فأحسن فيـهِ واطربنا وزاد على ابراهيم. فأعادهُ ابراهيم وزاد في صوته فعفا على غناء مخارق. فلمّا فرغ ردّه مخارق وغنّى فيهِ بصوتهِ كلّه وتحفّظ فيهِ. فكدنا نطير سرورًا. واستوى ابراهيم جالسًا وكان متكئًا فغنّاه بصوتهِ كلّه ووفاه نغمه وشذوره. ونظرت الى كتفيهِ تهتزّان وبدنه أجمع يتحرّك حتى فرغ منهُ ومخارق شاخص نحوهُ يرعد وقد أُنتقع لونهُ وأصابعهُ تختلج. فخيّل لي والله ان الايوان يسير بنا. فلمّا فرغ منهُ تقدم اليهِ مخارق فقبّل يده وقال: جعلني الله فداك أين انا منك. ثم لم ينتفع مخارق بنفسهِ بقيّة يومهِ في غنائهِ والله لكانّما كان يتحدّث

أبو دلامة في الحرب

حدث أبو دلامة قال: أَتى بي المنصور أو المهدي وانا سكران فخلف ليخرجني في بعث حرب. فأخرجني مع روح بن حاتم المهلّبي لقتال الشراة. فلما

التقى الجمعان قلت لروح: اما والله لو ان تحتي فرسك ومعي سلاحك لأثرت في عدوك اليوم اثرًا ترتضيه. فضحك وقال: والله العظيم لادفعنّ ذلك اليك ولآخذنك بالوفاء بشرطك. ونزل عن فرسـهِ ونزع سلاحه ودفعهما اليّ ودعا بغيرهمـا فاستبدل بهِ. فلمّا حصل ذلك في يدي وزالت عني حلاوة الطمع قلت لهُ: ايها الامير هذا مقام العائذ بك وقـد قلت بيتين فاسمعهما. قال: هات. فأنشدتهُ:

اني استجرتك أن اقدّم في الوغى ... لتطاعنٍ وتنازلٍ وضرابِ

فهب السيوف رأيتهـا مشهورة ... فتركتهـا ومضيت في الهرّابِ

ماذا تقول لمـا يجيء وما يرى ... من واردات الموت في النشّابِ

فقال: دع عنك هذا وستعلم. وبرز رجل من الخوارج يدعو للمبارزة. فقال: اخرجْ اليـهِ يا أبا دلامة. فقلت: انشدك الله ايها الامير في دمي. قال: والله لتخرجنّ. فقلت: ايها الامير فانهُ أوّل يوم من الآخرة وآخر يوم من الدنيا وانا والله جائع ما شبعتْ مني جارحة من الجوع فمُرْ لي بشيء آكلهُ ثم أخرجُ. فأمر لي برغيفين ودجاجة. فأخذت ذلك وبرزت عن الصف. فلمّا رآني الشاري أقبل نحوي عليهِ فرو قد أصابهُ المطر فابتلّ وأصابتهُ الشمس فاقفعل. وعيناه تقدان. فأسرع اليّ. فقلت لهُ: على رسلك يا هذا كما انت. فوقف. فقلت: أتقتل من لا يقاتلك. قال: لا. قلت: أتقتل رجلًا على دينك. قال: لا. قلت: أفتستحلّ ذلك قبل ان تدعو من تقاتلهُ الى دينك. قال: لا. فاذهب عني الى لعنة الله. قلت: لا أفعل أو تسمع مني. قال: قل. قلت: هل كانت بيننا قط عداوة أو ترة أو تعرفني بحال تحفظك عليّ أو تعلم بين أهلي وأهلك وترًا. قال: لا والله. قلت: ولا انا والله لك الّا جميل الراي واني لاهواك

وانتحل مذهبك وادين دينك وأُريد السوء لمن أراده لك. قال: يا هذا جزاك الله خيرًا فانصرف. قلت: انَّ معي زادًا احبُّ ان آكلهُ معك وأُحبُّ مواكلتك لتتاكد المودَّة بيننا ويرى أهل العسكر هوانهم علينا. قال: فافعل. فتقدَّمت اليهِ حتى اختلفت أعناق دوابنا وجمعنا ارجلنا على معارفها والناس قد غُلبوا ضحكًا. فلمَّا استوفينا ودَّعني. ثم قلت لهُ: ان هذا الجاهل ان اقمتَ على طلب المبارزة ندبني اليك فتتعبني وتتعب. فان رأَيت ان لا تبرز اليوم فافعل. قال: قد فعلت. ثم انصرف وانصرفت. فقلت لروح: اما انا فقد كفيتك قرني فقل لغيري ان يكفيك قرنه كما كفيتك. فامسك. وخرج آخر يدعو الى البراز فقال لي: اخرج اليهِ. فقلت:

اني أعوذ بروح أن يقدّمني ... الى البراز فتخزى بي بنو أسدِ
انَّ البراز الى الاقران أعلمهُ ... ممَّا يفرّق بين الروح والجسدِ
قد حالفتكَ المنايا ان صدمت لها ... وأَصبحت لجميع الخلق بالرصدِ
ان المهلّب حبَّ الموت أورثكم ... وما ورثتُ اختيار الموت عن أحدِ
لو انَّ لي مهجة أخرى لجدتُ بها ... لكنَّها خلقت فردًا فلم اجدِ

فضحك وأَعفاني

يزيد بن مزيد الشيباني في محاربة الوليد بن طريف

كان الوليد بن طريف الشيبانيّ رأس الخوارج وأَشدّهم بأسًا وصولةً واشجعهم. فكان مَن بالشماسية لا يأمن طروقه. واشتدَّت شوكتهُ وطالت أيامه. فوجَّه اليهِ الرشيدُ يزيدَ بن مزيد الشيبانيّ. فجعل يخاتلهُ ويماكره. وكانت

البرامكة منحرفةً عن يزيد بن مزيد فأغروا بهِ امير المؤمنين وقالوا: انما يتجافى عنهُ للرحم والّا فشوكة الوليد يسيرة وهو يواعدهُ وينتظر ما يكون من أمره. فوجَّه اليهِ الرشيدُ كتاب مغضب يقول فيهِ: لو وجَّهت بأحد الخدم لقام باكثر ممَّا تقوم بهِ ولكنك مداهن متعصّب. وأمير المؤمنين يقسم بالله لئن أخَّرتَ مناجزة الوليد ليوجهنَّ اليك من يحمل رأسك الى امير المؤمنين. فلقي الوليدَ عشية خميس في شهر رمضان. فيقال انَّ يزيد جهد عطشًا حتى رمى بخاتمهِ في فيهِ فجعل يلوكهُ ويقول: اللهمَّ انها شدَّة شديدة فاسترها. وقال لاصحابهِ: فداكم أبي وامي انَّما هي الخوارج ولهم حملة فاثبتوا لهم تحت التراس فاذا انقضت حملتهم فاحملوا فانهم اذا انهزموا لم يرجعوا. فكان كما قال. حملوا حملةً وثبتَ يزيد ومن معهُ من عشيرتهِ وأَصحابهِ. ثم حمل عليهم فانكشفوا. ويُقال انَّ أَسدَ بن يزيد كان شبيهًا بأَبيهِ جدًّا وكان لا يفصلُ بينهما الّا المتأمّل. وكان اكثر ما يباعدهُ منهُ ضربة في وجه يزيد تأخذ من قصاص شعرهِ ومنحرفة على جبهتهِ. فكان أَسد يتمنَّى مثلها. فهوت لهُ ضربة فأَخرجَ وجههُ من الترس فأَصابتهُ في ذلك الموضع. فيقال انهُ لو خطت على مثال ضربة أَبيهِ ما عدا جاءَت كأنها هي. واتبع يزيدُ الوليدَ بن طريف فلحقهُ بعد مسافة بعيدة فأَخذ راسهُ. وكان الوليد خرج اليهم حيث خرج وهو يقول:

انا الوليد بن طريف الشاري ... قسورة لا يصطلى بناري
جوركمُ أَخرجني من داري

فلمَّا وقع فيهم السيف وأُخذ راس الوليد صبحتهم اختهُ ليلى بنت طريف مستعدّة عليها الدرع والجوشن. فجعلتْ تحمل على الناس. فعُرفتْ. فقال يزيد دعوها. ثم خرج اليها فضرب بالرمح قطاة فرسها ثم قال: اغربي غرَّب الله

عينيكِ فقد فضحتِ العشيرة • فاستحيت وانصرفت وهي تقول:

أيا شجر الخابور ما لك مورقًا ... كأنك لم تحزن على ابن طريفِ
فتى لا يحبُّ الزاد الّا من التقى ... ولا المال الّا من قنا وسيوفِ
ولا الذخر الّا كل جرداء صلدم ... وكل رقيق الشفرتين خفيفِ

فلمّا انصرف يزيد بالظفر حُجب برأي البرامكة وأظهر الرشيدُ السخطَ عليه . فقال : وحق امير المؤمنين لأُصيفنَّ وأشتوَنَّ على فرسي أو ادخل • فارتفع الخبرُ بذلك فأذن لهُ فدخل • فلمّا رآه امير المؤمنين ضحك وسرّ وأقبل يصيح: مرحبًا بالاعرابي حتّى دخل وأُجلس وأُكرم وعُرف بلاؤهُ ونقاء صدره • ومدحهُ الشعراء بذلك فكان أحسنهم مدحًا مسلم بن الوليد فقال فيهِ قصيدتهُ التي يقول فيها:

يفترّ عند افترار الحرب مبتسمًا ... اذا تغيّر وجهُ الفارس البطلِ
موفٍ على مهجٍ في يوم ذي رهجٍ ... كأنهُ أجلٌ يسعى الى أملِ
ينال بالرفق ما يعيا الرجالُ بهِ ... كالموت مستعجلًا يأتي على مهلِ
لا يرحل الناسُ الّا نحو حجرتهِ ... كالبيت يفضي اليهِ ملتقى السُبُلِ
يَقري المنية ارواح العداة كما ... يقري الضيوف شحوم الكُوم والبزلِ
يكسو السيوفَ رؤوس الناكثين بهِ ... ويجعل الهام تيجان القنا الذبلِ
اذ انتضى سيفهُ كانت مسالكهُ ... مسالك الموت في الابدان والقللِ
لا تكذبنّ فانّ المجد معدنهُ ... وراثة في بني شيبان لم يزلِ
اذا الشريكيُّ لم يفخر على أحدٍ ... تكلّم الفخر عنهُ غير منتحلِ

معن بن زائدة وامرأته و يزيد بن مزيد

ان امرأة معن بن زائدة عاتبت معنًا في يزيد وقالت: انك لتقدّمه وتؤخر بنيك وتشيد بذكره وتخمل ذكرهم • ولو نبهتهم لانتبهوا ولو رفعتهم لارتفعوا • فقال معن: ان يزيد قريب لم تبعد رحمه ولهُ عليّ حكم الولد اذ كنت عمّهُ • وبعد فانّهم الوط بقلبي وادنى من نفسي على ما توجبهُ واجبة الولادة للابوّة من تقديمهم • ولكني لا أجد عندهم ما أجده عنده • ولو كان ما يضطلع بهِ يزيد في بعيد لصار قريبًا وفي عدوّ لصار حبيبًا • وسأريك في ليلتي هذه ما ينفسح بهِ اللوم عني ويتبيّن بهِ عذري • يا غلام اذهب فادعُ جسّاسًا وزائدة وعبد الله وفلانًا وفلانًا • حتى اتى على اسماء ولده • فلم يلبث أن جاءوا في الغلائل المطيّبة والنعال السنديّة وذلك بعد هدأة من الليل فسلّموا وجلسوا ثم قال: يا غلام ادعُ لي يزيد • وقد اسبل سترًا بينهُ وبين المرأة • واذا بهِ قد دخل عجلًا وعليهِ السلاح كلّهُ • فوضع رمحه بباب المجلس ثم اتى يحضر • فلمّا رآه معن قال: ما هذه الهيئة أبا الزبير • وكان يزيد يكني أبا الزبير وأبا خالد • قال: جاءني رسول الامير فسبق الى نفسي انهُ يُريدني لوجهٍ فقلت ان كان مضيت ولم أُعرّج • وان يكن الامر على خلاف ذلك فنزعُ هذه الآلة أيسرُ الخطب • فقال لهم: انصرفوا في حفظ الله • فقالت المرأة قد تبين عذرك • فأنشد معنٌ متمثلًا:

نفس عصام سوّدت عصامًا ... وعوّدتهُ الكرّ والاقداما
وصيّرتهُ ملكًا هماما

عبد الله بن طاهر والحصنيّ

حدّث محمد بن الفضل الخراساني وكان من وجوه قواد طاهر وابنه
عبد الله وكان اديبًا عاقلًا فاضلًا قال: لمّا قال عبد الله بن طاهر قصيدتهُ التي
يفخر فيها بمآثر أبيهِ واهله ويفخر بقتلهم المخلوع عارضهُ محمد بن يزيد الامويّ
الحصني وكان رجلًا من ولد مسلمة بن عبد الملك فأفرط في السبّ وتجاوز
الحدّ في قبح الردّ وتوسط بين القوم وبين بني هاشم فأربى في التوسط والتعصّب.
فلمّا ولي عبد الله مصر وردّ اليهِ تدبير امر الشام علم الحصني انهُ لا يفلتُ منهُ
ان هرب ولا ينجو من يدهِ حيث حلّ فثبت في موضعهِ وأحرز حرمه وترك
امواله ودوابه وكل ما كان يملكه في موضعهِ وفتح باب حصنهِ وجلس عليهِ.
ونحن نتوقع من عبد الله بن طاهر أن يوقع بهِ. فلما شارفنا بلده وكنّا على ان
نصبحه دعاني عبد الله في الليل فقال لي: بتْ عندي الليلة وليكن فرسك
معدًّا عندك لا يردّ. ففعلت. فلمّا كان في السحر أمر غلمانه واصحابه ان لا يرحلوا
حتى تطلع الشمس. وركب في السحر وانا وخمسة من خواصّ غلمانهِ فسار حتى
صبح الحصني. فرأى بابهُ مفتوحًا ورآه جالسًا مسترسلًا. فقصده وسلّم عليهِ
ونزل عندهُ وقال لهُ: ما أجلسك ههنا وحملك على ان فتحت بابك ولم تتحصن
من هذا الجيش المقبل ولم تتنحَّ عن عبد الله بن طاهر مع ما في نفسهِ عليك
وما بلغهُ عنك. فقال: ان ما قلتَ لم يذهب عليّ ولكني تأملت أمري وعلمت
اني اخطأت خطيئة حملني عليها نزق الشباب وغرّة الحداثة واني ان هربت
منهُ لم أفتهُ فباعدت البنات والحرم واستسلمت بنفسي وكل ما املك. فانّا اهل
بيت قد اسرع القتل فينا ولي بمن مضى أسوة فاني أثق بانّ الرجل اذا قتلني

وأخذ مالي شفى غيظهُ ولم يتجاوز ذلك الى الحرم ولا لهُ فيهنّ ارب ولا يوجب
جرمي اليهِ اكثر ممّا بذلته. (قال) فوالله ما اتقاه عبد الله الّا بدموعهِ تجري
على لحيتهِ. ثم قال لهُ: أتعرفني. قال: لا والله. قال: انا عبد الله بن طاهر
وقد امّن الله تعالى روعتك وحقن دمك وصان حرمك وحرس نعمتك وعفا
عن ذنبك. وما تعجّلت اليك وحدي الّا لتأمن من قبل هجوم الجيش ولئلّا
يخالط عفوي عنك روعة تلحقك. فبكى الحصني وقام فقبل رأسهُ. وضمّهُ عبد الله
وأدناه ثم قال لهُ: اما فلا بدّ من عتاب يا اخي جعلني الله فداك قلتُ شعرًا
في قومي أفخرُ بهم لم اطعنْ فيهِ على حسبك ولا ادّعيتُ فضلًا عليك وفخرتُ
بقتل رجلٍ هو وان كان من قومك فهم القوم الذين ثارك عندهم. فكان
يسعُك السكوت او ان لم تسكت لا تغرق ولا تسرف. فقال: ايها الامير قد
عفوتَ فاجعل العفو الذي لا يخالطهُ تثريب ولا يكدر صفوه تأنيب. قال: قد
فعلت فقم بنا ندخل الى منزلك حتى نوجب عليك حقًّا بالضيافة. فقام مسرورًا
فادخلنا فأتى بطعام كان قد أعدّهُ. فاكلنا وجلسنا نشرب في مستشرف لهُ.
وأقبل الجيش فأمرني عبد الله أن اتلقّاهم فأرحلهم ولا ينزل احد منهم الّا في
المنزل وهو على ثلاث فراسخ. ثم دعا بدواة فكتب لهُ بتسويغهِ خراجهُ ثلاث
سنين وقال لهُ: ان نشطتَ لنا فالحقْ بنا والّا فأقِمْ بمكانك. فقال: فانا اتجهز
والحق بالامير. ففعل فلحق بنا بمصر ولم يزل مع عبد الله لا يفارقهُ حتى رحل الى
العراق فودّعهُ وقام ببلده

مقتل عمرو بن عاصية

أخبر محمد بن الحسن بن دريد اجازةً عن أبي حاتم عن أبي عبيدة قال: خرج عمرو بن عاصية السلمي ثم البهزي في جماعة من قومهِ فأغاروا على هذيل ابن مدركة. فصادفوا حيًّا من هذيل يقال لهم بنو سهم بن معاوية. فقالت امرأة رجلٍ من بني بهز لابنٍ لها: أي بُنيَّ انطلق الى اخوالك فأنذرهم بانَّ ابن عاصية السلمي قد أمسى يريدهم. وذلك حين عزم ابن عاصية على غزوهم وأراد المسير اليهم. فانطلق الغلام من تحت ليلتــهِ حتى أتى اخواله فأنذرهم فقال: ابن عاصية السلمي يريدكم فخذوا حذركم. فبدر القوم واستعدُّوا. وأصبح عمرو بن عاصية قريبًا من الحيّ فنزل قريبا لاصحابهِ على جبل. فاذا هم حذرون. فقال لاصحابهِ: ارى القوم حذرين انَّ لهم لشأنًا ولقد أُنذروا علينا. فكمن في الجبل يطلب غفلتهم. فأصابهُ وأصحابه عطش شديد. فقال ابن عاصية لاصحابهِ: هل فيكم من يرتوي لاصحابهِ. فقال اصحابه: نخاف القوم. وأبى احد منهم ان يجيبهُ الى ذلك. (قال) فخرج على فرسٍ لهُ ومعهُ قربته. وقد وضعت هذيل على الماء رجلًا منهم رصدًا وعلموا انهم لا بدّ لهم من ان يردوا الماء. فمرَّ بهم عمرو بن عاصية وقد كمن لهُ شيخ وفتيان من هذيل. فلمَّا نظروا اليهِ همَّ الفتيان ان يثاوراهُ. فقال الشيخ: مهلًا فانهُ لم يركما. فكفَّا. فانتهى ابن عاصية الى البئر فنظر يمينًا وشمالًا فلم يرَ احدًا. والآخرون يرمقونهُ من حيث لا يراهم. فوثب نحو قربتــهِ فأخذها ثم دخل البئر فطفق يملأُ القربة ويشرب. وأقبل الفتيان والشيخ معهما حتى اشرفوا عليهِ وهو في البئر فقالوا: أخزاك الله يا ابن عاصية وأمكن منك. (قال) ورمى الشيخ بسهمٍ فأصاب أخمصه فأنفذهُ فصرعه.

وشُغل الفتيان بنزع السهم من قدم الشيخ. ووثب ابن عاصية من البئر شدًّا نحو أصحابهِ وأدركهُ الفتيان قبل وصولهِ فاسراه. فقال لهما حين أخذاه: اروياني من الماء ثم اصنعا ما بدا لكما. فلم يسقياه وتعاوراه باسيافهما حتى قتلاه. فقالت اخت عمرو بن عاصية ترثي أخاها:

يا لهف نفسيَ لهفًا دائمًا ابـدًا ... على ابن عاصيـة المقتول بالوادي
اذ جاء ينفض عن اصحابهِ طفلًا ... مشي السبنتى امام الآيكة العادي
هلاَّ سقيتم بني سهم اسيركمُ ... نفسي فداؤك من مستوردٍ صادي
الطاعن الطعنة النجلاء يتبعها ... مضرجٌ بعد ما جادت بازبادِ

مجازاة النعمان بن المنذر

قال عمارة بن قابوس: لقيت أبا زبيد الطائي فقلت لهُ: يا أبا زبيد هل أتيتَ النعمان بن المنذر. قال: اي والله لقد أتيتهُ وجالستهُ. قلت: فصفهُ لي. فقال: كان احمر ازرق أبرش قصيرًا. فقلت لهُ: بالله اخبرني أيسرُّك انهُ سمع مقالتك هذه وان لك حمر النعم. قال: لا والله ولا سودها. فقد رأيت ملوك حمير في ملكها ورأيت ملوك غسَّان في ملكها فما رأيت أحدًا قط كان أشدّ عزًّا منــهُ. وكان ظهر الكوفة ينبت الشقائق فحمى ذلك المكان فنسب اليهِ فقيل شقائق النعمان. فجلس ذات يوم هناك وجلسنا بين يديه كأنَّ على رؤوسنا الطير وكأنهُ باز. فقام رجل من الناس فقال لهُ: أبيت اللعن اعطني فانّي محتاج. فتأملهُ طويلًا. ثم أمر بهِ فادني حتى قعد بين يديه. ثم دعا بكنانة فاستخرج منها مشاقص فجعل يجأُ بها في وجههِ حتى سمعنا قرع العظام وخضبت لحيته وصدره بالدم.

ثم أمر بهِ فنُحّي . ومكثنا مليا . ثم نهض آخر فقال له : أبيت اللعن اعطني .
فتأمله ساعة ثم قال : اعطوه الف درهم . فأخذهـا وانطلق . ثم التفت عن
يمينه ويساره وخلفه فقال : ما قولكم في رجل أزرق أحمر يذبح على هذه الاكمة .
أترون دمه سائلًا حتى يجري في هذا الوادي . فقلنـا له : أنت ابيت اللعن
أعلى برايك عيناً . فدعا برجل على هذه الصفة فأمر بهِ فذُبح . ثم قال : لا تسألوني
عمّا صنعت . فقلنا : ومَن يسألك أبيت اللعن عن أمرك وما تصنع . فقـال : أمّا
الاوّل فاني خرجت مع أبي نتصيّد فمررت بهِ وهو بفنـاء بابهِ وبين يديه عس
من شراب او لبن . فتناولته لأشرب منهُ . فثار اليَّ فهراق الاناء . فملأ وجهي
وصدري . فأعطيت الله عهدًا لئن امكنني منهُ لاخضبنَّ لحيته وصدره من دم
وجههِ . وأمّا الآخر فكانت له عندي يدٌ كافأته بها ولم اكن اثبته فتأملته
حتى عرفتـهُ . واما الذي ذبحته فان عيناً لي بالشام كتب اليَّ : انَّ جبلة بن
الايهم قد بعث اليك برجل صفته كذا وكذا ليغتالك . فطلبتهُ اياماً فلم اقدر
عليهِ حتى كان اليوم

كِبر كُثَيّر

أخبر الزبير بن بكار قال : انَّ عمر بن أبي ربيعة قدم المدينة فأقام بهـا
شهرًا (قال) . ثم خرج الى مكة فخرج معهُ الاحوص واعتمرا . قال الزبير في
خبره عن سائب راوية كثيّر انه قال لما مرَّ بالروحاء : استتلياني . فخرجت اتلوهما
حتى لحقتهما بالعرج عند رواحهما . فخرجنا جميعًا حتى وردنا ودّان فحبسهما
النصيب وذبح لهما واكرمهما . وخرجنا وخرج معنا النصيب . فلمّا جئنا كليـة

عدلنا جميعًا الى منزل كثيّر . فقيل لنا هبط قديدًا . فذُكر لنا انهُ في خيمة من
خيامها . فقال لي ابن أبي ربيعة : اذهب فادعهُ لي . فقـال النصيب : هو أحمق
وأشدّ كبرًا من ان يأتيك . فقال لي عمر : اذهب كما أقول فادعهُ لي . فجئتـهُ
فهشَّ لي وقال : اذكر غائبًا ترَهُ لقد جئتَ وأنا اذكرك . فأبلغتهُ رسالة عمر . فحدَّد
اليَّ نظره وقال : أما كان عندك من المعرفة ما يردعك عن أتياني بمثل هذه
الرسالة . قلت : بلى والله ولكني سترت عليك فأبى الله الّا ان يهتك سترك . فقال
لي : انك والله يا ابن ذكوان ما انت من شكلي فقـل لابن أبي ربيعة : ان
كنتَ قرشيًا فانا قرشيّ . فقلت له : لا تتركُ هذا التلصق وانت تفرق عنهم كما
تفرق الصمغة . فقال : والله لأنا أثبتُ فيهم منك في سدوس . ثم قال : وقل لهُ :
ان كنتَ شاعرًا فأنا أشعرُ منك . فقلت له : هذا اذا كان الحكم اليك . فقال :
والى مَن هو ومَن أولى بالحكم مني اليوم . فرجعتُ الى عمر فقال : ما وراءك
فقلت : ما قال لك نصيب . فقال : وإنَّ . فأخبرتهُ . فضحك وضحك صاحبـاه
ظهرًا لبطنٍ . ثم نهضوا معي اليهِ فدخلنا عليهِ في خيمة فوجدناه جالسًا على جلد
كبش . فوالله ما أوسع للقرشيّ

النعمان يحثّ خالد بن مالك على الطلب بثار عمّه

قال ابن الاعرابي : قتل رجلان من بني سعد بن عجـل يقال لهما وائل
وسليط ابناء عبد الله عمّا لخالد بن مالك بن ربعي النهشلي يقال له عامر بن
ربعي . وكان خالد بن مالك عنـد النعمان حينئذٍ ومعهُ الاسود بن يعفر .
فالتفت النعمان يومًا الى خالد بن مالك فقال له : أيَّ فارسين في العرب تعرف

هما اثقلُ على الاقران وأخفُّ على متون الخيل . فقال لهُ : أبيت اللعن انت أعلم . فقال : خالا ابن عمك الاسود بن يعفر وقاتلا عمك عامر بن ربعي يعني العجليّين وائلًا وسليطًا . فتغيّر لون خالد بن مالك . وانما اراد النعمان أن يحثهُ على الطلب بثار عمهِ . فوثب الاسود فقال : أبيت اللعن اللئيم من رأى حق اخواله فوق حقّ اعمامه . ثم التفت الى خالد بن مالك فقال : يا ابن عمّ الخمرُ عليّ حرام حتى اثأر لك بعمّك . قال : وعليّ مثل ذلك . ونهضا يطلبان القوم وجمعا جمعًا من بني نهشل بن دارم . فأغارا بهم على كاظمة . وارسلا رجلًا من بني زيد بن نهشل بن دارم يُقال لهُ عبيد يتجسّس لهم الخبر . فرجع اليهم فقال لهُ : جوف كاظمة ملآن من حجاج وتجّار وفيهم وائل وسليط متساندان في جيش . فركبت بنو نهشل حتى أتوهم فنادوا : مَن كان حاجًا فليمضِ لحجهِ ومَن كان تاجرًا فليمضِ لتجارتهِ . فلما خلص لهم وائل وسليط في جيشهما اقتتلوا . فقُتل وائل وسليط قتلهما هزان بن زهير بن جندل بن نهشل عادى بينهما . وادّعى الاسود بن يعفر انهُ قُتل وائل . ثم عاد الى النعمان فلما رآهُ تبسم وقال : اوفِ نذرك يا اسود . قال : نعم ابيت اللعن . ثم اقام عنده مدّة ينادمهُ ويواكلهُ . ثم مرض مرضًا شديدًا فبعث النعمان اليهِ رسولًا يسألهُ عن خبره وهول ما بهِ . فقال :

نفعٌ قليل اذا نادى الصدى أصلًا ‌ ‌ ‌ ‌ وحان منهُ لبرد الماء تغريدُ
وودّعوني فقالوا ساعة انطلقوا ‌ ‌ ‌ ‌ أودى فأودى الندى والحزم والجودُ
فما أبالي اذا ما متُّ ما صنعوا ‌ ‌ ‌ ‌ كل امرئٍ بسبيل الموت مرصودُ

خالد القسري والفرزدق

حدّث محمد بن موسى قال : كتب خالد القسري الى مالك بن المنذر يامره بطلب الفرزدق ويذكر انهُ بلغهُ انهُ هجاه وهجا المبارك . (١) فأخذهُ وحبسهُ ومرّوا بهِ على بني مجاشع فقال : يا قوم اشهدوا انهُ لا خاتم بيدي . وذلك انهُ اخذ عمر بن يزيد بن أسيد ثم أمر بهِ فلويت عنقهُ . ثم أخرجوه ليلًا الى السجن . فجعل راسهُ يتقلّب والاعوان يقولون لهُ : قوّم راسك . فلمّا اتوا بهِ السجان قال : لا اتسلّمهُ منكم ميتًا . فأخذوا المفاتيح منهُ وأدخلوه الحبس . وأصبح ميتًا فسمعوا انهُ مصّ خاتمه وكان فيهِ سمّ فمات . وتكلّم الناس في امرهِ . فدخل لبطة بن الفرزدق على أبيهِ . فقال : يا بنيّ هل كان من خبر . قال : نعم عمر بن يزيد مصّ خاتمهُ في الحبس وكان فيهِ سمّ فمات . فقال الفرزدق : والله يا بني لئن لم تلحق بواسط ليمصنّ أبوك خاتمه وقال :

ألم يكُ قتلُ عبد الله ظلمًا ‌ ‌ ‌ ‌ أبا حفص من الجرم العظام
قتيل عداوةٍ لم يجنِ ذنبًا ‌ ‌ ‌ ‌ يقطّع وهو يهتف للامامِ

(قال) وكان عمر عارض خالدًا وهو يصف لهشام طاعة أهل اليمن وحسن موالاتهم ونصيحتهم . فصفق عمر بن يزيد احدى يديه على الاخرى حتى سمع لهُ في الايوان دويّ ثم قال : كذب والله يا امير المؤمنين ما اطاعت اليمانية ولا نصحت . أليس هم اعداؤك واصحاب يزيد بن المهلّب وابن الاشعث . والله ما نعق ناعق الّا اسرعوا الوثبة اليهِ . فاحذرهم يا امير المؤمنين . ووثب رجل من بني أميّة فقال لعمر بن يزيد : وصل الله رحمك وأحسن جزاءك فلقد شددت

(١) وهو النهر الذي بواسط الذي كان اتخذهُ البراجم

من انفس قومك وانتهزت الفرصة ووقتها. ولكن أحسبُ هذا الرجل سيلي العراق وهو منكرٌ حسود وليس يخار لك ان ولي. فلم يرتدع عمر بقولهِ وظنَّ انهُ لا يقدم عليه. فلمّا ولي لم تكن لهُ همة غيره حتى قتلهُ

(قال) ثم ان مالكًا وجّه الفرزدق الى خالد. فلمّا قدم بهِ عليهِ وجده قد حجَّ واستخلف أخاه أسد بن عبد الله على العراق . فحبسهُ أسد. ووافق عنده جريرًا فوثب يشفع لهُ وقال: ان رأى الامير أن يهبهُ لي. فقال اسد: أتشفع لهُ يا جرير. فقال: ان ذلك أذلّ لهُ أصلحك الله. وكلم اسدًا ابنهُ المنذر فخلّى سبيلهُ. فقال الفرزدق في ذلك قوله:

لا فضل الّا فضل أمٍّ على ابنها   كفضل أبي الاشبال عند الفرزدقِ
تداركني من هوّة دون قعرها   ثمانون باعًا للطوال العشنّقِ

وقال جرير يذكر شفاعتهُ له:

وهل لك في عانٍ وليس بشاكرٍ   فتطلق عنهُ عضَّ مسّ الحدائدِ
يعود وكان الخبثُ منك سجيةً   وان قال اني منتهٍ غير عائدِ

الفرزدق يقدم المدينة في سنة جدبة

أخبر عثمان بن خالد العثماني ان الفرزدق قدم المدينة في سنة مجدبة. فمشى اهل المدينة الى عمر بن عبد العزيز فقالوا لهُ: ايها الامير انَّ الفرزدق قدم مدينتنا هذه في هذه السنة الجدبة التي قد اهلكت عامة الاموال التي لاهل المدينة وليس عند احدٍ منهم ما يُعطيه شاعرًا. فلو أنَّ الامير بعث اليهِ فأرضاه ويقدم اليهِ ان لا يعرض لاحدٍ بمدحٍ ولا هجاء. فبعث اليهِ عمر: انك يا فرزدق

قدمت مدينتنا هذه في هذه السنة الجدبة وليس عند احدٍ ما يعطيه شاعرًا وقد أمرتُ لك باربعة آلاف درهم. فخذها ولا تعرض لاحدٍ بمدح ولا هجاء. فأخذها الفرزدق. ومرَّ بعبد الله بن عمرو بن عثمان وهو جالس في سقيفة داره عليهِ مطرف خزّ أحمر وجبة خزّ أحمر. فوقف عليهِ وقال:

اعبد الله أنت أحقّ ماشٍ   وساعٍ بالجماهير الكبارِ
نما الفاروق أُمك وابنُ اروى   أبوك فانت منصدع النهارِ
هما قمر السماء وانت نجم   بهِ في الليل يدلج كل سارِ

فخلع عليهِ الجبّة والعمامة والمطرف وأمر لهُ بعشرة آلاف درهم. فخرج رجل كان حضر عبد الله والفرزدق عندهُ ورأى ما اعطاه اياه وسمع ما أمرهُ عمر بهِ من ان لا يعرض لاحد فدخل الى عمر بن عبد العزيز فأخبرهُ. فبعث اليهِ عمر: ألم اتقدَّم اليك يا فرزدق ان لا تعرض لاحد بمدح ولا هجاء. اخرجْ فقد اجّلتك ثلاثًا. فان وجدتك بعد ثلاث نكلتُ بك فخرج وهو يقول:

فأجّلني وواعدني ثلاثًا   كما وعدت لمهلكها ثمود

(قال) وقال جرير فيهِ:

نفاك الاغرّ ابن عبد العزيز   ومثلك ينفى من المسجدِ
وشبهت نفسك اشقى ثمود   فقالوا ضللت ولم تهتدِ

قيس بن عاصم ووعلة الجرمي

حدثنا الاصمعي قال: خرج رجل من بني تميم يقال انهُ قيس بن عاصم يوم الكلاب يلتمس ان يصيب رجلًا من ملوك اليمن لهُ فداء. فبينما هو في ذلك

اذ ادرك وعلة الجرمي وعليهِ مقطعات لهُ فقال لهُ: على يمينك. قال: على يساري
اقصد لي. قال: هيهات منك اليمن. قال: العراق مني ابعد. قال: انك لن
ترَ أهلك العام. قال: ولا اهلك اراهم. وجعل وعلة يركض فرسهُ فاذا ظنَّ
انها قد اعيت وثب عنها فعدا معها وصاح بها فتجري وهو يجاريها فاذا أعيا
وثب فركبها حتى نجا. فسأل عنهُ قيس فعرف انهُ وعلة الجرمي فانصرف
وتركهُ. فقال وعلة في ذلك:

نجوت نجاءً لم يرَ الناس مثلهُ ... كأني عقاب عند تيمن كاسرُ
ولمّا رأيت الخيل تدعو مقاعسًا ... تنازعني من ثغرة النحر جائرُ
فان استطع لا تلتبس بي مقاعس ... ولا يرني ميدانهم والمحاضرُ
ولا تك لي جرادة مضرية ... اذا ما غدت قوت العيال تبادرُ

المؤمَّل والمهدي

حدَّثني المؤمّل قال: قدمت على المهدي وهو بالريّ وهو اذ ذاك وليّ
عهد. فامتدحتهُ بأبيات فأمر لي بعشرين الف درهم. فكتب بذلك صاحب
البريد الى أبي جعفر المنصور وهو بمدينة السلام يخبرهُ أنَّ الامير المهدي أمر
لشاعر بعشرين الف درهم. فكتب اليهِ يعذلهُ ويلومهُ ويقول لهُ: انما ينبغي ان
تعطي بعد ان يقيم ببابك سنةً أربعة آلاف درهم. وكتب الى كاتب المهدي
ان يوجه اليهِ بالشاعر. فطلب ولم يقدر عليهِ وكتب الى أبي جعفر انهُ قد توجَّه
مدينة السلام. فأجلس قائدًا من قوّاده على جسر النهروان وأمرهُ ان يتصفح
الناس رجلًا رجلًا. فجعل لا يمرّ بهِ قافلة الّا تصفح من فيها. ومرّت بهِ القافلة

التي فيها المؤمل فتصفحهم. فلمّا سألهُ: مَن أنت. قال: انا المؤمل بن أميل
المحاربي احد زوّار الامير المهدي. فقال: اياك طلبتُ. (قالَ المؤمل) فكاد
قلبي ان ينصدع خوفًا من أبي جعفر. فقبض عليَّ وأسلمني الى الربيع. فأدخلني
الى أبي جعفر وقال لهُ: هذا الشاعر الذي أخذ من المهدي عشرين الفًا قد ظفرنا
بهِ. فقال: ادخلوه اليَّ. فأدخلت اليهِ فسلّمت تسليم مروَّع. فردّ السلام وقال:
ليس لي ههنا الّا خير. أنت المؤمل بن أميل. قلت: نعم أصلح الله امير المؤمنين
انا المؤمل بن أميل. قال: أتيت غلامًا غرًّا فخدعتهُ. قلت: نعم أصلح الله
الامير اتيت غلامًا غرًّا كريمًا فخدعتهُ فانخدع. (قال) فكأنَّ ذلك أعجبهُ.
فقال: انشدني ما قلت فيهِ. فأنشدتهُ:

هو المهديُّ الّا انّ فيهِ ... مشابه صورة القمر المنيرِ
تشابه ذا وذا فهما اذا ما ... أنارا مشكلان على البصيرِ
فهذا في الظلام سراج ليلٍ ... وهذا في النهار ضياء نورِ
ولكن فضّل الرحمن هذا ... على ذا بالمنابر والسريرِ
وبالملك العزيز فذا أميرٌ ... وما ذا بالامير ولا الوزيرِ
ونقص الشهر ينقص ذا وهذا ... أميرٌ عند نقصان الشهورِ
فيا ابن خليفة الله المصفّى ... بهِ تعلو مفاخرة الفخورِ
لئن فتّ الملوك وقد توافوا ... اليك من السهولة والوعورِ
لقد سبق الملوكَ ابوك حتى ... بقوا من بين كاب او حسيرِ
وجئت مصليًا تجري حثيثًا ... وما بك حين تجرى من فتورِ
فقال الناس ما هذان الّا ... كما بين الخليق الى الجديرِ
لقد سبق الكبير فأهل سبقٍ ... لهُ فضل الكبير على الصغيرِ

وان بلغ الصغير مدى كبيرٍ   فقد خُلق الصغير من الكبيرِ

فقال : والله لقد أحسنتَ ولكن هذا لا يساوي عشرين الف درهم . فأين المال . قلت : هو هذا . قال : يا ربيع امضِ معهُ فاعطهِ أربعة آلاف درهم وخذ الباقي . (قال المؤمل) فخرج معي الربيع وحطَّ ثقلي ووزن لي من المال اربعة آلاف درهم وأخذ الباقي . فلما ولي المهدي الخلافة ولي ابن ثوبان المظالم . فكان يجلس للناس بالرصافة . فاذا ملأ كساءه رقاعاً رفعها الى المهدي . فرُفعت اليهِ رقعة فلما دخل بها ابن ثوبان جعل المهدي ينظر في الرقاع حتى اذا وصل الى رقعتي ضحك . فقال لهُ ابن ثوبان : أصلح الله امير المؤمنين ما رأيتك ضحكت من شيء من هذه الرقاع الّا من هذه الرقعة . فقال هذه رقعة اعرفُ سببها . ردّوا اليهِ عشرين الف درهم فردّوها اليَّ وانصرفت

الجمل الحاقد والسيف الكريم

حدّثنا الحسن بن محمد بن عبد الله بن حسن بن عليّ قال : جاءَ اعرابي الى أبي وهو مستتر بسويقة قبل مخرجهِ ومعهُ سيف قد علاهُ الصدأ فقال : يا ابن رسول الله اني كنت ببطن قديد ارعى ابلي وفيها فحل هائج قد كنت ضربتهُ . فحقد عليَّ وانا لا ادري . فخلا بي فشدّ عليَّ يريدني وانا احضر ودنا مني حتى انَّ لعابه ليسقط على راسي لقربه مني . فأنا اشتدّ وانا انظر الى الارض لعلّي أرى شيئاً أذبُّهُ عني بهِ اذ وقعت عيني على هذا السيف قد فحص عنهُ السيل . فظننتهُ عوداً بالياً فضربت بيدي اليه فأخذتهُ فاذا سيف . فذبَّيت بهِ البعير عني ذباً والله ما اردتُ الذي بلغت منهُ فاصبت . خيشومه

فرميت بقُقْمه . فعلمت انهُ سيف جيد وظننتهُ من سيوف القوم الذين كانوا قتلوا في وقعة قديد . وها هوذا قد اهديتهُ لك يا ابن رسول الله . (قال) فأخذه منهُ أبي وسُرَّ بهِ . وجلس الاعرابي يحادثهُ . فبينما هو كذلك اذ أقبلت غنم لأبي ثلثمائة شاة فيها رعاؤُها . فقال لهُ : يا اعرابي هذه الغنم والرعاة لك مكافأةً لك عن هذا السيف . (قال) ثم ارسل الى قين فأتى بهِ من المدينة فأمر بهِ فحلي . فخرج اكرم سيوف الناس . فأمر فاتخذ لهُ جفن . ودفعهُ الى اختي فاطمة بنت محمد . فلما كان اليوم الذي قتل فيهِ قاتل بغير ذلك السيف . (قال) وبقي السيف عند اختي فاطمة بنت محمد . فزرتها يوماً وهي بينبع في جماعة من اهل بيتي وكانت عند ابن عمها الحسن فخرجتْ الينا . وكانت برزة تجلس لاهلها كما يجلس الرجال وتحدّثهم . فجلست تحدّثنا وأمرت مولى لها فنحر لنا جزوراً ليهيّء لنا منها طعاماً . فنظرت اليها والجزور في النخل باركة وقد برزت وهي تسلخ فقالت : اني لا ارى في هذه الجزور مضرباً حسناً ثم دعت بالسيف وقالت : يا حسن فدتك اختك هذا سيف أبيك فخذه واجمع يديك في قائمه ثم اضرب بهِ اثناءها من خلفها (تريد عراقيبها) وقد اثبتها للبروك وهي اربعة اعظم . (قال) فأخذتُ السيف ثم مضيت نحوها فضربتُ عراقيبها فقطعتها والله اربعتها . وسبقني السيف فدخل في الارض فأشفقتُ عليهِ ان ينكسر ان اجتذبتهُ فحفرت عنهُ حتى استخرجتهُ . (قال) فذكرتُ حينئذٍ قول النمر بن تولب :

أبقى الحوادث والايام من نمر   أسياد سيف كريم اثره بادي
تظل تحفر عنهُ الارض مندفعاً   بعد الذراعين والقيدين والهادي

اللصان أبو حردبة وشِظَاظ

حدّثني أبو الهيثم قال: اجتمع مالك بن الريب وأبو حردبة وشظاظ يوماً فقالوا: تعالوا نتحدّث بأعجب ما عملناه في سرقتنا. فقال أبو حردبة: أعجب ما صنعت وأعجب ما سرقت اني صحبت رفقة فيها رجل على رحل فأعجبني فقلت لصاحبي: والله لاسرقنّ رحله ثم لا رضيت أو آخذ عليه جعالة. فرمقته حتى رأيتهُ قد خفق براسه فأخذت بخطام جمله فقدتهُ وعدلت به عن الطريق حتى اذا صيرتهُ في مكان لا يغاث فيه ان استغاث أنختُ البعير وصرعتهُ فأوثقت يديه ورجله وقدت الجمل فغيبتهُ. ثم رجعت الى الرفقة وقد فقدوا صاحبهم فهم يسترجعون. فقلت: ما لكم. فقالوا: صاحب لنا فقدناه. فقلت: أنا اعلم الناس بأثره. فجعلوا لي جعالة. فخرجت بهم اتبع الاثر حتى وقفوا عليه فقالوا: ما لك. قال: لا ادري نعست فانتبهت لخمسين فارساً قد اخذوني فقاتلتهم فغلبوني. (قال أبو حردبة) فجعلت اضحكُ من كذبه. وأعطوني جعالتي وذهبوا بصاحبهم. (وأعجب ما سرقت) انهُ مرّ بي رجل معهُ ناقة وجمل وهو على الناقة. فقلت: لآخذنّهما جميعاً. فجعلت اعارضهُ وقد رأيتهُ قد خفق براسه فدرتُ فأخذت الجمل فحللتهُ وسقتهُ فغيبتهُ في القصيم (وهو الموضع الذي كانوا يسرقون فيه). ثم انتبه فالتفت فلم يرَ جملهُ. فنزل وعقل راحلته ومضى في طلب الجمل. ودرت. فحللت عقال ناقته وسقتها. فقالوا لأبي حردبة: ويحك فختامَ تكون هكذا. قال: اسكتوا. فكأنكم بي قد تبتُ وأشتريتُ فرساً وخرجت. فبينما انا واقف اذ جاءني سهم كأنهُ قطعة رشاء فوقع في نحري فمتُّ شهيداً. (قال) فكان كذلك. تاب وقدم البصرة فاشترى فرساً وغزا الروم

فأصابهُ سهم في نحره فاستشهد. ثم قالوا لشظاظ: اخبرنا انت باعجب ما أخذت في لصوصيتك ورأيت فيها. فقال: نعم. كان فلان (رجل من اهل البصرة) لهُ بنت عمّ ذات مال كثير وهو وليّها. وكانت لهُ نسوة. فأبت ان تتزوّجهُ. فحلف ان لا يزوجها من احد ضراراً لها. وكان يخطبها رجل غنيّ من أهل البصرة فحرضت عليه وأبى الآخر ان يزوّجها منهُ. ثم انّ وليّ الامر حجّ حتى اذا كان بالدوّ على مرحلة من البصرة حذاءها قريب منهُ جبل يقال لهُ سنام (وهو منزل الرفاق اذا صدرت او وردت) مات الوليّ فدفن برابية وشيد على قبره. فتزوّجت الرجل الذي كان يخطبها. (قال شظاظ) وخرجت رفقة من البصرة معهم برٌّ ومتاعٌ. فتبصّرتهم وما معهم واتبعتهم حتى نزلوا. فلمّا ناموا بيّتهم واخذت من متاعهم. ثم ان القوم أخذوني وضربوني ضرباً شديداً وجرّدوني. (قال) وذلك في ليلة قرّة. وسلبوني كلّ قليل وكثير فتركوني عرياناً وتماوتُّ لهم. وارتحل القوم. فقلت: كيف أصنع. ثم ذكرت قبر الرجل فأتيتهُ فنزعت لوحه ثم احتفرت فيه سرباً فدخلت فيه ثم سددتُ عليّ باللوح وقلت: لعلّي الآن ادفأُ فاتبعهم. (قال) ومرّ الرجل الذي تزوّج بالمرأة في الرفقة. فمرّ بالقبر الذي انا فيه فوقف عليه وقال لرفيقه: والله لانزلنّ الى قبر فلان حتى انظر هل يحمي الآن زيجة فلانة. (قال شظاظ) فعرفت صوته فقلعت اللوح ثم خرجت عليه بالسيف من القبر وقلت: بلى وربّ الكعبة لاحمينّها. فوقع والله على وجهه مغشياً عليه لا يتحرّك ولا يعقل. فجلست على راحلته وعليها كل اداة وثياب ونقد كان معهُ. ثم وجهتها قصد مطلع الشمس هارباً من الناس فنجوت بها. فكنت بعد ذلك اسمعهُ يحدّث الناس بالبصرة ويحلف لهم ان الميت الذي كان منعهُ من تزويج المرأة خرج عليه من قبره

بسلبهِ وكفنهِ فبقي يؤمّهُ ثم هرب منهُ. والناس يعجبون منهُ فعاقلهم يكذبهُ والاحمق منهم يصدّقهُ. وانا اعرف القصة فاضحك منهم كالمتعجب. قالوا: فزدنا. قال: فأنا ازيدكم أعجب من هذا وأحمق من هذا. اني لأَمشي في الطريق ابتغي شيئاً اسرقهُ. فلا والله ما وجدت شيئاً. قال وشجرة ينام من تحتها الركبان بمكان ليس فيهِ ظلّ غيرها واذا انا برجل يسير على حمارٍ لهُ. فقلت لهُ: أتسمع قال: نعم. قلت: ان المقيل الذي تريد ان تقيلهُ يخسف بالدواب فيهِ فاحذرهُ. فلم يلتفت الى قولي. (قال) ورمقتهُ حتى اذا نام أقبلتُ على حماره فاستقتهُ حتى اذا برزت بهِ قطعت طرف ذنبه واذنيه وأخذت الحمار فخبأتهُ. وابصرتهُ حين استيقظ من نومهِ فقام يطلب الحمار ويقفو أثره. فبينما هو كذلك اذ نظر الى طرف ذنبهُ واذنيه فقال: لَعمري لقد حُذِّرتُ لو نفعني الحذر. واستمرّ هارباً خوف ان يخسف بهِ. فأخذت جميع ما بقي من رحلهِ فحملتهُ على الحمار واستمرّ فالحق باهلي. (قال أبو الهيثم) ثم صلب الحجّاج رجلاً من الشراة بالبصرة وراح عشيّاً لينظر اليهِ فاذا برجل بازائهِ مقبل بوجههِ عليهِ. فدنا منهُ فسمعهُ يقول للمصلوب: طال ما ركبت فاعقب. فقال الحجاج: مَن هذا. قالوا: هذا شظاظ اللصّ. قال: لا جرم والله ليعقبنّك. ثم وقف وأمر بالمصلوب فأُنزل وصلب شظاظاً مكانهُ

هند امرأة عبد الله بن عجلان تحذّر قومها

انّ بني عامر جمعوا لبني نهد. فقالت هند امرأة عبد الله بن العجلان لغلام منهم يتيم فقير من بني عامر: لك خمس عشرة ناقة على ان تاتي قومي

فتنذرهم قبل ان ياتيهم بنو عامر. فقال: أفعلُ. فحملتهُ على ناقة لزوجها ناجية وزوّدتهُ تمرًا ووطبًا من لبن. فركب فجدّ في السير وفني اللبنُ. فأتاهم والحيّ خلوف في غزو وميرة. فنزل بهم وقد يبس لسانهُ. فلمّا كلّموهُ لم يقدر على أن يجيبهم واومأ لهم الى لسانهِ. فأمر خراش بن عبد الله بلبن وسمن فاسخن وسقاهُ اياه. فابتلّ لسانهُ وتكلّم وقال لهم: أُتيتم. انا رسول هند اليكم تنذركم. فاجتمعت بنو نهد واستعدّت. ووافتهم بنو عامر فلحقوهم على الخيل فاقتتلوا قتالًا شديدًا: فانهزمت بنو عامر. فقال عبد الله بن العجلان في ذلك:

أعاود عيني نصبها وغرورها ... أهمّ عناها أم قذاها يعورها
أم الدار امست قد تعفّت كأنها ... زبور يمان رقشتهُ سطورها
ذكرت بها هندًا واترابها الاولى ... بها يكذب الواشي ويعصى اميرها
فما معول تبكي لفقد أليفها ... اذا ذكرتهُ لا يكفُّ زفيرها
بأغزر مني عبرةً اذ رأيتها ... يحثّ بها قبل الصباح بعيرها
ألم يأتِ هندًا كيفما صنعُ قومها ... بني عامر اذ جاء يسعى نذيرها
فقالوا لنا انّا نحب لقاءكم ... وانّا نحيّي ارضكم ونزورها
فقلنا اذًا لا ننكل الدهر عنكمُ ... بصمّ القنا اللائي الدماء تميرها
فلا غرو انّ الخيل تنحط في القنا ... تمطّر من تحت العوالي ذكورها
تأوّه مما مسّها من كريهةٍ ... وتصفى الخدود والرماح تصورها
واربابها صرعى ببرقة اخرت ... يجرّرهم ضبعانها ونسورها
فابلغ أبا الحجاج عني رسالةً ... مغلغلة لا يفلتنك بسورها
فانت منعت السلم يوم لقيتنا ... بكفيك تسدي غيّة وتنيرها
فذوقوا على ما كان من فرط احنةٍ ... حلائبنا اذ غاب عنا نصيرها

وصف بلدة الحيرة

حدَّث سليمان بن بشر بن عبد الملك قال: كان بعض ولاة الكوفة يذم الحيرة في ايام بني أميَّة. فقال لهُ رجل من اهلها وكان عاقلًا ظريفًا: أتعيبُ بلدةً بها يُضرب المثل في الجاهليَّة والاسلام. قال: وبماذا تُمدح. قال: بصحة هوائها وطيب مائها ونزهة ظاهرها. تصلح للخفّ والظلف. سهلٌ وجبلٌ وبادية وبستان وبرٌّ وبحر. محلّ الملوك ومزارهم ومسكنهم ومثواهم. وقد قدمتَها أصلحك الله مخفًّا فرجعتَ مثقلًا ودرتها مقلًّا فاصارتك مُكثِرًا. قال: فكيف نعرف ما وصفتها بهِ من الفضل. قلت: بأن تصير اليَّ ثم ادعُ ما شئتَ من لذات العيش فوالله لا أجوز بك الحيرة فيهِ. قال: فاصنع لنا صنيعًا واخرج من قولك. قلت: أفعلُ. فصنع لهم طعامًا واطعمهم من خبزها وسمكها وما صيد من وحشها من ظباء ونعام وأرانب وحبارى. وسقاهم ماءها في قلالها وخمرها في آنيتها. واجلسهم على رقها (وكان يتخذ بها من الفرش اشياء ظريفة) ولم يستخدم لهم حرًّا ولا عبدًا الَّا من مولديها ومولداتها من خدم ووصائف كانهم اللؤلؤ لغتهم لغة اهلها. ثم غنَّاهم حُنين وأصحابه في شعر عديّ بن زيد شاعرهم وأعشى همدان لم يتجاوزهما. وحيَّاهم برياحينها ونقلهم على خمرها وقد شربوا بفواكهها. ثم قال لهُ: هل رايتني استعنت على شيء مما رأيت واكلت وشربت وافترشت وشممت وسمعت بغير ما في الحيرة. قال: لا والله ولقد أحسنت صفة بلدك ونصرتهُ فأحسنتَ نصرتهُ والخروج مما تضمَّنتهُ. فبارك الله لكم في بلدكم

حُنَيْن وعُبيد الله بن سُرَيج

حدَّث ابو اسحق ابرهيم بن المهدي قال: كنت مع الرشيد في السنة التي نزل فيها على عون العباديّ. فأتاني عون بابن ابن ابن حنين بن بلوع وهو شيخ. فغنَّاني عدَّة اصوات لجدّهِ. فما استحسنتها لان الشيخ كان مشوَّه الخلق طنّ الغناء قليل الحلاوة الَّا انهُ كان لا يفارق عمود الصوت ابدًا حتى يفرغ منهُ. فغنَّاني صوت ابن سريج

فتركتهُ جزر السباع ينشنهُ   ما بين قلَّة رأسهِ والمعصمِ

فما أذكر اني سمعتهُ من أحدٍ قط أحسن مما سمعتهُ منهُ. فقلت لهُ: لقد أحسنت في هذا الصوت وما هو من أغاني جدّك ولا من اغاني بلدك واني لأعجب من ذلك. فقال لي الشيخ: والصليب والقربان ما صُنع هذا الصوت الَّا في منزلنا وفي سرداب لجدّي ولقد كاد أن يأتي على نفس عمي. فسألتهُ عن الخبر في ذلك فقال: حدَّثني أبي أنَّ عبيد الله بن سريج قدم الحيرة ومعهُ ثلثمائة دينار. فأتى بها منزلنا في ولاية بشر بن مروان الكوفة وقال: انا رجلٌ من أهل الحجاز من أهل مكة بلغني طيب الحيرة وجودة خمرها وحسن غنائك في هذا الشعر:

حنتني حانيات الدهر حتى   كأني خاتلٌ يدنو لصيدِ

قريب الخطو يحسب من رآني   ولستُ مقيَّدًا أني بقيدِ

فخرجت بهذه الدنانير لانفقها معك وعندك ونتعاشر حتى تنفد وأنصرف الى منزلي. فسأَلهُ جدّي عن اسمه ونسبهِ فغيَّرهما وانتمى الى بني مخزوم. فأخذ جدّي المال منهُ وقال: موفَّرٌ مالك عليك ولك عندنا كل ما يحتاج اليهِ مثالك ما

نشطتَ للمقام عندنا . فاذا دعتك نفسك الي بلدك جهّزناك اليهم ورددنا عليك
مالك واخلفنا ما انفقتهُ عليك أنْ جئتنا . وأسكنهُ دارًا كان ينفرد فيها . فمكث
عندنا شهرين لايعلم جدّي ولا أحد من أهلنا انهُ يغنّي حتى انصرف جدّي من
دار بشر بن مروان في يوم صائف مع قيام الظهيرة فصار الى باب الدار التي
كان أنْزل ابن سريج فيها فوجدهُ مغلقًا . فارتاب بذلك ودقّ الباب فلم يفتح
لهُ ولم يجبهُ أحدٌ . فصار الى منازل الحرم فلم يجد فيها ابنتهُ ولا جواريها ورأى ما
بين الدار التي فيها الحرم ودار ابن سريج . مفتوحًا فانتضى سيفهُ ودخل الدار
ليقتل ابنته . فلمّا دخلها رأى ابنتهُ وجواريها وقوفًا على باب السرداب وهنَّ
يُومينَ اليهِ بالسكوت وتخفيف الوطء . فلم يلتفت الى اشارتهنَّ لما تداخلهُ . الى أن
سمع ترنّم ابن سريج بهذا الصوت فألقى السيف من يدهِ وصاح بهِ وقد عرفهُ
من غير ان يكون رآهُ ولكن بالنعت والحذق : أبا يحيى جُعلت فداءك أتيتنا
بثلثمائة دينار لتنفقها عندنا في حيرتنا . فوحق المسيح لا خرجت منها الّا ومعك
ثلثمائة دينار وثلثمائة دينار وثلثمائة دينار سوى ما جئت بهِ معك . ثم دخل
اليهِ فعانقهُ ورحّب بهِ ولقيهُ بخلاف ما كان يلقاهُ بهِ . وسألهُ عن هذا الصوت .
فأخبرهُ انهُ صاغهُ في ذلك الوقت . فصار معهُ الى بشر بن مروان فوصله بعشرة
آلاف درهم أوّل مرة . ثم وصلهُ بعد ذلك بمثلها . فلمّا أراد الخروج ردّ عليهِ
جدّي مالهُ وجهزهُ ووصلهُ بمقدار نفقته التي انفقها من مكة الى الحيرة . ورجع
ابن سريج الى اهلهِ وقد أخذ جميع من كان في دارنا منهُ هذا الصوت

عبد الملك بن مروان وعاتكة وعمر بن بِلال

كان عبد الملك بن مروان من اشدّ الناس حبًا لعاتكة امرأته وهي
ابنة يزيد بن معاوية وامّها ام كلثوم بنت عبد الله بن عامر بن كريز وهي امُّ
يزيد بن عبد الملك . فغضبت مرّةً على عبد الملك وكان بينهما بابٌ فحجبتهُ
وأغلقت ذلك الباب . فشقّ غضبها على عبد الملك وشكا الى رجلٍ من خاصتهِ
يقال لهُ عمر بن بلال الاسديّ . فقال لهُ : ما لي عندك ان رضيَت . قال : حكمك .
فأتى عمر بابها وجعل يتباكى وأرسل اليها بالسلام . فخرجت اليهِ حاضنتها ومواليها
وجواريها فقلنَ : ما لك . قال : فزعت الى عاتكة ورجوتها فقد علمتْ مكاني
من امير المؤمنين معاوية ومن ابيها بعده . قلنَ : وما لك . قال : ابناي لم يكن لي
غيرهما فقتَل احدهما صاحبه فقال أمير المؤمنين : أنا قاتل الآخر بهِ فقلت : انا
الوليُّ وقد عفوتُ . قال : لا اعوّد الناس هذه العادة . فرجوتُ أن ينجي الله ابني
هذا على يدها . فدخلنَ عليها فذكرنَ ذلك لها . فقالت : وكيف اصنع من غضبي
عليهِ وما أظهرتُ لهُ . قلنَ : اذًا والله يُقتل . فلم يزلنَ حتى دعت بثيابها فأجمرتها
ثم خرجت نحو الباب . فأقبل حُديج الخصيّ قال : يا أمير المؤمنين هذه عاتكة
قد أقبلت . قال : ويلك ما تقول قال: قد والله طلعت . فأقبلتْ وسلّمت . فلم
يردّ . فقالت : أما والله لولا عمر ما جئتُ . انّ أحد ابنيهِ تعدّى على الآخر فقتلهُ
فأردتّ قتل الآخر . وهو الوليّ وقد عفا . قال : اني أكره ان اعوّد الناس هذه
العادة . قالت : أنْشدك الله يا أمير المؤمنين فقد عرفت مكانه من امير
المؤمنين معاوية ومن أمير المؤمنين يزيد وهو ببابي . فلم تزل بهِ حتى أخذت
برجلهِ فقبّلتها . فقال : هو لكِ . ولم يبرحا حتى اصطلحا . ثم راح عمر بن بلال الى

عبد الملك فقال: يا أمير المؤمنين كيف رأيت. قال: رأينا أثرك. فهات حاجتك. قال: مزرعةٌ بعدّتها وما فيها وألف دينار وفرائضُ لولدي وأهل بيتي وعيالي. قال: ذلك لك. ثم اندفع عبد الملك يتمثّل بشعرِ كثيّر

واني لأرعى قومَها من جلالها وان اظهروا غشًّا نصحتُ لهم جهدي
ولو حاربوا قومي لكنت لقومها صديقًا ولم أحمل على قومها حقدي

مصارعة هلال لعبدٍ جبّار

حدّث مَن سمع هلالًا يقول: قدمت المدينة وعليها رجل من آل مروان. فلم أزل اضع عن ابلي وعليها احمال للتجار حتى أُخذ بيدي وقيل: أجب الأمير. (قال) قلت لهم: ويلكم ابلي واحمالي. فقيل: لا بأس على ابلك واحمالك. (قال) فانطلق بي حتى أُدخلت على الامير. فسلّمت عليهِ ثم قلتُ: جُعِلتُ فداك ابلي وأماناتي. (قال) فقال: نحن ضامنون لابلك وأمانتك حتى نؤدّيها اليك. (قال) فقلتُ عند ذلك: فما حاجة الامير اليَّ. جعلني الله فداه. فقال لي (والى جنبه رجل اصفر لا والله ما رأيت رجلًا قط اشدّ خلقًا منهُ ولا أغلظ عنقًا ما أدري أطولهُ أكثر أم عرضهُ): ان هذا العبد الذي ترى لا والله ما ترك بالمدينة عبدًا يصارع الّا صرعهُ. وبلغني عنك قوّة فأردتُ ان يجري الله صرع هذا العبد على يديك فتدرك ما عنده من أوتار العرب. (قال) فقلتُ: جعلني الله فداء الامير اني لَغِبٌ نصِب جائع. فان رأى الامير ان يدَعني اليوم حتى أضع عن ابلي وأُؤدّي أمانتي وأُريح يومي هذا وأجيئهُ غدًا فليفعل. (قال) فقال لاعوانه: انطلقوا معهُ فأعينوهُ على الوضع عن ابلهِ وأداء أمانته وانطلقوا بهِ الى

المطبخ فاشبعوهُ. ففعلوا جميع ما أمرهم بهِ. (قال) فظللتُ بقيّة يومي ذلك وبتُّ ليلتي تلك باحسن حال شبعًا وراحةً وصلاح أمرٍ. فلمّا كان من الغد غدوت عليهِ وعليَّ جبّةٌ لي صوف وبتٌّ وليس عليَّ ازارٌ الّا اني قد شددتُ بعمامتي وسطي. فسلّمتُ عليهِ فردَّ عليَّ السلام وقال للاصفر: قم اليهِ فقد أرى الله اتاك بما يخزيك. فقال العبد: اتّزر يا اعرابي. فأخذتُ بتّي فاتزرت بهِ على جبّتي. فقال: هيهات هذا لا يثبت. اذا قبضتُ عليهِ جاء في يدي. (قال) فقلتُ: والله ما لي من ازار. (قال) فدعا الامير بملحفةٍ ما رأيتُ قبلها ولا على جلدي مثلها. فشددت بها على حقوي وخلعتُ الجبّة. (قال) وجعل العبد يدور حولي ويريد ختلي وأنا منهُ وَجِل ولا أدري كيف أصنع بهِ. ثم دنا مني دنوة فنفذ جبهتي بظفرهِ نفذةً ظننتُ انهُ قد شجّني وأوجعني. فغاظني ذلك فجعلتُ أنظر في خلقهِ بمَ أقبض منهُ. فما وجدتُ في خلقهِ شيئًا أصغر من رأسهِ. فوضعتُ ابهامي في صدغهِ واصابعي الأُخَر في أصل اذنهِ الاخرى. ثم غمزتهُ غمزة صاح منها: قتلتني قتلتني. فقال الامير: اغمس رأس العبد في التراب. (قال) فقلتُ لهُ: ذلك لك عليَّ. (قال) فغمست والله رأسه في التراب ووقع شبيهًا بالمَغشيّ عليه. فضحك الامير حتى استلقى وأمر لي بجائزة وصلة وكسوة وانصرفتُ

الواثق وفريدة وابن بشخير

حدّث ابن بشخير قال: كانت لي نوبة في خدمة الواثق في كل جمعة اذا حضرتُ ركبتُ الى الدار. فان نشط أقمت عنده. وان لم ينشط انصرفت. وكان رسمنا ان لا يحضر أحد منّا الّا في يوم نوبتهِ. فاني لَفي منزلي في غير يوم نوبتي اذا

رُسُل الخليفة قد هجموا عليّ وقالوا لي : احضر . فقلتُ : أَلخير . قالوا : خير . فقلت : انّ هذا يوم لم يُحضرني فيهِ أمير المؤمنين قط ولعلكم غلطتم . فقالوا : الله المستعان لاتطوّل وبادر فقد أمرنا ان لا ندعك تستقرّ على الارض . فداخلني فزعٌ شديد وخفتُ ان يكون ساعٍ قد سعى بي أو بليّة قد حدثت في رأي الخليفة عليّ . فتقدمتُ بما أردتُ وركبت حتى وافيت الدار فذهبت لأدخل على رسمي من حيث كنت أدخل فمُنعت وأخذ بيدي الخدم فأدخلوني وعدلوا بي الى ممرّاتٍ لا أعرفها . فزاد ذلك في جزعي وغمّي . ثم لم يزل الخدم يسلمونني من خدم الى خدم حتى افضيت الى دار مفروشة الصحن ملبسة الحيطان بالوشي المنسوج بالذهب . ثم افضيت الى رواقٍ أرضهُ وحيطانهُ ملبسة بمثل ذلك . واذا الواثق في صدرهِ على سريرٍ مرصّع بالجوهر وعليهِ ثيابٌ منسوجة بالذهب والى جانبهِ فريدة جاريته عليها مثل ثيابه وفي حجرها عودٌ . فلمّا رآني قال : جوّدت والله يا محمد . الينا الينا . فقبّلت الارض ثم قلتُ : يا امير المؤمنين خيرًا . قال : خيرًا ما ترى . أنا طلبت والله ثالثًا يؤنسنا فلم أرَ أحقّ بذلك منك . فبحياتي بادر فكلْ شيئًا وبادر الينا . فقلت : قد والله يا سيدي أكلت وشربت ايضًا . قال : فاجلس . فجلست . وقال : هاتوا لمحمد رطلًا في قدح . فأُحضرت ذلك . واندفعتْ فريدة تغنّي :

أَهابك اجلالاً وما بك قدرةٌ   عليّ ولكن ملء عين حبيبها

فجاءت والله بالسحر . وجعلت تغني الصوت بعد الصوت واغنّي أنا في خلال غنائها . فمرّ لنا أحسن ما مرّ لاحد . فأنا كذلك اذ رفع رجله فضرب بها صدر فريدة ضربة تدحرجتْ منها من أعلى السرير الى الارض وتفتّت عودُها ومرّت تعدو وتصيح وبقيتُ أنا كالمنزوع الروح . فأطرق ساعةً الى الارض متحيرًا

وأطرقتُ اتوقّع ضرب العنق . فاني لكذلك اذ قال لي : يا محمد . فوثبتُ . فقال : ويحك أرأيت اغرب مما تهيأ علينا . فقلتُ : يا سيدي الساعة والله تخرج روحي . فعلى مَن اصابنا بالعين لعنة الله . فما كان السبب . أَلذنبٌ . قال : لا والله ولكن فكرتُ ان جعفرًا يقعد هذا المقعد ويقعد معها كما هي قاعدة معي فلم أطق الصبر وخامرني ما أخرجني الى ما رأيت . فسُرّي عني وقلتُ : بل يقتل الله جعفرًا ويحيا أمير المؤمنين أبدًا . وقبلتُ الارض وقلتُ : يا سيدي الله الله ارحمها ومرْ بردّها . فقال لبعض الخدم الوقوف : مَن يجيء بها . فلم يكن باسرع من ان خرجتْ وفي يدها عودها وعليها غير الثياب التي كانت عليها . فلما رآها لاطفها . فبكت وجعل هو يبكي واندفعتُ أنا في البكاء . فقالت : ما ذنبي يا مولاي ويا سيدي : وبايّ شيء استوجبت هذا . فاعاد عليها ما قالهُ وهو يبكي وهي تبكي . فقالت : سألتك بالله يا أمير المؤمنين إلّا ضربتَ عنقي الساعة وأرحتني من الفكر في هذا وأرحت قلبك من الهمّ بي . وجعلت تبكي ويبكي . ثم مسحا اعينهما ورجعتْ الى مكانها . وأومأ الى خدمٍ وقوف بشيءٍ لا أعرفهُ . فمضوا وأحضروا اكياسًا فيها عين وورق ورزمًا فيها ثياب كثيرة . وجاء خادمٌ بدرجٍ ففتحهُ وأخرج منهُ عقدًا ما رأيتُ قط مثل جوهرٍ كان فيهِ . فألبسها ايّاه وأحضرت بدرة فيها عشرة آلاف درهم فجعلت بين يديّ وخمسة تخوت فيها ثياب . وعدنا الى أمرنا والى أحسن ممّا كنا . فلم نزل كذلك الى الليل . ثم تفرّقنا وضرب الدهر ضربهُ

عربدة فُلَيح

اخبر زياد بن ابي الخطاب كاتب مسرور خادم الرشيد قال: سمعتُ محبوب بن الهفتيّ يحدّث ابي قال: دعاني محمد بن سليمان بن عليّ فقال لي : قد قدم فليح من الحجاز ونزل عند مسجد ابن عتّاب فصر اليهِ فاعلمهُ انهُ ان جاءَني قبل أن يدخل الى الرشيد خلعت عليهِ خلعة سريّة من ثيابي ووهبتُ لهُ خمسة آلاف درهم . فمضيتُ اليهِ فخبرتهُ بذلك . فأجابني اليهِ اجابة مسرور بهِ نشيط لهُ وخرج معي فعدل الى حمّامٍ كان بقربهِ فدعا القيم فأعطاهُ درهمين وسألهُ ان يجيئهُ بشيءٍ يأكلهُ ونبيذٍ يشربهُ . فجاءهُ برأس كأنهُ رأس عجلٍ ونبيذ دوشاني غليظ مسحوري رديءٍ . فقلتُ لهُ : لا تفعل وجهدتُ بهِ أن لا يأكل ولا يشرب الّا عند محمد بن سليمان . فلم يلتفت اليَّ . فأكل ذلك الرأس وشرب من ذلك النبيذ الغليظ حتى طابت نفسه وغنّى وغنّى القيم معهُ مليًّا . ثم خاطب القيم بما أغضبهُ وتلاحيا وتواثبا . فأخذ القيم شيئًا فضربهُ بهِ على رأسهِ فشجّهُ حتى جرى دمه . فلمّا رأى الدم على وجههِ اضطرب وجزع وقام يغسل جرحه ودعا بصوفةٍ محرقة وزيتٍ وعصبه . وتعمم وقام معي . فلمّا دخلنا دار محمد بن سليمان ورأى الفرش والآلة وحضر الطعام فرأى سروره بهِ وطيبهُ وحضر النبيذ وآلته ومُدّت الستائر وغنّى الجواري أقبل عليَّ وقال : يا مجنون سألتك بالله أيّما أحقّ بالعربدة وأولى مجلس القيم أم مجلس الامير . فقلتُ : وكأنهُ لا بدّ من عربدة . قال : لا والله ما لي منها بدّ . فأخرجتها من رأسي هناك . فقلتُ : امّا على هذا الشرط فالذي فعلتَ أجود . فسألني محمد عمّا كنا فيهِ . فأخبرتهُ . فضحك ضحكًا كثيرًا وقال : هذا الحديث والله أظرف وأطيب من كل غناء . وخلع عليهِ وأعطاهُ خمسة آلاف درهم

ابن جامع وأبو يوسف القاضي

قدم ابن جامع قدمة لهُ من مكة على الرشيد وكان ابن جامع حسن السمت كثير الصلاة قد أخذ السجودُ جبهته وكان يعتمّ بعمامةٍ سوداء على قلنسوة طويلة ويلبس لباس الفقهاء ويركب حمارًا مريسيًّا في زيّ أهل الحجاز . فبينا هو واقفٌ على باب يحيى بن خالد يلتمس الاذن عليهِ فوقف على ما كان يقف الناس عليهِ في القديم حتى يأذن لهم او يصرفهم . فأقبل أبو يوسف القاضي باصحابهِ أهل القلانس . فلمّا هجم على الباب نظر الى رجلٍ يقف الى جانبهِ ويحادثهُ . فوقعت عينهُ على ابن جامع فرأى سمتهُ وحلاوة هيئتهِ فجاءَ فوقف الى جانبهِ . ثم قال لهُ : امتعَ الله بك . توسمتُ فيك الحجازية والقرشية . قال : اصبت . قال : فمن ايّ قريشٍ أنت . قال : من بني سهم . قال : فايّ الحرمين منزلك . قال : مكة . قال : ومَن لقيت من فقهائهم . قال : سَل عمن شئتَ . ففاتحهُ الفقه والحديث فوجد عنده ما أحبَّ فأُعجب بهِ . ونظر الناس اليهما فقالوا : هذا القاضي قد أقبل على المغنّي . وأبو يوسف لا يعلم انهُ ابن جامع . فقال أصحابه : لو أخبرناه عنه . ثم قالوا : لا لعله لا يعود الى مرافقتهِ بعد اليوم فلا نغمّهُ . فلمّا كان الاذن الثاني ليحيى غدا عليهِ الناس وغدا عليهِ أبو يوسف . فنظر يطلب ابن جامع فرآهُ فذهب فوقف الى جانبهِ فحادثهُ طويلًا كما فعل في المرّة الاولى . فلمّا انصرف قال لهُ بعض اصحابهِ : ايها القاضي أتعرف هذا الذي تواقف وتحادث . قال : نعم رجلٌ من قريش من أهل مكة من الفقهاء . قالوا : هذا ابنُ جامع المغنّي . قال : انّا لله . قالوا : ان الناس قد شهروك بمواقفتهِ وأنكروا ذلك من فعلك . فلما كان الاذن الثالث جاءَ ابو يوسف ونظر اليهِ فتنكّبهُ . وعرف ابن جامع انهُ

قد أُنذر بهِ فجاء فوقف فسلَّم عليهِ. فردَّ السلام عليهِ أبو يوسف بغير ذلك الوجه الذي كان يلقاهُ بهِ ثم انحرف عنهُ. فدنا منهُ ابن جامع وعرف الناس القصَّة. وكان ابن جامع جهيرًا فرفع صوته ثم قال: يا أبا يوسف ما لك تنحرف عني. أيّ شيءٍ أنكرتَ. قالوا لك اني ابنُ جامع المغني فكرهتَ مواقفتي لك. أسألك عن مسئلة ثم اصنعْ ما شئت. ومال الناس فاقبلوا نحوهما يستمعون. فقال: يا أبا يوسف لو ان اعرابيًا جلفًا وقف بين يديك فأنشدك بجفاء وغلظة من لسانهِ وقال:

يا دار ميَّة بالعلياء فالسندِ ... أقوت وطال عليها سالف الأمدِ

أكنتَ ترى بذلك بأسًا. قال: لا قد رُوي عن النبيّ (صلعم) في الشعر قول ورُوي في الحديث. قال ابن جامع: فان قلتُ أنا هكذا. ثم اندفع يتغنى فيهِ حتى أتى عليهِ. ثم قال: يا أبا يوسف رأيتني زدتُ فيهِ او نقصتُ منهُ. قال: عافاك الله أعفِنا من ذلك. قال: يا أبا يوسف أنتَ صاحب فُتيا ما زدتهُ على ان حسَّنتهُ بالفاظي فحسن في السماع ووصل الى القلب. ثم تنحَّى عنهُ ابن جامع

سوء حفظ رجل وجهلهُ بالقراءة

حدَّث محمد بن اسحاق قال: قيل لعمر بن عبد العزيز انَّ بالمدينة مخنثًا قد افسدها. فكتب الى عاملهِ بالمدينة أن يحملهُ. فادخل عليهِ فاذا شيخٌ خضيب اللحية والاطراف معتجر بسبنيَّةٍ قد حمل دفًا في خريطتهِ. فلمَّا وقف بين يدي عمر صعد بصرهُ فيهِ وصوَّبهُ وقال: سوأةً لهذه الشيبة وهذه القامة. أتحفظ القرآن. قال: لا والله يا أبانا. قال قبَّحك الله. وأشار اليهِ من حضرهُ فقالوا: اسكت. فسكت.

فقال لهُ عمر: أتقرأُ من المُفَصَّل شيئًا. قال: وما المفصل. قال: ويلك أتقرأُ من القرآن شيئًا: قال: نعم اقرأُ الحمد لله وأُخطئ فيها في موضعين أو ثلاثة وأقرأُ قُل أعوذُ بربِ الناس وأُخطئ فيها. وأقرأُ قُل هو الله أحدٌ مثل الماء الجاري. قال ضعوهُ في الحبس ووكلوا بهِ معلمًا يعلمهُ القرآن وما يجب عليهِ من حدود الطهارة والصلاة وأجروا عليهِ في كل يوم ثلاثة دراهم وعلى معلمهِ ثلاثة دراهم أُخر ولا يخرج من الحبس حتى يحفظ القرآن اجمع. فكان كلما علم سورة نسي التي قبلها. فبعث رسولاً الى عمر: يا أمير المؤمنين وجه اليَّ من يحمل اليك ما أتعلمهُ أولاً فأولاً فاني لا أقدر على حملهِ جملةً واحدة. فيئس عمر من فلاحهِ وقال: ما أرى هذه الدراهم الّا ضائعة ولو أطعمناها جائعًا وأعطيناها محتاجًا وكسوناها عريانًا لكان أصلح. ثم دعا بهِ. فلمَّا وقف بين يديهِ قال لهُ: اقرأ قُل يا أيها الكافرون. قال: أسأل الله العافية. أدخلت يدك في الجراب فأخرجت شدَّ ما فيهِ واصعبهِ. فأمر بهِ فوجئت عنقه ونفاه. فاندفع يغني وقد توجهوا بهِ. فلمَّا سمع الموكلون بهِ حسن ترنمهِ خلوهُ وقالوا لهُ: اذهب حيث شئت مصاحبًا بعد استماعهم منهُ ظرائف غنائهِ سائر يومهم وليلتهم

عبد الملك بن مروان ورجل من جديلة

اخبر محمد بن عبد العزيز الجوهري قال: حدثني عمر بن شبة ولم يسندهُ الى احد انَّ عبد الملك بن مروان لمَّا قدم الكوفة بعد قتلهِ مصعب بن الزبير جلس لعرض احياء العرب. فقام اليهِ معبد بن خالد الجدليّ وكان قصيرًا ذميمًا. فتقدَّمهُ اليهِ رجل منَّا حسن الهيئة. (قال معبد) فنظر عبد الملك الى

الرجل وقال: مِمَّن أنت. فسكت ولم يقل شيئًا. وكان منَّا. فقلتُ من خلفهِ: نحن يا أَمير المؤمنين من جديلة. فأَقبل على الرجل وتركني فقال: من ايكم ذو الاصبع. قال الرجل: لا أدري. قلتُ كان عدوانيًّا. فأَقبل على الرجل وتركني وقال: لِمَ سُمّي ذا الاصبع. قال الرجل: لا أدري. فقلتُ نهشتهُ حيَّة في اصبعهِ فيبست. فأقبل على الرجل وتركني فقال: وبِمَ كان يسمَّى قبل ذلك. قال الرجل: لا أدري. قلتُ كان يُسمَّى حرثان. فأَقبل على الرجل وتركني فقال: من أَيّ عدوان كان. فقلتُ من خلفهِ: من بني ناجٍ الذين يقول فيهم الشاعر:

وأمَّا بنو ناجٍ فلا تذكرنَّهم ... ولا تتبعنْ عينيك ما كان هالكا
إذا قلتُ معروفًا لاصلحَ بينهم ... يقول وهيبٌ لا أُسالم (١) ذلكا
فأضحى كظهر الفحل جبَّ سنامه ... يدبُّ الى الاعداء احدب باركا

فأَقبل على الرجل وتركني وقال: أَنشدني قوله: «عذيرَ الحيِّ من عدوان». قال الرجل: لست أرويها. قلتُ: يا أَمير المؤمنين ان شئتَ أنشدتك. قال: ادنُ مني فاني أَراك بقومك عالمًا. فأَنشدتهُ:

وليس المرءُ في شيءٍ ... من الابرام والنقضِ
إذا أبرمَ أمرًا خا ... لهُ يُقضى وما يقضي
يقول اليوم أُمضيه ... ولا يملك ما يمضي
عذيرَ الحيِّ من عدوا ... ن كانوا حيَّة الارضِ
بغى بعضهمُ بعضًا ... فلم يُبقوا على بعضِ

(١) ويروى: لا أسلم

فقد صاروا أَحاديث ... برفع القول والخفضِ
ومنهم كانت السادا ... ت والموفون بالقرضِ
ومنهم حَكَمٌ يقضي ... فلا يُنقض ما يقضي
ومنهم مَن يُجيز النا ... س (١) بالسنَّةِ والفرضِ
وهم مَن ولدوا شبُّوا ... بسرّ الحسَب المحضِ
ومِمَّن ولدوا عامر ... م ذو الطول وذو العرضِ
وهم بوّوا ثقيفًا دا ... ر لا ذلٍ ولا خفضِ

فأَقبلَ على الرجل وتركني وقال: كم عطاؤك. فقال: أَلفان. فأَقبل عليَّ فقال: كم عطاؤك. فقلتُ: خمسمائة. فأَقبل على كاتبهِ وقال: اجعل الالفين لهذا والخمسمائة لهذا. فانصرفتُ بها

بشَّار بن بُردْ

حدَّث أَبو عبيدة قال: كان برد أَبو بشار طيَّانًا حاذقًا بالتطيين. وولد لهُ

(١) قولهُ: (ومنهم من يجيز الناس) فان اجازة الحاج كانت لخزاعة. فأخذتها منهم عدوان فصارت الى رجل منهم يقال لهُ آبو سيارة احد بني قايش بن يزيد بن عدوان. ولهُ يقول الراجز:

خلوا السبيل عن آبي سياره ... وعن مواليهِ بني فزاره
حتَّى يجيز سالمًا حماره ... مستقبل الكعبة يدعو جاره

(قال) وكان آبو سيارة يجيز الناس في الحج بان يتقدمهم على حمار ثم يخطبهم فيقول اللهمَّ اصلح بين نسائنا. وعادِ بين رعائنا. واجعل المال في سمحائنا. أوفوا بعهدكم. واكرموا جاركم. واقروا ضيفكم. ثم يقول: آشرف ثبير كيما نغير. وكانت هذه اجازتهُ. ثم ينفر ويتبعهُ الناس

بشَّار وهو أعمى . فكان يقول: ما رأيت مولودًا أعظم بركةً منهُ ولقد وُلد لي وما عندي درهم فما حال الحول حتى جمعت مائتي درهم . ولم يمت برد حتى قال بشار الشعر . وكان لبشار أخوان يقالُ لاحدهما بشر وللآخر بشير وكانا قصَّابين . وكان بشار بارًّا بهما على انهُ كان ضيِّق الصدر متبرمًا بالناس . فكان يقول: اللهمَّ اني كنت قد تبرمتُ بنفسي وبالناس جميعًا . اللهمَّ فارحمني منهم . وكان اخوته يستعيرون ثيابه فيوسخونها وينتنون ريحها . فاتخذ قميصًا لهُ جيبان وحلف أن لا يعيرهم ثوبًا من ثيابهِ . فكانوا يأخذونهـا بغير اذنهِ . فاذا دعا بثوبهِ فلبسهُ فأنكر رائحته فيقول اذا وجد رائحةً كريهـة من ثوبهِ: أينما أتوجه ألقَ سعدًا . فاذا أعياهُ الامر خرج الى الناس في تلك الثياب على نتنها ووسخهـا فيقال لهُ: ما هذا يا أبا معاذ فيقول هذه ثمرة صلة الرحم . (قال) وكان يقول الشعر وهو صغير . فاذا هجا قومًا جاءوا الى أبيهِ فشكوهُ فيضربهُ ضربًا شديدًا . فكانت امه تقول : كم تضرب هذا الصبي الضرير أما ترحمه . فيقول : بلى والله اني لارحمه . ولكنهُ يتعرَّض للناس فيشكونهُ اليَّ . فسمعهُ بشار فطمع فيهِ فقال لهُ: يا أبتِ ان هذا الذي يشكونهُ مني اليك هو قول الشعر واني ان ألممتُ عليهِ أغنيتك وسائر أهلي . فان شكوني اليك فقل لهم : أليس الله يقول ليس على الأعمى حرج . فلمَّا عاودوه شكواه قال لهم برد ما قالهُ بشار . فانصرفوا وهم يقولون فقه بردٍ أغيظ لنا من شعر بشار

وحدَّث محمد بن الحجاج قال: كنا مع بشار فأتاه رجل فسألهُ عن منزل رجل ذكرهُ لهُ . فجعل يفهّمهُ ولا يفهم . فاخذ بيده وقام يقوّمهُ الى منزل الرجل وهو يقول :

أعمى يقودُ بصيرًا لا ابا لكمُ   قد ضلَّ من كانت العميان تهديهِ

حتى صار بهِ الى منزل الرجل . ثم قال لهُ: هذا هو منزله يا أعمى

بشار وروح بن حاتم

حدَّث نصر بن عبد الرحمن العجليّ قال: هجا بشار روحَ بن حاتم . فبلغهُ ذلك فقذفهُ وتهدَّدهُ . فلمَّا بلغ ذلك بشارًا قال فيهِ :

تهدَّدني أبو خلفٍ   وعن أوتارهِ ناما
بسيفٍ لابي صفرة م   لا يقطع ابهاما
كأنَّ الورس يعلوهُ   اذا ما صدرهُ قاما

(قال) فبلغ ذلك روحًا فقـال : كل مالي صدقة ان وقعت عيني عليهِ لأضربنَّهُ ضربةً بالسيف ولو أنهُ بين يدي الخليفة . فبلغ ذلك بشارًا فقام من فورهِ حتى دخل على المهدي . فقال لهُ: ما جاء بك في هذا الوقت . فأخبرهُ بقصة روح وعاذ بهِ منهُ . فقال: يا نصير وجِّه الى روح مَن يحضرهُ الساعة . فأرسل اليهِ في الهاجرة . وكان ينزل المخرِّم . فظنَّ هو وأهله انهُ دُعي لولاية . قـال : يا روح اني بعثت اليك في حاجةٍ . فقال لهُ : أنا عبدك يا أمير المؤمنين فقل ما شئت سوى بشار فاني حلفت في أمرهِ يمين غَموس . قال : قد علمتُ وإيَّاهُ اردت . قال لهُ : فاحتل ليميني يا أمير المؤمنين . فاحضر القضاة والفقهاء فاتفقوا على أن يضربهُ ضربةً على جسمهِ بعرض السيف . وكان بشار وراء الخيش فأُخرج وأُقعد . واستلَّ روح سيفهُ فضربهُ ضربةً بعرضهِ . فقال : أوه . بسم الله . فضحك المهدي وقال لهُ : ويلك هذا وانما ضربك بعرضهِ وكيف لو ضربك بحدهِ

هجو بشار لرجلٍ من بني زيد

حدَّث عيسى بن اسمعيل عن محمد بن سلام قال : وقف رجل من بني زيد شريف لا أُحبُّ أن اسميه على بشار فقال لهُ : يا بشار قد أفسدت علينا موالينا تدعوهم الى الانتفاء منّا وترغبهم في الرجوع الى اصولهم وترك الولاء وأنت غير زاكي الفرع ولا معروف الاصل . فقال لهُ بشار : والله لأصلي اكرم من الذهب ولفرعي أزكى من عمل الابرار . وما في الارض كلب يودّ ان نسبك لهُ بنسبهِ . ولو شئت ان أجعل جواب كلامك كلاماً لفعلت . ولكن موعدك غداً بالمربد . فرجع الرجل الى منزلهِ وهو يتوهم انّ بشاراً يحضر معهُ المربد ليفاخره . فخرج من الغد يريد المربد فاذا رجل ينشد «شهدت على الزيديّ انّ . . .»

فسأل عمّن قال هذا البيت . فقيل لهُ : هذا لبشار فيك . فرجع الى منزلهِ من فوره ولم يدخل المربد حتى مات . قال ابن سلام : وأنشد رجل يوماً يونس في هذه القصيدة وهي:

بلوت بني زيد فما في كبارهم ... حلوم ولا في الاصغرين مطهَّرُ
فأبلغ بني زيد وقل لسراتهم ... وان لم يكن فيهم سراة توقَّرُ
لِأمكم الويلاتُ ان قصائدي ... صواعق منها منجد ومغوّرُ
أجدهمُ لا يتَّقون دنيـة ... ولا يؤثرون الخير والخير يؤثرُ
يريدون مسعاتي ودون لقائها ... قناديل ابواب السموات تزهرُ
فقل في بني زيد كما قال معرب ... قوارير حجام غداً تتكسرُ

فقال يونس للذي أنشده : حسبك حسبك . مَن هيّج هذا الشيطان عليهم . قيل : فلان . فقال : رُبَّ سفيهِ قوم قد كسب لقومه شرّاً عظيماً

موت بشّار

حدث عليُّ بن حمّاد النوفليّ عن ابيه قال : خرج بشار الى المهدي ويعقوب بن داود وزيره فمدحه ومدح يعقوب . فلم يحفل بهِ يعقوب ولم يعطهِ شيئاً . ومرّ يعقوب ببشّار يُريد منزله . فصاح بهِ بشار : «طال الثواء على رسوم المنزلِ» . فقال يعقوب : «فاذا تشاء أبا معاذ فارحلِ» . فغضب بشار وقال يهجوه :

بني أُميـة هبُّوا طـال نومكمُ ... ان الخليفـة يعقوب بن داودِ
ضاعت خلافتكم يا قوم فالتمسوا ... خليفـة الله بين الزقّ والعودِ

(قال النوفلي) فلما طالت أيام بشار على باب يعقوب دخل عليـهِ وكان من عادة بشار اذا أراد ان ينشد أو يتكلم أن يتفل عن يمينه وشماله ويصفق باحدى يديه على الاخرى . ففعل ذلك وأنشد :

يعقوب قد ورد العفـاة عشية ... متعرّضين لسَيبـك المنتابِ
فسقيتهم وحسبتني كمُّونةً ... نبتت لزارعها بغير شرابِ
مهـلًا لديك فانني ريحـانة ... فاشمم بانفـك واسقها بذنابِ
طال الثواء عليَّ تنظر حاجةً ... شمطت لديك فمن لها بخضابِ
تعطي الغزيرة درّها فاذا أبت ... كانت ملامتها على الحلّابِ (١)

(قال) فلم يعطف ذلك يعقوب عليـهِ وحرمه . فانصرف الى البصرة

---

(١) يقول ليعقوب : انت من المهدي بمنزلة الحالب من الناقة الغزيرة التي اذا لم يوصل الى درّها فليس ذلك من قبلها انما هو من منع الحالب منها . وكذلك الخليفة ليس من قبله لسعة معروفه انما هو من قبل السبب اليه

مغضبًا فلما قدم المهدي البصرة أعطى عطايا كثيرة ووصل الشعراء . وذلك كله على يدي يعقوب . فلم يعطِ بشارًا شيئًا من ذلك . فجاء بشّار الى حلقة يونس النحوي فقال : هل ههنا أحد يحتشم . قالوا لهُ : لا . فأنشأ بيتًا يهجو فيهِ المهدي . فسعى بهِ أهل الحلقة الى يعقوب

فدخل يعقوب على المهدي فقال لهُ : يا أمير المؤمنين انّ هذا الاعمى الملحد الزنديق قد هجاك . فقال : بايّ شيء . فقال : بما لا ينطق بهِ لساني ولا يتوهمهُ فكري . قال لهُ : بحياتي الّا انشدتني . فقال : والله لو خيرتني بين انشادي اياه وبين ضرب عنقي لأخترت ضرب عنقي . فحلف عليه المهدي بالايمان التي لا فسحة فيها أن يخبره . فقال : أمّا لفظًا فلا ولكني اكتب ذلك . فكتبهُ ودفعه اليه . فكاد ينشقّ غيظًا . وعمد على الانحدار الى البصرة للنظر في امرها وما وكده غير بشار . فانحدر فلما بلغ الى البطيحة سمع أذانًا في وقت ضحى النهار فقال : انظروا ما هذا الاذان . فاذا بشار يؤذّن سكران . فقال لهُ : يا زنديق عجبت أن يكون هذا غيرك أتلهو بالاذان في غير وقت صلاة وأنت سكران . ثم دعا بابن نهيك فأمر بضربه بالسوط . فضربه بين يديه على صدر الحراقة سبعين سوطًا أتلفه فيها . فكان اذا أوجعهُ السوط يقول حسّ (١) . فقال لهُ بعضهم انظر الى زندقته يا أمير المؤمنين يقول حسّ ولا يقول بسم الله . فقال : ويلك أطعام هو فاسمّي الله عليه . فقال لهُ الآخر : أفلا قلتَ الحمد لله . قال : أو نعمة هي حتى احمد الله عليها . فلما ضربه سبعين سوطًا بانَ الموت فيه . فأُلقي في سفينة حتى مات . ثم رمي به في البطيحة . فجاء بعض اهله فحملوه الى البصرة فدُفن بها

---

(١) وهي كلمة تقولها العرب للشيء اذا اوجع

عمرو بن معاوية والامير سليمان وطارق بن المبارك

اخبر طارق بن المبارك عن أبيه قال : جاءني رسول عمرو بن معاوية بن عمرو بن عتبة فقال لي : يقول لك عمرو قد جاءت هذه الدولة وأنا حديث السنّ كثير العيال منتشر المال فما أكون في قبيلة الّا شُهر أمري وعُرفتُ . وقد اعتزمتُ على ان أفدي حرمي بنفسي . وأنا صائر الى باب الامير سليمان بن عليّ . فصر اليّ . فوافيتهُ فاذا عليهِ طيلسان مطبق ابيض وسراويل وشي مسدول . فقلت : يا سبحان الله ما تصنع الحداثة بأهلها . أبهذا اللباس تلقى هؤلاء القوم لما تُريد لقاءهم فيهِ . فقال : لا والله ولكنه ليس عندي ثوب الّا أشهر من هذه . فأعطيته طيلساني وأخذت طيلسانهُ ولويت سراويله الى ركبتيه . فدخل ثم خرج مسرورًا . فقلت لهُ : حدّثني ما جرى بينك وبين الامير . قال : دخلت اليهِ ولم نتراءَ قط فقلت : أصلح الله الامير لفظتني البلاد اليك ودلّني فضلك عليك . فإما قتلتني غانمًا وامّا رددتني سالمًا . فقال : ومَن أنت فأعرفك . فانتسبت لهُ . فقال : مرحبًا بك اقعد فتكلم آمنًا غانمًا . ثم أقبل عليّ فقال : ما حاجتك يا ابن اخي . فقلت : انّ الحرم اللواتي أنت أقرب الناس اليهنّ معنا وأولى الناس بهنّ بعدنا قد خفن لخوفنا . ومن خاف خيف عليهِ . فوالله ما أجابني الّا بدموعه على خدّيهِ . ثم قال : يا ابن اخي يحقن الله دمك ويحفظك في حرمك ويوفر عليك مالك ووالله لو أمكنني ذلك في جميع قومك لفعلت فكن متواريًا كظاهر وآمنًا كخائف ولتأتني رقاعك (قال) فكنت والله أكتب اليهِ كما يكتب الرجل الى ابيه وعمه . (قال)

فلما فرغ من الحديث رددت عليه طيلسانه . فقال : مه فانَّ ثيابنا اذا فارقتنا لن ترجع الينا

ابن هرمة والغفاري ويوسف بن موهب

حدث ابو سلمة الغفاري عن ابيه قال : وفدت على المهدي في جماعة من اهل المدينة . وكان فيمن وفد يوسف بن موهب وكان في رجال بني هاشم من بني نوفل . وكان معنا ابن هرمة . فجلسنا يوماً على دكان قد هُيِّئَ لمسجد ولم يُسقَّف في عسكر المهدي . وقد كنا نلقى الوزراء وكبراء السلطان وكانوا قد عرفونا . واذا حيال الدكّان رجل بين يديه ناطف يبيعهُ في يومٍ شاتٍ شديد البرد . فأقبل اذ ضربه بفأسه فتطاير جفوفاً . فأقبل ابن هرمة علينا فقال ليوسف : يا ابن عمّ رسول الله (صلعم) أما معك درهم نأكل بهِ من هذا الناطف . فقال لهُ : متى عهدتني أحمل الدراهم . (قال) فقلت لهُ : لكني أنا معي . فأعطيتهُ درهماً خفيفاً فاشترى بهِ ناطفاً على طبق للناطفيّ . فجاء بشيءٍ كثيرٍ . فأقبل يتضغّهُ وحده ويحدّثنا ويضحك . فما راعنا الّا موكب أحد الوزيرين أبي عبيد الله أو يعقوب بن داود . ثم أقبلت المُطرقة . فقلنا : مالك قاتلك الله يهجم علينا هذا وأصحابه فيرون الناطف بين أيدينا فيظنّون انّا كنا نأكل معك . قال : فوالله ما أحد أولى بالستر على اصحابه وتقلّد البليّة منك يا ابن عم رسول الله . فضعه بين يديك . قال : اعزبْ قبّحك الله . قال : فأنت يا ابن أبي ذرّ . فزبرتُه . (قال) فقال : قد علمت انهُ لا يُبتلى بهذا الّا ظريف .

ثم أخذ الطبق في يده فحمله وتلقّى بهِ الموكب . فما مرَّ بهِ أحد لهُ نباهة الّا مازحه حتى مضى القوم جميعاً

ابن هرمة ومحمد بن عمران

حدث عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد العزيز قال : حدّثني عمي عمران ابن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن بن عوف قال : وافينا الحج في عام من الاعوام الخالية . فاصبحت بالسيالة : فاذا ابراهيم بن عليّ بن هرمة يأتينا . فاستأذن على أخي محمد بن عبد العزيز . فأذن لهُ . فدخل عليه فقال : يا أبا عبد الله ألا أُخبرك ببعض ما تستظرف . قال : بلى وربما فعلتَ يا أبا اسحق . قال : فانهُ أصبح عندنا ههنا منذ أيام محمد بن عمران واسمعيل بن عبد الله بن جبير وأصبح ابن عمران بجملين لهُ ظالعين . فاذا رسوله يأتيني أن : أجبْ . فخرجت حتى أتيتهُ . فأخبرني بظلع جمليه وقال لي : أردت أن ابعث الى ناضحين لي بعَمْق لعلّي أُوتى بهما الى ههنا لأمضي عليهما ويصير هذان الظالعان الى مكانهما . ففرّغ لنا دارك واشترِ لنا علفاً وأَستلنهُ بجهدك . فانّا مقيمون ههنا حتى يأتينا جمالنا . فقلت : في الرحب والقرب والدار فارغة وزوجته طالق ان اشتريتَ عود علف عندي حاجتك منه . فأنزلته ودخلت الى السوق فما أبقيت فيهِ شيئاً من رِسْل ولا جداء ولا طرفة ولا غير ذلك الّا ابتعت منهُ فاخره وبعثت بهِ اليه مع دجاج كان عندنا . (قال) فبينا أنا أدور في السوق اذ وقف عليَّ عبد لاسمعيل بن عبد الله يساومني بجمل علف لي . فلم ازل أنا وهو حتى أخذه مني بعشرة دراهم وذهب بهِ فطرحه لظهره . وخرجت عند الرواح

أتقاضى العبد ثمن حملي فاذا هو لاسمعيل بن عبد الله ولم أكن دريتُ. فلمّا رآني مولاه حيّاني ورحّب بي وقال: هل من حاجة يا أبا اسحق. فاعلمه العبد أن العلف لي. فأجلسني فتغدّيت عنده. ثم امر لي مكان كل درهم منها بدينار. وكانت معهُ زوجته فاطمة بنت عباد فبعثتْ اليَّ بخمسة دنانير. (قال) وراحوا وخرجت بالدنانير ففرّقتها على غرمائي وقلت: عند ابن عمران عوض منها. (قال) فأقام عندي ثلاثاً. وأتاه جمّاله فما فعل بي شيئاً. فبينا هو يترحّل وفي نفسه مني ما لا أدري بهِ اذ كلّم غلاماً لهُ بشيء. فلم يفهم. فأقبل عليَّ فقال: ما أقدر على افهامه مع قعودك عندي قد والله اذيتني ومنعتني ما أردتُ. فقمتُ مغتمّاً بالذي قال. حتى اذا كنت على باب الدار لقيني انسان فسألني هل فعل اليَّ شيئاً. فقلت: أنا والله بخير اذ تلف مالي ورجحت بدني. (قال) وطلع عليَّ وأنا أقولها فشتمني والله يا أبا عبد الله حتى ما أبقى لي. وزعم ان لولا احرامه لضربني وراح وما أعطاني درهماً. فقلت:

يا مَن يعين على ضيفٍ ألمَّ بنا	ليس بذي كرم يُرجى ولا دينِ
أقام عندي ثلاثاً سُنّة سلفت	أغضيت منها على الاقذاء والهونِ
مسافة البيت عشر غير مشكلة	وأنت تأتيه في شهرٍ وعشرينِ
لست تبالي فوات الحج ان نصبت	ذات الكلال وأسمنت ابن حرقينِ
تحدّث الناس عمّا فيك من كرمٍ	هيهات ذاك لضيفان المساكينِ
أصبحت تخزن ما تحوي وتجمعهُ	أبا سليمان من أشلاء قارونِ
مثل ابن عمران آباء لهُ سلفوا	يجزون فعل ذوي الاحسان بالدونِ
ألا تكون كاسمعيل انّ لهُ	رأياً أصيلاً وفعلاً غير منونِ
أو مثل زوجته فيما ألمّ بها	هيهات من أمها ذات النطاقينِ

فلمّا انشدها قال لهُ محمد بن عبد العزيز: نحن نعينك يا أبا اسحق لقوله «يامن يعين». قال: قد رفعك الله عن العون الذي أُريده. ما أردت الّا رجلاً مثل عبد الله بن خنزيرة وطلحة اطباء الكلبة يمسكونه لي وآخذ خوط سلم فأوجع بهِ خواصره وجواعره. (قال) ولمّا بلغ في انشاده الى قولهِ «مثل ابن عمران آباء لهُ سلفوا» أقبل عليَّ فقال: عذراً الى الله تعالى واليكم اني لم أعنِ من آبائه طلحة بن عبيد الله. (قال) ونزل اليهِ اسمعيل بن جعفر بن محمد وكان عندنا فلم يكلمهُ حتى ضرب أنفهُ وقال لهُ: فعنيت من آبائهِ أبا سليمان محمد بن طلحة يا دعيّ. (قال) فدخلنا بينهما وجاء رسول محمد بن طلحة بن عبيد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضى الله عنهُ الى ابن هرمة يدعوه. فذهب اليهِ. فقال لهُ: ما الذي بلغني من هجائك أبا سليمان. والله لا ارضى حتى تحلف ان لا تقول لهُ ابداً الّا خيراً وحتى تلقاه فترضاه اذا رجع وتحتمل كل ما زلَّ اليك وتمدحهُ. قال: أفعلُ بالحبّ والكرامة. قال: واسمعيل بن جعفر لا تعرضْ لهُ الّا بخير. قال: نعم. (قال) فأخذ عليهِ الايمان فيهما وأعطاه ثلاثين ديناراً. وأعطاه محمد بن عبد العزيز مثلها. (قال) واندفع ابن هرمة يمدح محمد بن عمران:

ألم ترَ أنَّ القول يخلص صدقهُ	وتأبى فما تزكو لباغٍ بواطلهْ
ذممت امرءًا لم يطبع الذمّ عرضهُ	قليلاً لدى تحصيله من يشاكلهْ
فما بالحجاز من فتى ذي امارةٍ	ولا شرف الّا ابن عمران فاضلهْ
فتىً لا يطور الذمّ ساحة بيتهِ	وتشقى بهِ ليل التمام عواذلهْ

حكَم الوادي ويحيى بن خالد والجارية دنانير

قال حكم الوادي: دخلت يوماً على يحيى بن خالد فقال لي: يا أبا يحيى ما رأيك في خمسمائة دينار قد حضرت. قلت: ومن لي بها. قال: تلقى لحنك في «ذكرتك ان فاض الفرات بارضنا» على دنانير. فها هي ذه. وهذا سلام واقف معك ومُخرجها اليك. وانا راكب الى امير المؤمنين ولست انصرف من مجلس المظالم الى وقت الظهر. فكدّها فيه. فاذا أحكمتهُ فلكَ خمسمائة. فقالت دنانير: يا سيدي ابو يحيى يأخذ خمسمائة دينار وينصرف وانا أبقى معك أُقاسيك عمري كلهُ. فقال لها: ان حفظتيه فلكِ ألف دينار. وقام فمضى. فقلتُ لها: ياسيدتي أشغلي نفسك بذا. فانكِ أنتِ تهبين لي الخمسمائة الدينار بحفظك اياه وتفوزين بالالف الدينار. والّا بطل هذا. فلم ازل معها اكدُّها ونفسي وتغنيني حتى انصرف يحيى. فدعا بماء وطست. ثم قال: يا ابا يحيى غنّ الصوت كما كنت تغنيه. فقلت: هلكتُ. يسمعه مني وليس هو ممن يخفى عليهِ ثم يسمعهُ منها فلا يرضاه. فلم اجد بدًّا من الغناء. ثم قال: غنيهِ أنتِ الآن. فغنت. فقال: والله ما ارى الّا خيرًا. فقلتُ: جعلت فداءك انا امضغ هذا منذ اكثر من خمسين سنة كما امضغ الخبز وهذه أخذتهُ الساعة وهو يذلّ لها بعدي ويجترئ عليهِ وتزداد حسنًا في صوتها. فقال: صدقتَ. هات يا سلام خمسمائة دينار ولها الف دينار. ففعل. فقالت لهُ: وحياتك يا سيدي لأشاطرنَّ استاذي الالف الدينار. قال: ذلك اليك. ففعلت. فانصرفتُ وقد اخذت بهذا الصوت الف دينار

حمزة بن عبد الله والي البصرة

حدَّث المدائني قال: لما قدم حمزة بن عبد الله البصرة واليًا عليها وكان جواداً شجاعاً مخلطاً يجود أحياناً حتى لا يدَع شيئاً يملكهُ الّا وهبهُ ويمنع احياناً ما لا يمنع من مثله فظهرت منهُ بالبصرة خفة وضعف. وركب يوماً الى فيض البصرة فلمّا رآه قال: ان هذا الغدير ان رفقوا بهِ ليكفينَّهم صيفتهم هذه. فلمَّا كان بعد ذلك ركب اليه فوافقهُ جازرًا فقال: قد رأيته ذات يوم فظننت ان لن يكفيهم. فقال لهُ الاحنف: ان هذا ماء يأتينا ثم يغيض عنا ثم يعود. ثم انهُ سمع بذكر الجبل بالبصرة. فدعا بعامله فقال لهُ: ابعث فأتنا بخراج الجبل. فقال لهُ: ان الجبل ليس ببلدٍ فآتيك بخراجه. وبعث الى مردانشاه فاستحثَّهُ بالخراج. فأبطأ بهِ. فقام اليه بسيفه فقتلهُ. فقال لهُ الأحنف: ما أحدَّ سيفك ايها الامير. وهمَّ بعبد العزيز بن شبيب بن خيَّاط ان يضربهُ بالسياط. فكتب الى ابن الزبير بذلك وقال لهُ: اذا كانت لك بالبصرة حاجة فاصرف ابنك عنها وأعد اليها مصعبًا. ففعل ذلك. وقال بعض الشعراء يهجو حمزة ويعيبهُ بقوله في امر الماء الذي رآه قد جزر:

يا ابن الزبير بعثتَ حمزة عاملًا ... ياليتَ حمزة كان خلف عمانِ

ازرى بدجلة حين عبَّ عبابها ... وتقاذفت بزواخر الطوفانِ

يحيى بن الحكم والمخنَّثين

خرج يحيى بن الحكم وهو امير على المدينة فبصر بشخص بالسَّبخة ممَّا

يلي مسجد الاحزاب. فلماَّ نظر الى يحيى بن الحكم جلس. فاستراب بهِ فوجه اعوانهُ في طلبهِ. فأُتي بهِ كانهُ امرأة في ثياب مصبغة مصقولة وهو ممتشط مختضب. فقال لهُ اعوانهُ: هذا ابن نغاش المخنث. فقال لهُ: ما احسبُك تقرأ من كتاب الله عزَّ وجلَّ شيئاً. اقرأ أُمَّ القرآن. فقال: يا أَبانا لو عرفتُ أُمهنَّ عرفت البنات. فقال لهُ: أَتهزأ بالقرآن لا أُمَّ لك. وأمر بهِ فضربت عنقهُ. وصاح في المخنثين من جاء بواحد منهم فلهُ ثلثمائة درهم. (قال زرجون المخنث) فخرجت بعد ذلك أُريد العالية فاذا بصوت دفّ أَعجبني فدنوت من الباب حتى فهمت نغمات قوم آنسُ بهم. ففتحتهُ ودخلت. فاذا بطويس قائم في يده الدفُّ يتغنَّى. فلماَّ رآني قال لي: ايه يا زرجون قتل يحيى بن الحكم ابنَ نغاش. قلت: نعم. قال: وجعل في المخنثين ثلثمائة درهم. قلت: نعم. فاندفع يغني

ما بال أَهلك يا ربابُ ... خزرًا كانهم غضابُ
ان زرت أَهلك أَوعدوا ... وتهرُّ دونهم كلابُ

ثم قال لي: ويحك أَفما جعل فيَّ زيادة ولا فضَّلني عليهم في الجعل بفضلي

التقاء الاحوص بآل الزبير

حدَّث الزبير بن حبيب عن ابيهِ حبيب بن ثابت قال: خرجنا مع محمد بن عباد بن عبد الله بن الزبير الى العمرة. فاناَّ لَبقرب قُدَيدٍ اذ لحقنا الاحوص الشاعر على جمل برحل فقال: الحمد لله الذي وفقكم لي. ما أُحبُّ أَنكم غيركم. وما زلت احرك في آثاركم مذ رفعتم لي فقد ازددتُ بكم غبطة.

فأَقبل عليهِ محمد وكان صاحب جدّ يكره الباطل واهلهُ فقال: كناَّ والله ما اغتبطنا بك ولا نحبُّ مسايرتك فتقدم عناَّ او تأخر. فقال: والله ما رأَيتُ كاليوم جوابًا. قال: هو ذاك. (قال) وكان محمد صاحب جدّ فأَشفقنا مماَّ صنع ومعهُ عدّة من آل الزبير فلم يقدر أَحد منهم أَن يردَّ عليهِ. (قال) وتقدَّم الاحوص ولم يكن لي شأن غير أَن اعتذر اليهِ. فلماَّ هبطنا من المشلَّل على خيمتَي امّ معبد سمعتُ الاحوص يهمهمُ بشيء. فتفهَّمتهُ فاذا هو يقول: خيمتي أُمّ معبدِ ... محمدٍ. كانهُ يهيئ القوافي. فامسكت راحلتي حتى جاءني محمد فقلت: اني سمعت هذا يهيئ لك القوافي. فاماَّ اذنتَ لنا ان نعتذر اليهِ ونرضيه واما ان خليت بيننا وبينهُ فنضربهُ فاناَّ لا نصادفهُ في أَخلى من هذا المكان. قال: كلاَّ ان سعد بن مصعب قد أَخذ عليهِ ان لا يهجو زبيريًّا أَبدًا. فان فعل رجوتُ ان يخزيه الله. دعهُ

حبس الاحوص بدَهْلَك

حدَّث مصعب بن عثمان قال: كان الاحوص ينسب بنساء ذوات اخطار من اهل المدينة ويتغنَّى في شعرهِ معبدٌ ومالكٌ ويشيع ذلك في الناس. فُنهي فلم ينتهِ. فُشكي الى عامل سليمان بن عبد الملك على المدينة وسأَلوه الكتاب فيه اليهِ. ففعل ذلك. فكتب سليمان الى عامله يأمره أَن يضربهُ مائة سوط ويقيمهُ على البَلَس للناس ثم يصيّره الى دهلك. ففعل ذلك بهِ. فثوى هناك سلطانَ سليمانَ بن عبد الملك. ثم ولي عمر بن عبد العزيز فكتب اليهِ يستأذنهُ في القدوم ويمدحه. فأَبى ان يأذن لهُ. وكتب

فيما كتب اليهِ بهِ :

ايا راكبًا امّا عرضت فبلّغنْ　　هُديتَ اميرَ المؤمنين رسائلي
وقل لابي حفص اذا ما لقيتَهُ　　لقد كنت نفّاعًا قليلَ الغوائلِ
وكيف ترى للعيش طيبًا ولذةً　　وخالك امسى موثقًا في الحبائلِ

(قال) فأتى رجالٌ من الانصار عمرَ بن عبد العزيز فكلّموه فيهِ وسألوه أن يقدمه وقالوا لهُ: قد عرفت نسبهُ وموضعهُ وقديمه وقد أُخرج الى ارض الشوك فنطلب اليك ان تردّه الى حرم رسول الله (صلعم) ودار قومهِ. فقال لهم عمر: انه لَفاسق والله لا أردّه ما كان لي سلطان. (قال) فمكث هناك بعد ولاية عمر صدرًا من ولاية يزيد بن عبد الملك. (قال) فبينما يزيد وجاريته حبابة ذات ليلة على سطح تغنيهِ بشعر الاحوص قال لها: من يقول هذا الشعر. قالت: لا وعينيك ما أدري. (قال) وقد كان ذهب من الليل شطره. فقال: ابعثوا الى ابن شهاب الزُهريّ فعسى ان يكون عنده علم من ذلك. فأُتي الزهري فقُرع عليهِ بابهُ. فخرج مروّعًا الى يزيد. فلمّا صعد اليهِ قال لهُ يزيد: لا ترعْ لم ندعكَ الّا لخير اجلسْ. من يقول هذا الشعر. قال: الاحوص بن محمد يا امير المؤمنين. قال: ما فعل. قال: قد طال حبسهُ بدهلك. قال: قد عجبتُ لعُمَر كيف اغفلهُ. ثم أمر بتخلية سبيلهِ ووهب لهُ أربعمائة دينار. فأقبل الزهري من ليلته الى قومه من الانصار فبشَّرهم بذلك

ابو سعيد مولى فائد ومحمد بن عمران

حدّث ابو اسحق ابراهيم بن المهدي قال: حدّثني دنية المدنيّ صاحب

العبّاسة بنت المهدي وكان آدب من قدم علينا من اهل الحجاز انّ أبا سعيد مولى فائد حضر مجلس محمد بن عمران التيمي قاضي المدينة لابي جعفر وكان مقدِمًا لابي سعيد. فقال لهُ ابن عمران التيمي: يا ابا سعيد أنت القائل

لقد طفت سبعًا قلت لما قضيتها　　ألا ليت هذا لا عليَّ ولا ليا

فقال: اي لعمرُ أبيك. واني لادمجه ادماجًا من لؤلؤ. فردّ محمد بن عمران شهادتهُ في ذلك المجلس. وقام ابو سعيد من مجلسه مغضبًا وحلف ان لا يشهد عنده ابدًا. فانكر اهل المدينة على ابن عمران ردّه شهادتهُ وقالوا: عرّضت حقوقنا للتواء واموالنا للتلف لانّا كنّا نشهد هذا الرجل لعلمنا بما كنت عليهِ والقضاة قبلك من الثقة بهِ وتقديمه وتعديله. فندم ابن عمران بعد ذلك على ردّ شهادته ووجّه اليهِ يسألهُ حضور الشهادة في مجلسه ليقضي بشهادتهِ. فامتنع وذكر انهُ لا يقدر على حضور مجلسهِ ليمينٍ لزمته ان حضره حنث. (قال) فكان ابن عمران بعد ذلك اذا ادّعى أحد عنده شهادة ابي سعيد صار اليهِ الى منزلهِ او مكانهِ من المسجد حتى يسمع منهُ ويسألهُ عمّا يشهد بهِ فيخبرهُ. وكان محمد بن عمران كثير اللحم عظيم البطن كبير العجيزة صغير القدمين دقيق الساقين يشتدّ عليهِ المشي. فكان كثيرًا ما يقول: لقد اتعبني هذا الصوت «لقد طفت سبعًا» وأضرّ بي ضررًا طويلًا شديدًا. وانا رجل ثقال بتردّدي الى أبي سعيد لأسمع شهادتهُ

ابراهيم بن المهدي وابو سعيد موى فائد

حدّث ابن جبر قال: سمعت ابراهيم بن المهدي يقول: كنت بمكّة في المسجد

الحرام فاذا شيخ قد طلع وقد قلب احدى نعليهِ على الاخرى وقام يصلي . فسألتُ عنهُ فقيل لي: هذا ابو سعيد مولى فائد . فقلت لبعض الغلمان : احصبهُ . فحصبهُ فأقبل عليهِ وقال : ما يظنُّ احدكم اذا دخل المسجد الّا انهُ لهُ . فقلت للغلام: قل لهُ يقول لك مولاي: ابلغني . فقال ذلك لهُ . فقال لهُ ابو سعيد: من مولاك حفظهُ الله . قال: مولاي ابرهيم بن المهدي . فمن انت . قال: انا ابو سعيد مولى فائد . وقام فجلس بين يديَّ وقال: لا والله بأبي انت وامي ما عرفتك . فقلت: لا عليك . أخبرني عن هذا الصوت :

أَفاض المدامع قتلى كدا ... وقتلى بكثوة لم ترمسِ (١)

قال : هو لي . قلت : وربِّ هذه البنية لا تبرح حتى تغنيه . قال : وربِّ هذه البنية لا تبرح حتى تسمعه . (قال) ثم قلب احدى نعليه وأخذ بعقب الاخرى وجعل يقرع بحرفها على الاخرى ويغنيه حتى أتى عليهِ فأخذته منهُ

والشعر الذي غنى فيهِ ابو سعيد هو للعبلي واسمهُ عبد الله بن عمر ويكنى ابا عديّ . حدَّثَ سليمان بن العباس العديّ قال : جاء عبد الله بن عمر العبلي الى سويقة وهو طريد بني العباس وذلك بعقب آخر أيام بني امية وابتداء خروج

(١) حدث الحزنبل قال : كنّا عند ابن الاعرابي وحضر معنا ابو هفان . فانشدنا ابن الاعرابي عمن انشده قال : قال ابن ابى سبة العبلي :

افاض المدامع قتلى كذا ... وقتلى بكبوة لم ترمسِ

فغمز ابو هفان رجلًا وقال لهُ : قل لهُ ما معنى ,, كذا ,, . قال : يريد كثرتهم . فلما قمنا قال لي ابو هفان : اسمعت الى هذا المعجب الرقيع صحف اسم الرجل هو ابن ابي سنة ,, فقال ابن ابى سبة ,, وصحف في بيت واحد موضعين فقال ,, قتلى كذا ,, وهو ,, كدا ,, و ,, قتلى بكبوة ,, وهو ,, بكثوة ,, . واغلظُ عليَّ من هذا انهُ يفسّر تصحيفهُ بوجه وقاح

ملكهم الى بني العباس . فقصد عبد الله وحسنًا ابني الحسن بن الحسن بسويقة فاستنشده عبد الله بن حسن شيئًا من شعره فأنشده . فقال لهُ : أُريد ان تنشدني شيئًا مما رثيت بهِ قومك . فأنشده قولهُ

تقول امامة لما رأتْ ... نشوزي عن المضجع الأنفسِ
وقلّة نومي على مضجعي ... لدى هجعة الاعين النعَّسِ
أَبي ما عراك فقلتُ الهموم ... عرونَ اباكِ فلا تبلسي
عرون أباكِ فحبّسنهُ ... من الذل في شرّ ما محبسِ
لفقدِ الاحبة اذ نالها ... سهام من الحدث المبئسِ
رمتها المنون بلا نكل ... ولا طائشات ولا نكسِ
باسهمها المتلفات النفوس ... متى ما تصب مهجة تخلسِ
فصرّعنهم في نواحي البلاد ... ملقىً بارض ولم يرمسِ
تقيٌّ أصيب واثوابهُ ... من العيب والعار لم تدنسِ
وآخر قد دُسّ في حفرة ... وآخر قد طار لم يحسسِ
اذا عنَّ ذكرهمُ لم ينم ... أبوكِ وأوحش في المجلسِ
فذاك الذي غالني فاعلمي ... ولا تسألي بامرئٍ متعسِ
أذلوا قناتي لمن رامها ... وقد الصقوا الرغم بالمعطسِ
افاض المدامع قتلى كدا ... وقتلى بكثوة لم ترمسِ
وقتلى بوجّ وباللابتين ... من يثرب خير ما انفسِ
وبالزابيين نفوسٌ ثوت ... وأخرى بنهر ابي بطرسِ
أُولئك قومي أناختْ بهم ... نوائب من زمن مُتعسِ
اذا ركبوا زينوا الموكبين ... وان جلسوا الزين في المجلسِ

فما أَنس لا انسَ قتـلاهمُ   ولا عاش بعـدهمُ من نسي

(قال) فرأَيت عبدالله بن حسن وان دموعهُ لتجري على خده

الشاة الحلوبة

حدَّث ابراهيم بن سكرة جار ابي ضمرة قال: جلس ابن هرمة مع قوم على شراب فذكر الحكم بن المطلب فأَطنب في مدحه. فقالوا لهُ: انك لتكثر ذكر رجل لو طرقتهُ الساعة في شاة يُقال لها غرَّاء تسأَلهُ اياها لردَّك عنها. فقال: أَهو يفعل هذا. قالوا: اي والله. وكانوا لقد عرفوا ان الحكم بها معجب وكانت في داره سبعون شاة تحلب. فخرج وفي رأْسهِ ما فيه. فدقَّ الباب فخرج اليهِ غلامهُ. فقال لهُ: أَعلم أَبا مروان بمكاني. وكان قد أَمر أَن لا يحجب ابراهيم بن هرمة عنـهُ. فاعلمه بهِ. فخرج اليه متشحًا فقال: أَفي مثل هذه الساعة يا ابا اسحق. فقال: نعم جُعلت فداك. وُلد لاخٍ لي مولود فلم تدرَّ عليهِ امه. فطلبوا لهُ شاة حلوبة فلم يجدوها. فذكرت شاة عندك يُقال لها غرَّاء فسأَلني ان اسأَلكها. فقال: أَتجيء في هذه الساعة ثم تنصرف بشاة واحدة والله لا تبقى في الدار شاة الَّا انصرفت بها. سقهنَّ معهُ يا غلام. فساقهنَّ. فخرج بهنَّ الى القوم. فقالوا: ويحك اي شيءٍ صنعت. فقصَّ عليهم القصة. (قال) وكان فيهنَّ ما ثمنهُ عشرة دنانير وأَكثر من عشرة

معاوية والوليد بن عقبة

حدَّث عيسى بن يزيد قـال: وفد الوليد بن عقبـة وكان جوادًا على

معاوية. فقيل لهُ: هذا الوليد بن عقبة بالباب. فقال: والله ليرجعنَّ معطيًا غير معطًى فانهُ الآن قد أَتانا يقول: عليَّ دين وعليَّ كذا وكذا. يا غلام ائذن لهُ. فاذن لهُ. فسأَله وتحدَّث معهُ. ثم قال: اما والله ان كنَّا لنحب ايثار مالك بالوادي وقد أَعجب امير المؤمنين فان رأَيت ان تهبه ليزيد فعلت. فقال الوليد: هو ليزيد. ثم خرج وجعل يختلف الى معاوية اياما. فقـال لهُ يومًا: انظر يا امير المؤمنين في شأني فان عليَّ مؤنة وقد ارهقني دين. فقال لهُ معاوية: أَلا تستحي لحسبك ونسبك تأْخذ ما تاخذ فتبذره ثم لا تنفك تشكو دينًا. فقـال لهُ الوليد: افعلُ. ثم انطلق مكانه فصار الى الجزيرة فقال:

فاذا سئلتَ تقـول لا   واذا سأَلتَ تقول هاتِ

تأْبى فعـال الخـير لا   تروى وانت على الفراتِ

أَفلا تميـل الى نعم   او تركِ لا حتى المماتِ

(قال) فبـلغ معاوية مقدمهُ الجزيرة فخافه وكتب اليهِ أَن: أَقبـل اليَّ. فكتب اليـهِ:

أَعفُّ واستغني كما قـد أَمرتني   فأَعطِ سواي ما بدا لك وانحـلِ

سأَحدو ركابي عنـك انَّ عزيمتي   اذا نابني امرٌ كسلة منصـلِ

واني امرؤٌ للرأي مني تطرُّفٌ   وليس شبا قفـل عليَّ بمقفـلِ

ورحل الى الحجاز. فبعث اليهِ معاوية بجائزة

ابراهيم الموصلي والرشيد

أخبر حماد بن اسحاق قال : كان ابي يحدّث ان الرشيد اشترى من جدّي جارية بستة وثلاثين الف دينار فاقامت عنده ليلة . ثم ارسل الى الفضل بن الربيع : انَّا اشترينا هذه الجارية من ابراهيم ونحن نحسب انها من بابتنا وليست كما ظننتها . وقد ثقل عليَّ الثمن . وبينكَ وبينهُ ما بينكما فاذهب فسلهُ ان يحطنا من ثمنها ستة آلاف دينار . (قال) فصار الفضل اليهِ فاستأذن . فخرج جدّي فتلقَّاه . فقال : دعني من هذه الكرامة التي لا مؤنة بيننا فيها لست ممَّن يخدع وقد جئتكَ في أمرٍ اصدقك عنهُ . ثم أخبره الخبر كلهُ . فقال لهُ ابراهيم : انهُ اراد ان يبلو قدرك عندي . قال : ذاك اراد . قال : فمالي كلهُ صدقة في المساكين ان لم اضعفه لك قد حططت اثني عشر الف دينار . فرجع الفضل اليهِ بالخبر . فقال : ويلك ادفع الى هذا ماله فما رأيت سوقة قط أنبل نفساً منهُ . قال ابي : وكنت اتيت جدَّك فقلت : ما كان لحطيطة هذا المال معنىً وما هو بقليل . فتغافل عني وقال : أنت احمق انا اعرف الناس بهِ والله لو أخذت المال منهُ كملًا ما أخذتهُ الَّا وهو كاره ويحقد ذلك عليَّ وكنت اكون عنده صغير القدر . وقد مننت عليهِ وعلى الفضل وانبسطت نفسه ونشط وعظم قدري عنده . وانما اشتريت الجارية باربعين الف درهم وقد اخذت بها اربعة وعشرين الف دينار . فلما حمل المال اليهِ بلا حطيطة دعاني فقال لي : كيف رأيت يا أسحق مَن البصير أنا أم أنت . فقلت : بل أنت جعلني الله فداك

المنصور وابن هرمة

حدَّث محمد بن سليمان بن المنصور قال : وجَّه المنصور رسولًا قاصدًا الى ابن هرمة ودفع اليهِ الف دينار وخلعة ووصفهُ لهُ وقال : امضِ اليهِ فانك تراهُ جالساً في موضع كذا من المسجد فانتسبْ لهُ الى بني اميَّة أو مواليهم وسلهُ ان ينشدك قصيدتهُ الحائية التي يقول فيها يمدح عبد الواحد بن سليمان :

وجدنا غالبًا كانت جناحًا ... وكان أبوك قادمة الجناحِ

فاذا انشدكها فأخرجه من المسجد واضرب عنقه وجئني برأسه . وان انشدك قصيدته اللامية التي يمدحني بها فادفع اليهِ الالف الدينار والخلعة وما اراه ينشدك غيرها ولا يعترف بالحائية . (قال) فاتاه الرسول فوجده كما قال المنصور . فجلس اليهِ واستنشده قصيدته في عبد الواحد فقال : ما قلت هذه القصيدة قطّ ولا اعرفها وانما نحلها اياي من يعاديني . ولكن ان شئتَ أنشدتك احسن منها . قال : قد شئتُ فهات . فانشده : « سرى ثوبهُ عنك الصبا المتخايل » حتى اتى على آخرها . ثم قال لهُ : هات ما أمرك امير المؤمنين بدفعهِ اليَّ . فقال : ايّ شيء تقول يا هذا وايّ شيء دفع اليَّ . فقال : دَعْ ذا عنك فوالله ما بعثك الَّا امير المؤمنين ومعك مال وكسوة اليَّ وأمرك ان تسأَلني عن هذه القصيدة فان انشدتك اياها ضربت عنقي وحملت رأسي اليهِ وان انشدتك هذه اللامية دفعت اليَّ ما حملك اياه . فضحك الرسول ثم قال : صدقت لعمري . ودفع اليهِ الالف الدينار والخلعة . فما سمعنا بشيء اعجب

من حديثهما. والقصيدة التي مدح بها ابن هرمة عبدَ الواحد من فاخر الشعر ونادر الكلام ومن جيّد شعر ابن هرمة خاصةً. ويقول فيها:

اعبد الواحد المحمود اني ... اغصّ حذار سخطك بالقراحِ
فشلّت راحتايَ وجال مهري ... فألقاني بمشتجر الرماحِ
واقعدني الزمان فبتُّ صفرًا ... من المال المغرب والمراحِ
اذا فخّمت غيرك في ثنائي ... ونصحي في المغيبة وامتداحي
كانَّ قصائدي لك فاصطنعني ... كرائم قد عضلنَ عن النكاحِ
فان اكُ قد هفوت الى امير ... فعن غير التطوّع والسماحِ
ولكن سقطة عيّت علينا ... وبعض القول يذهب في الرياحِ
لعمرك انني وبني عديّ ... ومن يهوى رشادي أو صلاحي
اذا لم ترض عني او تصلني ... لفي حين اعالجه متاحِ
وانك ان حططت اليك رحلي ... بغربيّ الشراة لذو ارتياحِ
هششتَ لحاجة ووعدت اخرى ... ولم تبخل بناجزة السراحِ
وجدنا غالبًا خلقت جناحًا ... وكان ابوك قادمة الجناحِ
اذا جعل البخيل البخل ترسًا ... وكان سلاحهُ دون السلاحِ
فانّ صلاحك المعروف حتى ... تفوز بعرض ذي شيم صحاحِ

جرير والاخطل في دار عبد الملك بن مروان

حدَّث عمارة بن عقيل عن ابيهِ قال: وقف جرير على باب عبد الملك بن مروان والاخطل داخل عنده وقد كانا تهاجيا ولم يلقَ احدهما صاحبه. فلما

استأذنوا لجرير اذن له فسلّم وجلس وقد عرفهُ الاخطل. فطمح بصر جرير اليهِ فقال لهُ: من أنت. فقال: انا الذي منعت نومك وهضمت قومك. فقال لهُ جرير: ذاك اشقى لك كائنًا من كنت. ثم اقبل على عبد الملك فقال: من هذا يا امير المؤمنين. فضحك وقال: هذا الاخطل يا أبا حرزة. فردّ بصره اليه وقال: فلا حيّاك الله يا ابن النصرانية. اما منعك نومي فلو نمت عنك لكان خيرًا لكَ. واما تهضمك قومي فكيف تهضمهم وأنت ممّن ضربت عليهِ الذلّة والمسكنة وباء بغضب من الله. ائذن لي يا أمير المؤمنين في ابن النصرانية. فقال: لا يكون ذلك بين يديَّ. فوثب جرير مغضبًا. فقال عبد الملك: قم يا اخطل واتبع صاحبك فانما قام غضبًا علينا فيك. فنهض الاخطل. فقال عبد الملك لخادم لهُ: انظر ما يصنعان اذا برز لهُ الاخطل. فخرج جرير فدعا بغلام لهُ فقدَّم اليهِ حصانًا لهُ أدهم فركبهُ وهدر والفرس يهتزُّ من تحته. وخرج الاخطل فلاذ بالباب وتوارى خلفهُ ولم يزل واقفًا حتى مضى جرير. فدخل الخادم الى عبد الملك فأخبرهُ. فضحك وقال: قاتل الله جريرًا ما افحله اما والله لو كان النصراني برز اليهِ لأكله

عبد الملك وزُفَر بن الحرث والاخطل

حدَّث معن بن خلاد عن ابيهِ قال: لما استنزل عبد الملك زفر بن الحرث الكلابي من قرقيسيا أقعده معه على سريره. فدخل عليهِ ابن ذي الكلاع. فلما نظر اليهِ مع عبد الملك على السرير بكى. فقال لهُ: ما يُبكيك. فقال: يا امير المؤمنين وكيف لا ابكي وسيف هذا يقطر من دماء قومي في

طاعتهم لك وخلافه عليك . ثم هو معك على السرير وانا على الارض .
قال : اني لم اجلسه معي أن يكون اكرم عليَّ منك ولكن لسانهُ لساني وحديثهُ يعجبني . فبلغت الاخطل وهو يشرب فقال : أما والله لاقومنَّ في ذلك مقامًا لم يقمهُ ابن ذي الكلاع . ثم خرج حتى دخل على عبد الملك . فلما ملأ عينهُ منهُ قال :

وكأس مثل عين الديك صرفٌ ... تنسّي الشاربين لها العقولا
اذا شرب الفتى منها ثلاثًا ... بغير الماء حاول ان يطولا
مشى قرشيَّة لا شكّ فيها ... وارخى من مآزره الفضولا

فقال لهُ عبد الملك : ما اخرج هذا منك يا ابا مالك الّا خطة في رأسك .
قال : أجل والله يا امير المؤمنين حين تجلس عدوّ الله هذا معك على السرير وهو القائل بالامس :

وقد ينبت المرعى على دمن الثرى ... وتبقى حزازات النفوس كما هيا

(قال) فقبض عبد الملك رجله ثم ضرب بها صدر زفر فقلبه عن السرير وقال : أذهبَ الله حزازات تلك الصدور . فقال : انشدك الله يا امير المؤمنين والعهد الذي اعطيتني . فكان زفر يقول : ما أيقنت بالموت قطّ الّا تلك الساعة حين قال الاخطل ما قال

عبد الملك ورجل عراقيّ

اخبر المدائني قال : نصب عبد الملك بن مروان الموائد يطعم الناس . فجلس رجلٌ من اهل العراق على بعض تلك الموائد . فنظر اليهِ خادم لعبد

الملك فانكره فقال لهُ : أعراقي أنت . قال : نعم . قال : أنت جاسوس . قال : لا . قال : بلى . قال : ويحكَ دعني أتهنَّأ بزاد امير المؤمنين ولا تنغصني بهِ . ثم انَّ عبد الملك وقف على تلك المائدة فقال : من القائل

اذا الارطى توسّد أبرديهِ ... خدود جوازئٍ بالرمل عِينِ

وما معناه . ومَن اجاب فيهِ اجزناه . والخادم يسمع . فقال العراقي للخادم : أتحبُّ ان اشرح لك قائله وفيمَ قاله . قال : نعم . قال : يقولهُ عديّ بن زيد في صفة البطيخ الرمسي . فقال ذلك لخادم . فضحك عبد الملك حتى سقط . فقال لهُ الخادم : أخطأتُ أم اصبتُ . فقال : بل أخطأت . فقال : يا امير المؤمنين هذا العراقي فعل الله بهِ وفعلَ لقننيهِ . فقال : ايُّ الرجال هو . فاراه اياه . فعاد اليهِ عبد الملك وقال : انت لقنتهُ هذا . قال : نعم . قال : افخطأً لقنتهُ ام صوابًا . قال : بل خطأً . قال : ولمَ . قال : لاني كنت متحرمًا بمائدتك فقال لي كيت وكيت فاردت ان اكفهُ عني واضحكك . قال : فكيف الصواب .
قال يقولهُ الشماخ بن ضرار الغطفاني في صفة البقر الوحشية قد جُزئت بالرُطب عن الماء . قال : صدقتَ . واجازه ثم قال لهُ : حاجتك . قال : تنحّي هذا عن بابك فانهُ يشينه

جميلة وعبد الله بن جعفر

قال سياط : جلست جميلة يومًا للوفادة عليها وجعلت على رؤوس جواريها شعورًا مسدلة كالعناقيد الى اعجازهنّ والبستهنّ انواع الثياب المصبغة ووضعت فوق الشعور التيجان وزينتهنّ بانواع الحليّ ووجهت الى عبد الله بن جعفر

تستزيره وقالت لكاتب أملتْ عليه : بأبي انت وأمي قدرك يجلّ عن رسالتي ولكن كرمك يحتمل زلتي . وذنبي لا تقال عثرته . ولا تُغفر حوبته . فان صفحت فالصفح لكم معشر اهل البيت يؤثر . والخير والفضل فيكم مدّخر . ونحن العبيد وانتم الموالي . فطوبى لمن كان لكم مقاربًا . والى وجوهكم ناظرًا . وطوبى لمن كان لكم مجاورًا . وبعزكم قاهرًا . وبضيائكم مبصرًا . والويل لمن جهل قدركم . ولم يعرف ما أوجبه الله على هذا الخلق لكم . فصغيركم كبير بل لا صغير فيكم . وكبيركم جليل بل الجلالة التي وهبها الله عزّ وجلّ للخلق هي لكم ومقصورة عليكم . وبالكتاب نسألك . وبحق الرسول ندعوك . ان كنت نشيطًا لمجلس هيأتهُ لك . لا يحسن الّا بك . ولا يتمّ الّا معك . ولا يصلح ان ينقل عن موضعه . ولا يسلك بهِ غير طريقه . فلما قرأ عبد الله الكتاب قال : انّا لنعرف تعظيمها لنا . واكرامها لصغيرنا وكبيرنا . وقد علمت انها قد آلت أَلِيَّة ان لا تغني احدًا الّا في منزلها . وقال للرسول : والله قد كنت على الركوب الى موضع كذا وكذا وكان في عزمي المرور بها . فاما اذ وافق ذلك مرادها فاني جاعل بعد رجوعي طريقي عليها . فلما صار الى بابها ادخل بعض من كان معهُ اليها وصرف بعضهم . فنظر الى ذلك الحسن البارع والهيئة الباذة فاعجبه ووقع من نفسه فقال : يا جميلة لقد أُوتيتِ خيرًا كثيرًا . ما احسن ما صنعتِ . فقالت : يا سيدي ان الجميل للجميل يصلح ولك هيأتُ هذا المجلس . فجلس عبد الله بن جعفر . وقامت على رأسه وقامت الجواري صفّين . فأقسم عليها فجلست غير بعيد . ثم قالت : يا سيدي الا أغنيك . قال : بلى . فغنت

بني شيبة الحمد الذي كان وجههُ   يضيءُ ظلام الليل كالقمر البدرِ
كهولهمُ خير الكهول ونساهم   كنسل الملوك لا يبور ولا يحري

أبو عُتْبَة الملقي اليك جمالهُ   أغرُّ هجان اللون من نفر زهر
لساقي الحجيج ثم للخير هاشم   وعبد مناف ذلك السيد الغَمر
أبوكم قُصَيّ كان يدعى مجمِّعًا   بهِ جمع الله القبائل من فِهرِ

فقال عبد الله : احسنتِ يا جميلة وأحسن حذاقة ما قال . بالله اعيديهِ عليَّ . فأعادتهُ فجاء الصوت احسن من الارتجال . ثم دعت لكل جارية بعود وأمرتهنّ بالجلوس على كراسي صغار قد اعدتها لهنّ . فضربنَ وغنت عليهنّ هذا الصوت وغنّى جواريها على غنائها . فلما ضربنَ جميعًا قال عبد الله : ما ظننتُ ان مثل هذا يكون وانهُ لما يفتن القلب ولذلك كرههُ كثيرٌ من الناس لما علموا فيهِ . ثم دعا ببغلتهِ فركبها وانصرف الى منزلهِ . وقد كانت جميلة اعدّت طعامًا كثيرًا وكان اراد المقام فقال لاصحابه : تخلّفوا للغداء . فتغدوا وانصرفوا مسرورين

عمر بن العبد العزيز والشعراء

حدّث الرياشي عن حماد الراوية قال : دخلت المدينة التمس العلم . فكان اوّل من لقيت كُثَيّر عزّة فقلت : يا أبا صخر ما عندك من بضاعتي . قال : عندي ما عند الاحوَص ونصيب . قلت : وما هو . قال : هما أحقُّ باخبارك . فقلت لهُ : انّا لم نحثّ المطيّ نحوكم شهرًا نطلب ما عندكم الّا ليبقى لكم ذكر وقلّ من يفعل ذلك . فأخبرني عمّا سألتك ليكون ما تخبرني بهِ حديثًا آخذه عنك . فقال : انهُ لما كان من امر عمر بن عبد العزيز ما كان قدمت انا ونصيب والاحوَص وكل واحد منّا يدلّ بسابقتهِ عند عبد العزيز

واخائهِ لعمر . فكان اوّل من لقينا مسلمة بن عبد الملك وهو يومئذٍ فتى العرب وكل واحد منا ينظر في عطفيهِ لا يشكّ انهُ شريك الخليفة في الخلافة . فاحسن ضيافتنا واكرم مثوانا ثم قال : أما علمتم ان امامكم لا يعطى الشعراء شيئاً . قلنا : قد جئنا الآن فوجّه لنا في هذا الأمر وجهاً . فقال : ان كان ذو دين من آل مروان قد ولي الخلافة فقد بقي من ذوي دنياهم من يقضي حوائجكم ويفعل بكم ما انتم لهُ اهل . فأقمنا على بابه اربعة اشهر لا نصل اليهِ . وجعل مسلمة يستأذن لنا فلا يؤذن . فقلت : لو اتيت المسجد يوم الجمعة فتحفظت من كلام عمر شيئاً . فأتيت المسجد . فانا اوّل من حفظ كلامهُ . سمعتهُ يقول في خطبة لهُ : لكل سفر زاد لا محالة . فتزودوا من الدنيا الى الآخرة التقوى . وكونوا كمن عاين ما أعدّ الله لهُ من ثوابه وعقابه فعمل طلباً لهذا وخوفاً من هذا . ولا يطولنّ عليكم الامد فتقسُوا قلوبكم وتنقادوا لعدوّكم . واعلموا انهُ انما يطمئنُّ بالدنيا من وثق بالنجاة من عذاب الله في الآخرة . فاما من لا يداوي جرحاً الاّ اصابه جرح من ناحية أخرى فكيف يطمئنُّ بالدنيا . اعوذ بالله أنْ آمركم بما انهى نفسي عنه . فتخسر صفقتي . وتبدو عيلتي . وتظهر مسكنتي . يوم لا ينفع فيهِ الاّ الحق والصدق . فارتجّ المسجد بالبكاء . وبكى عمر حتى بلّ ثوبه حتى ظننّا انهُ قاضٍ نحبه . فبلغتُ الى صاحبيّ فقلت : جدّدا لعمر من الشعر غير ما اعددناه فليس الرجل بدنيويّ . ثم ان مسلمة استأذن لنا يوم جمعة بعد ما أذن للعامة . فدخلنا فسلمنا عليهِ بالخلافة . فردّ علينا . فقلت لهُ : يا امير المؤمنين طال الثواء . وقلّت الفائدة . وتحدّثت بجفائك ايانا وفود العرب . فقال : يا كثير أما سمعت الى قول الله عزّ وجلّ في كتابه : انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلّفة قلوبهم

وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السَبيل فريضة من الله والله عليم حكيم . أفمن هؤلاء أنت . فقلت لهُ وانا ضاحك : انا ابن سبيل ومنقطع بهِ . قال . أوَلست ضيف ابي سعيد . قلت : بلى . قال : ما أحسب من كان ضيف ابي سعيد ابنَ سبيل ولا منقطعاً بهِ . ثم استأذنتهُ في الانشاد . فقال : قُل ولا تقل الاّ حقاً فان الله سائلك . فقلت :

وليت ولم تشتم علياً ولم تخف … بذيّاً ولم تتبع مقالة مجرمِ
وقلتَ فصدّقت الذي قلت بالذي … فعلتَ فاضحى راضياً كلُّ مسلمِ
ألا انما يكفي الفتى بعد زيغهِ … من الاود الباقي ثقاف المقوّمِ
لقد لبست لبس الملوك ببابها … وأبدت لكَ الدنيا بكفٍّ ومعصمِ
وتومض احياناً بعين مريضةٍ … وتبسم عن مثل الجمان المنظَّمِ
فاعرضتَ عنها مشمئزاً كانما … سقتكَ مدوفاً من سمام وعلقمِ
وقد كنت من اجبالها في ممنع … ومن بحرها في مزبد الموج مفعمِ
وما زلت سبّاقاً الى كل غايةٍ … صعدت بها أعلى البناء المقدَّمِ
فلما اتاك الملك عفواً ولم يكن … لطالب دنيا بعدهُ من تكلّمِ
تركت الذي يفنى وان كان مونقاً … وآثرت ما يبقى برأيٍ مصممِ
فاضررت بالفاني وشمّرت للذي … امامك في يوم من الهول مظلمِ
وما لك ان كنت الخليفة مانعٌ … سوى الله من مال رغيب ولا دمِ
سما لكَ همٌّ في الفؤاد مؤرّق … صعدتَ بهِ أعلى المعالي بسلّمِ
فما بين شرق الارض والغرب كلها … منادٍ ينادي من فصيح واعجمِ
يقول امير المؤمنين ظلمتني … باخذٍ لدينارٍ ولا اخذ درهمِ
ولا بسط كفٍّ لامرئٍ ظالم لهُ … ولا السفك منهُ ظالماً ملءَ محجمِ

فلو يستطيع المسلمون تقسَّموا … لك الشطر من اعمارهم غير ندَّم
فعشتَ بهِ ما حجَّ لله راكبٌ … مغذٌّ مطيف بالمقام وزمزم
فأربح بها من صفقةٍ لمبائعٍ … واعظم بها اعظم بها ثم اعظمِ

فقال لي: يا كثير ان الله سائلك عن كل ما قلتَ . ثم تقدم اليهِ الاحوَص فاستأذنهُ . فقال : قُل ولا تقل الَّا حقًّا فان الله سائلك . فانشده :

وما الشعر الَّا خطبة من مؤلِّف … بمنطق حقٍّ او بمنطق باطلِ
فلا تقبلنْ الَّا الذي وافق الرضا … ولا ترجعنًا كالنساء الاراملِ
رأيناك لم تعدل عن الحق يمنةً … ولا يسرة فعل الظلوم المجادلِ
ولكن اخذت القصد جهدك كلهُ … وتقفو مثال الصالحين الاوائلِ
فقلنا ولم نكذب بما قد بدا لنا … ومن ذا يردُّ الحقَّ من قول عادلِ
ومن ذا يردُّ السهم بعد صدوفهِ … على فوقه ان عاد من نزع نابلِ
ولولا الذي قد عوَّدتْنا خلائفٌ … غطاريف كانت كالليوث البواسلِ
لما وخدتْ شهرًا برحليَ جَسْرَةٌ … تقلّ متون البيد بين الرواحلِ
ولكن رجونا منك مثل الذي بهِ … صرفنا قديمًا من ذويك الافاضلِ
فان لم يكن للشعر عندك موضعٌ … وان كان مثل الدرِّ من قول قائلِ
وكان مصيبًا صادقًا لا يعيبهُ … سوى انهُ يبني بناء المنازلِ
فانَّ لنا قربى ومحض مودَّةٍ … وميراث آباء مشَوا بالمناصلِ
فذادوا عدوَّ السلم عن عقر دارهم … وأرسوا عمود الدين بعد تمايلِ
فقبلك ما اعطى الهنيدة جلَّةً … على الشعر كعبًا من سديس وبازلِ
رسول الأله المصطفى بنبوة … عليهِ سلام بالضحى والاصائلِ
فكل الذي عددتُ يكفيك بعضهُ … ونيلك خير من بحور السوائلِ

فقال لهُ عمر : يا احوَص ان الله سائلك عن كل ما قلت . ثم تقدم اليهِ نصيب فاستأذن في الانشاد . فأَبى ان يأذن لهُ وغضب غضبًا شديدًا . وأَمر بالحاق بدابق وأَمر لي وللاحوص لكل واحد بمائة وخمسين درهمًا

عمر بن عبد العزيز ودكين

حدَّث المدائني قال : قال دكين الراجز : امتدحت عمر بن عبد العزيز وهو والي المدينة . فأَمر لي بخمس عشرة ناقة كرائم فكرهت ان ارمي بهنَّ الفجاج ولم تطب نفسي ببيعهنَّ . فقدمت علينا رفقة من مصر فسألتهم الصحبة . فقالوا : ذاك اليك ونحن نخرج الليلة . فاتيتهُ فودَّعته وعنده شيخان لا أَعرفهما . فقال لي : يا دكين انَّ لي نفسًا توّاقة فان صرت الى اكثر مما انا فيهِ فائتني ولك الاحسان . قلت : اشهد لي بذلك . قال : اشهد الله بهِ . قلت : ومن خلقه . قال : هذين الشيخين . فأَقبلت على احدهما فقلت : من أَنت أَعرفك . قال : سالم بن عبد الله بن عمر . فقلت لهُ : لقد استسمنت الشاهد . وقلت للآخر : من أَنت . قال : ابو يحيي ولي الامير فخرجت الى بلدي بهنَّ . فرمى الله في اذنابهنَّ بالبركة حتى اعتقدت منهنَّ الابل والعبيد . فاني لبصحراء فَلْج اذ ناعٍ ينعى سليمان . قلت : فمن القائم بعده . قال : عمر بن العبد العزيز . فتوجهت نحوهُ . فلقيني جرير منصرفًا من عنده . فقلت : يا ابا حزرة من اين . فقال : من عند من يعطي الفقراء ويمنع الشعراء . فانطلقت فاذا هو في عرصة دار وقد احاط الناس بهِ فلم اخلص اليهِ . فناديت :

يا عمر الخيرات والمكارم … وعمر الدسائع العظائمِ

اني امرؤ من قطن بن دارم طلبت ديني من أخ مكارمِ
اذ نلتحي والله غير نائم عند ابي يحيي وعند سالمِ

فقام ابو يحيي فقال : يا امير المؤمنين لهذا البدوي عندي شهادة عليك . فقال : اعرفها ادنُ يا دكين انا كما ذكرت لك ان نفسي لم تنل شيئًا قط الّا تاقت لما هو فوقه وقد نلت غاية الدنيا فنفسي تتوق الى الآخرة والله ما رزأت من اموال الناس شيئًا ولا عندي الّا الفا درهم فخذ نصفها . (قال) فوالله ما رأيت الفًا كان اعظم بركة منهُ . (قال) ودكين الذي يقول :

اذا المرءُ لم يدنس من اللؤم عرضهُ فكل رداء يرتديهِ جميلُ
وان هو لم يرفع عن اللؤم نفسه فليس الى حسن الثناء سبيلُ

مطيع بن اياس والمنصور

اخبر محمد بن الفضل السكوني قال : رفع صاحب الخبر الى المنصور ان مطيع بن اياس زنديق وانهُ يعاشر ابنهُ جعفرًا وجماعة من اهل بيته ويوشك ان يفسدوا اديانهم وينسبوا الى مذهبه . فقال لهُ المهدي : انا بهِ عارف . امَّا الزندقة فليس من اهلها ولكنهُ خبيث الدين فاسق مستحل للمحارم . قال : فأَحضرهُ وانهه عن صحبة جعفر وسائر اهله . فاحضرهُ المهدي وقال لهُ : يا خبيث يا فاسق قد افسدت اخي ومن تصحبه من اهلي . والله لقد بلغني انهم يتقارعون عليك ولا يتمّ لهم سرور الّا بكَ . فقد غررتهم وشهرتهم في الناس . ولولا اني شهدت لك عند امير المؤمنين بالبراءة مما نُسبت اليهِ بالزندقة لقد كان أمر بضرب

عنقك . وقال للربيع : اضربه مائتي سوط واحبسه . قال : ولِمَ يا سيّدي . قال : لانك سكير خمير . قد افسدت اهلي كلهم بصحبتك . فقال لهُ : ان أَذنت وسمعت احتججت . قال : قُل . قال : أَنا امرؤ شاعر . وسوقي انما تنفق مع الملوك وقد كسدت عندكم وانا في ايامكم مُطَّرح وقد رضيت فيها مع سعتها للناس جميعًا بالأَكل على مائدة اخيك لا يتبع ذلك عشيرة . واصفيته على ذلك شكري وشعري . فان كان ذلك عائبًا عندك تبت منهُ . فاطرق ثم قال : قد رفع اليَّ صاحب الخبر انك تتماجن على السؤال وتضحك منهم . قال لا والله . ما ذلك من فعلي ولا شأني ولا جرى مني قط الّا مرة . فان سائلًا اعمى اعترضني وقد عبرت الجسر على بغلتي وظنني من الجند . فرفع عصاه في وجهي ثم صاح : اللهمَّ سخر الخليفة لان يعطي الجند ارزاقهم فيشتروا من التجار الامتعة ويربح التجار عليهم فتكثر اموالهم فيجب فيها الزكاة عليهم فيصَّدَّقوا عليَّ منها . فنفرت بقلبي من صياحه ورفعه عصاه في وجهي حتى كدت اسقط في الماء فقلت : يا هذا ما رأيت اكثر فضولًا منك . سل الله ان يرزقك ولا تجعل هذه الحوالات والوسائط التي لا يحتاج اليها فان هذه الوسائل فضول . فضحك الناس منهُ ورفع عليَّ في الخبر قولي لهُ هذا . فضحك المهدي وقال : خلّوهُ ولا يُضرب ولا يحبس . فقال لهُ : أَدخلُ عليك الموجدةُ واخرج عن رضًى وتبرأُ ساحتي من عضيهة وانصرف بلا جائزة . قال : لا يجوز هذا . اعطوهُ مائتي دينار ولا يعلم بها الامير فيتجدد عنده ذنوبه . (قال) وكان المهدي يشكر لهُ قيامه في الخطباء ووضعه الحديث لابيهِ في انهُ المهدي . فقال لهُ : اخرج عن بغداد ودع صحبة جعفر حتى ينساك امير المؤمنين غدًا . فقال لهُ : فأَين اقصد . قال : اكتبُ لك الى سليمان بن عليّ فيولّيك عملًا ويحسن اليك . قال : قد رضيت . فوفد الى

سليمان بكتاب المهدي فولاه الصدقة بالبصرة وكان عليها داود بن ابي هند فعزله بهِ

متمم بن نُويرة واخوهُ مالك

هو مُتمم بن نُوَيْرَة ويكنى ابا نهشل ويكنى اخوه مالك ابا المغوار. وكان مالك يقال لهُ فارس ذي الخمار قيل لهُ ذلك بفرس كان عنده يقال لهُ ذو الخمار وفيهِ يقول وقد احمده في بعض وقائعه :

جرى بي فلاي ذو الخمار وضيعتي بما فات اطواء بنيَّ الاصاغرِ

اخبر محمد بن سلام قال : كان مالك بن نويرة شريفًا فارسًا شاعرًا . وكانت فيهِ خيلاء وتقدُّم . وكان ذا لمة كبيرة . وكان يقال لهُ الجفول . وكان مالك قُتل في الردَّة قتلهُ خالد بن الوليد بالبطاح في خلافة ابي بكر . وكان مقيمًا بالبطاح . فلما تنبأت سجاح اتبعها ثم أظهر انهُ مسلم . فضرب خالد عنقه صبرًا . فطعن عليهِ في ذلك جماعة من الصحابة منهم عمرو بن الخطاب وابو قتادة الانصاري لانهُ تزوَّج امرأة مالك بعده

حدَّث محمد بن الحكم البجلي عن الانصاري قال : صلَّى متمم بن نويرة مع ابي بكر الصبح ثم انشد :

نعم القتيل اذا الرياح تناوحت تحت الازار قتلت يا ابن الازورِ (١)

ادعونهُ بالله ثم قتلتهُ لو هو دعاك بذمة لم يغدرِ

فقال ابو بكر : والله ما دعوتهُ ولا قتلتهُ . فقال :

---

(١) قال ابن الكلبي : الذي قتل مالك بن نويرة ضرَّار بن الازور . ويقال : بل عبد الازور الاسديّ

لا يضمر الفحشاء تحت ردائهِ حلوٌ شمائلهُ عفيف المئزرِ

ولنعم حشو الدرع انت وحاسرًا ولنعم مأوى الطارق المتنوّرِ

(قال) ثم بكى حتى سالت عينهُ ثم انخرط على سية قوسه يعني مغشيًا عليه

حدَّث صخر بن خلخلة قال : ذكر متمم بن نويرة اخاه في المدينة . فقيل لهُ : انك لتذكر اخاك فما كانت صفتهُ أوصفه لنا . فقال : كان يركب الجمل الثقال في الليلة الباردة يرتمي لاهله بين المزادتين المضرجتين عليهِ الشملة الفَلُوت يقود الفرس لجزور ثم يصبح ضاحكًا

حدَّث الزبير بن حبيب بن بدر الطائي وغيره انَّ المنهال (رجلًا من بني يربوع) مرَّ على اشلاء مالك بن نويرة لما قتلهُ خالد فأخذ ثوبًا وكفَّنهُ فيهِ ودفنه . ففيهِ يقول متمم :

لعمري وما دهري بتأبين مالكٍ ولا جزع مما اصاب فأوجعا

لقد كفَّن المنهال تحت ردائهِ فتًى غير مبطان العشيات أروعا

حدَّث احمد بن عمران العبدي وكان من العلم بموضع قال : حدَّثني ابي عن جدّي قال : صليت مع عمر بن الخطاب الصبح . فلما انفتل من صلاته اذا هو برجل قصير اعور متنكبًا قوسًا وبيده هراوة . فقال : من هذا . فقال : متمم بن نويرة . فاستنشده قوله في اخيهِ فانشده : « لعمري وما دهري بتأبين مالكٍ » حتى بلغ الى قوله :

وكنا كندماني جذيمة حقبةً من الدهر حتى قيل لن يتصدعا

فلما تفرقنا كاني ومالكًا لطول اجتماعٍ لم نبت ليلةً معا

فقال عمر : هذا والله التأبين ولوددت اني احسن الشعر فأرثي اخي زيدًا بمثل ما رثيتَ بهِ اخاك . فقال متمم : لو ان اخي مات على ما مات عليهِ اخوك

ما رثيتهُ . وكان قتل باليمامة شهيداً واميرِ الجيش خالد بن الوليد . فقال عمر : ما عزّاني أحد عن اخي بمثل ما عزاني بهِ متمم . (قال) وكان عمر يقول : ما هبت الصبا من نحو اليمامة الّا خيل اليَّ ان اشمّ ريح اخي زيد (قال) وقيـل لمتمم : ما بلغ من وجدك على اخيك . فقال : أصبت باحدى عينيَّ فما قطرت منها دمعة عشرين سنة . فلما قُتل اخي استهلّت فما ترقأ

وقال عمر لمتمم بن نويرة : هل كان مالك يحبك مثل محبتك اياه وهل كان مثلك . فقال : واين انا من مالك وهل ابلغ مالكاً . والله يا امير المؤمنين لقد أسرَني حيٌّ من العرب فشدُّوني وثاقاً بالقدّ وألقوني بفنائهم . فبلغه خبري فاقبل على راحلته حتى انتهى الى القوم وهم جلوس في ناديهم . فلما نظر اليَّ أعرض عني ونظر القوم اليهِ فعدل اليهم . وعرفت ما اراد . فسلّم عليهم وحادثهم وضاحكهم وأنشدهم . فوالله ان زال كذلك حتى ملأهم سروراً . وحضر غداؤهم فسألوهُ ليتغدّى معهم . فنزل وأكل . ثم نظر اليَّ وقال : انهُ لقبيح بنا ان نأكل ورجل ملقىً بين ايدينا لا يأكل معنا . وأمسك يده عن الطعام . فلما رأى ذلك القوم نهضوا وصبوا الماء على قدّي حتى لان وحلّوني ثم جاؤوا بي فاجلسوني معهم على الغداء . فلما اكلنا قال لهم : أما ترون تحرّم هذا بنا واكله معنا . انهُ لقبيح بكم ان تردّوهُ الى القدّ . فخلوا سبيلي . فكان كما وصفت وما كذبت في شيء من صفته الّا اني وصفته خميص البطن وكان ذا بطن

واخبر محمد بن جعفر الصيدلانيّ النحويّ قال : بينا طلحة والزبير يسيران بين مكة والمدينة اذ عرض لهما اعرابيّ . فوقفا ليمضي . فوقف . فتعجّلا ليسبقاه . فتعجل . فقالا : ما اعجلك يا اعرابي تعجلنا لنسبقك فتعجلت . فوقفنـا لتمضي فوقفت . فقـال : لا اله الّا الله مفني اعدى الناس أغدر باصحـاب محمد

(صلعم) . هبـاني خفت الضلال فاحببت ان استـدلّ بكما . او خفت الوحشة فأحببت ان استأنس بكما . فقال طلحة : من انت . قال : انا متمم بن نويرة . فقال طلحة : واسوأتاه لقد مللنا غير مملولٍ . هات بعض ما ذكرت في اخيك من البكاء . فزوَّجوه ام خالد . فبينا هو واضع رأسهُ على فخذها اذ بكى . فقالت : لا اله الّا الله أما تنسى أخاك . فأنشأ يقول :

اقول لها لما نهتني عن البكا — أفي مالك تلحينني امَّ خالدِ
فان كان اخواني أصيبوا واخطأَت — بني املك اليوم الحتوف الرواصد (١)
فكلّ بني امٍّ سيمسون ليلةً — ولم يبقَ من اعيانهم غير واحدِ

اسحق والتيمي الشاعر والفضل بن يحيى

هو عبد الله بن ايوب ويكنى ابا محمَّد مولى بني تيم . حدث اسحق قال : كنت على باب الفضل بن يحيى فاتاني التيمي الشاعر بقصيدة في قرطاس وسألني ان اوصلها الى الفضل فنظرت فيها ثم خرقت القرطاس . فغضب ابو محمد وقال لي : أما كفاك ان استخففت بحاجتي منعتني ان ادفعها الى غيرك . فقلت لهُ : انا خير لك من القرطاس . ثم دخلت الى الفضل فلما تحدثنا قلت لهُ : معي هدية وصاحبها بالباب وانشدتهُ . فقال : وكيف حفظتها . قلت : الساعة دفعها اليَّ على الباب فحفظتها . فقـال : دع الآن . فقلت لهُ : فأدخله . فأُدخل . فسألهُ عن القصة فأخبره . فقال : انشدني شيئاً من شعرك . ففعل . وجعلت اردد اباته وجعلت أشيعها بالاستحسان . ثم خرج التيمي . فقلت : خذ في حاجة الرجل .

(١) هذا من سناد الاقواء

فقال : اما اذ عنيت بهِ فقد أمرت لهُ بخمسة آلاف درهم. فقلت لهُ : أمَا اذ أقللتها فعجلها. فأمر بها فأُحضرت . فقلت لهُ : أليس لاعناتك ايَّاي ثمن. قال : نعم. قلت : فهاته. قال : لا ابلغ بكَ في الاعنات ما بلغتَ بالشاعر في المديح. فقلت : فهات ما شئتَ. فأمر بثلثة آلاف درهم فضممتها الى الخمسة الآلاف ووجهت بها اليهِ

ابو مسلم ورُؤْبة بن العجّاج

اخبر رؤبة بن العجاج قال : بعث اليَّ ابو مسلم لما أفضت الخلافة الى بني هاشم. فلما دخلت عليهِ رأى مني جزعاً فقال : اسكن فلا بأس عليك ما هذا الجزع الذي ظهر عليك. قلت : اخافك . قال : ولِمَ. قلت : لانهُ بلغني انك تقتل الناس. قال : انما اقتل من يقاتلني ويريد قتلي أفأنت منهم. قلت : لا. قال: فهل ترى بأساً. قلت : لا . فأقبل على جلسائهِ ضاحكاً فقال : اما ابو العجاج فقد رخص لنا ثم قال: أنشدني قولك «وقاتم الاعماق خاوي المخترق». فقلت: أو أُنشدك اصلحك الله أحسن منهُ . قال : هات. فأنشدتهُ :

قلت ونسجي مستجد حوكا   لبيك اذ دعوتني لبيكا
أحمد ربًّا ساقني اليكا

قال: هات كلمتك الاولى. قلت : أو أُنشدك احسن منها . قال : هات فانشدتهُ :

ما زال يبني خندقاً ويظلمهْ   ويستجيش عسكراً ويهزمهْ
ومغنماً يجمعهُ ويقسمهْ   مروان لما ان تهاوت انجمهْ
وخانه في حكمه مُنجّمهْ

قال : دع هذا وأنشدني «وقاتم الاعماق». قلت : أو أحسن منهُ . قال: هات. فانشدتهُ قوله :

رفعت بيتاً وخفضت بيتا   وشدت ركن الدين اذ بنيتا
في الأكرمين من قريش بيتا

قال : هات ما سألتك عنه. فانشدته :

ما زال ياتي الامر من أقطارهِ   عن اليمين وعلى يسارهِ
مشمراً لا يصطلى بنارهِ   حتى أقرَّ الملك في قرارهِ
ومرَّ مروان على حمارهِ

فقال : ويحك هات ما دعوتك لهُ وأمرتكَ بانشاده «وقاتم الاعماق خاوي المخترق». فلما صرت الى قوله «يرمي الجلاميد بجلمود مدق». قال : قاتلك الله لشدَّ ما استصلبت الحافر . ثم قال : حسبك انا ذاك الجلمود المدق. (قال) وجيءَ بمنديل فيهِ مال فوضع بين يديَّ . فقال ابو مسلم : يا رؤبة انك اتيتنا والاموال مشفوهة (١) وان لك الينا لعودة وعلينا معولاً والدهر أطرق مستتب فلا يجعل بيننا وبينك الأسُدَّة . (قال رؤبة) فأخذت المنديل منهُ وتالله ما رأيت اعجمياً افصح منهُ وما ظننت ان احداً يعرف هذا الكلام غيري وغير ابي

وصف ابي تمّام

ابو تمام حبيب بن أوس الطائي من نفس طيءٍ صليبة. مولده ومنشؤه.

(١) قال ابو عثمان الاشناندانى بن ابي عُبيدة : يقال اشتفَّ ما في الاناء وشفهَهُ اذا اتى عليهِ. وانشد :

وكاد المال يشفهه عيالي   وصادف عُيَّلي من لا اعولُ

بناحية منبج بقرية منها يقال لها جاسم . شاعر مطبوع لطيف الفطنة دقيق
المعاني غوّاص على ما يستصعب منها ويعسر متناوله على غيره . ولهُ مذهب في
المطابق هو كالسابق اليهِ جميع الشعراء وان كانوا قد فتحوهُ قبلهُ وقالوا القليل
منهُ فانَّ لهُ فضل الاكثار فيهِ والسلوك في جميع طرقه . والسليم من شعره النادر
شيء لا يتعلّق بهِ احد . ولهُ اشياء متوسطة ورديئة رذلة جدًّا . وفي عصرنا هذا
من يتعصّب لهُ فيفرط حتى يفضّلهِ على كل سالف وخالف . واقوام يتعمدون
الرديء من شعره فينشرونهُ ويطوون محاسنه ويستعملون القحة والمكابرة في ذلك
ليقول الجاهل بهم انهم لم يبلغوا علم هذا وتمييزه الّا بادب فاضل وعلم ثاقب .
وهذا مما يتكسب بهِ كثير من اهل هذا الدهر ويجعلونه وما جرى مجراه من
ثلب الناس وطلب معايبهم سببًا للترفُّع وطلبًا للرئاسة . وليست اساءة مَن
اساء في القليل واحسن في الكثير مسقطة احسانه ولو كثرت اساءته ايضًا
ثم احسن لم يُقل لهُ عند الاحسان اسأتَ ولا عند الصواب اخطأتَ . والتوسط
في كل شيء اجملُ والحق أحق ان يُتبع . وقد روي عن بعض الشعراء ان أبا
تمام انشده قصيدة لهُ احسن في جميعها الّا في بيت واحد . فقال لهُ : يا ابا تمام
لو ألقيت هذا البيت ما كان في قصيدتك عيب . فقال لهُ : انا والله اعلم منهُ
مثلما تعلم . ولكن مثل شعر الرجل عنده مثل اولاده فيهم الجميل والقبيح والرشيد
والساقط وكلُّهم حلو في نفسه . فهو وان احبَّ الفاضل لم يبغض الناقص وان
هوى بقاء المتقدّم لم يهو موت المتأخر . واعتذاره بهذا ضدٌّ لما وصف بهِ نفسه
في مدحه الواثق حيث يقول :

جاءتكَ من نظم اللسان قلادة   سمطان فيها اللؤلؤ المكنونُ
احذاكها صنع اللسان يمدُّهُ   جفر اذا نضب الكلام معينُ

ويسيء بالاحسان ظنًّا لا كمن   هو بابنهِ وبشعرهِ مفتونُ

فلو كان يسيء بالاساءة ظنًّا ولا يفتتن بشعره كنا في غنًى عن الاعتذار لهُ .
وقد فضل ابا تمام من الرؤساء والكبراء والشعراء من لا يشقّ الطاعنون عليهِ
غباره ولا يدركون وان جدّوا آثاره . وما رأى الناس بعده الى حيث انتهوا لهُ في
جده نظيرًا ولا شكلًا . ولولا ان الرواة قد اكثروا في الاحتجاج لهُ وعليهِ
واكثر متعصبوهُ الشرح لجيد شعره وافرط معادوه في التسطير لرديئه
والتنبيه على رذله ودنيئه لذكرت منهُ طرفًا . ولكن قد آتي من ذلك ما لا
مزيد عليهِ

ابو تمام وعبد الله بن طاهر

اخبرنا محمد بن العباس اليزيدي قال : حدَّثنا عمي الفضل قال : لما
شخص ابو تمام الى عبد الله بن طاهر وهو بخراسان أقبل الشتاء وهو هناك .
فاستثقل البلد وقد كان عبد الله وجد عليهِ وابطأ بجائزتهِ لانهُ نثر عليهِ الف
دينار فلم يمسها بيده ترفعًا عنها . فاغضبه وقال : يحتقر فعلي ويترفَّع عليَّ .
فكان يبعث اليهِ بالشيء بعد الشيء كالقوت . فقال ابو تمام :

لم يبقَ للصيف لا رسمٌ ولا طللُ   ولا قشيب فيستكسى ولا سملُ
عدل من الدمع ان يبكى المصيف كما   يبكى الشباب ويبكى اللهو والغزلُ
يُمنى الزمان انقضى معروفها وغدت   يسراه وهي لنا من بعدها بدلُ

فبلغت الابيات ابا العميثل شاعر آل عبد الله بن طاهر فأتى ابا تمام واعتذر
اليهِ لعبد الله بن طاهر وعاتبه على ما عتب عليهِ من اجله وتضمن لهُ ما يحبّه .
ثم دخل الى عبد الله فقال : ايها الامير أتتهاون بمثل ابي تمام وتجفوهُ فوالله لو

لم يكن لهُ ما لهُ من النباهة في قدره والاحسان في شعره والشائع من ذكره لكان الخوف من شرّه والتوقي لذمه يوجب على مثلك رعايته ومراقبته . فكيف ولهُ بنزوعه اليك من الوطن وفراقه السكن وقد قصدك عاقدًا بكَ امله معملًا اليك ركابه متعبًا فيك فكره وجسمه . وفي ذلك ما يلزمك قضاء حقه حتى يتصرف راضيًا ولو لم يأتِ بفائده ولا سُمع فيك منهُ ما سمع الّا قوله :

تقول في قومس صحبي وقد اخذت   منا السرى وخطي المهرية القودِ
امطلع الشمس تبغي ان تؤمَّ بنا   فقلت كلّا ولكن مطلع الجودِ

فقال لهُ عبد الله : لقد نبهت فاحسنت وشفعت فلطفت وعاتبت فأوجعت ولك ولابي تمام العتبى . ادعهُ يا غلام فدعاه . فنادمه يومه وأمر لهُ بالفي دينار وما يحملهُ من الظهر وخلع عليهِ خلعة تامة من ثيابه وأمر ببذرقته (١) الى آخر عمله

ابو نُخيلة

ابو نخيلة اسمهُ لا كنيته . ولهُ كنيتان ابو الجنيد وابو العرماس . وهو ابن عدن بن زائدة بن لقيط بن هرم بن يثربي . وكان عاقًا بابيهِ . فنفاه ابوهُ عن نفسه . فخرج الى الشام واقام هناك الى ان مات ابوهُ . ثم عاد وبقي مشكوكًا في نسبه مطعونًا عليهِ . وكان الاغلب عليهِ الرجز . ولهُ قصيد ليس بالكبير . ولما خرج الى الشام اتصل بمسلمة بن عبد الملك فاصطنعه واحسن اليه واوصله الى الخلفاء واحدًا بعد واحد واستماحهم لهُ . فاغنوه . وكان بعد ذلك قليل

(١) البذرقة الخفارة

الوفاء لهم . انقطع الى بني هاشم ولقب نفسه شاعر بني هاشم فمدح الخلفاء من بني العباس وهجا بني امية فاكثر . وكان طامعًا فحمله ذلك على ان قال في المنصور ارجوزة يغريه فيها بخلع عيسى بن موسى وبعقد العهد لابنه محمد المهدي . فوصله المنصور بألفي درهم وأمره أن ينشدها بحضرة عيسى بن موسى ففعل . فطلبه عيسى فهرب منهُ . وبعث في طلبه مولًى لهُ فأدركهُ في طريق خُراسان فذبحه وسلخ جلده

اخبر يحيى بن نجيم قال : لما انتفى ابو نخيلة من ابيهِ خرج يطلب الرزق لنفسه فتأدبَ بالبادية حتى شعُر وقال رجزًا كثيرًا وقصيدًا صالحًا وشُهر بهما وسار شعره في البدو والحضر ورواه الناس . ثم وفد الى مسلمة بن عبد الملك فمدحهُ ولم يزل بهِ حتى اغناه . (قال يحيى بن نجيم) فحدثني ابو نخيلة قال : وردت على مسلمة فمدحتهُ وقلت لهُ :

أمسلم اني يا ابن كلّ خليفة   ويا فارس الهيجا ويا جبل الارضِ
شكوتكَ ان الشكر حبل من التقى   وما كل من اوليتهُ نعمةً يقضي
وألقيت لما ان اتيتكَ زائرًا   عليَّ لحافًا سابغ الطول والعرضِ
واحييت لي ذكري وما كان خاملًا   ولكنَّ بعض الذكر أنبه من بعضِ

(قال) فقال لي مسلمة : ممّن أنت . فقلت : من بني سعد . فقال : ما لكم يا بني سعد والقصيد وانما حظكم في الرجز . (قال) فقلت لهُ : انا والله ارجز العرب . قال : فانشدني من رجزك . فكاني والله لما قال ذلك لم اقل رجزًا قطّ انسانيه الله كلهُ . فما ذكرت منهُ ولا من غيره شيئًا الّا ارجوزة لرؤبة قد كان قالها في تلك السنة . فظننت انها لم تبلغ مسلمة فأنشدتهُ اياها . فنكس وتتعتعتُ . فرفع رأسهُ اليَّ وقال : لا تتعب نفسك فانا اروى لها

منك (١) . (قال) فانصرفت وانا اكذب الناس عنده واخزاهم عند نفسي . حتى استضلعت بعد ذلك ومدحته برجز كثير فعرفني وقرّبني . وما رأيت ذلك فيهِ يرحمهُ الله ولا قرّعني بهِ حتى افترقنا

هشام وابو نخيلة

اخبر الاصمعي قال : قال ابو نخيلة : وفدتُ على هشام بن عبد الملك فصادفت مسلمة قد مات وكنت باخلاق هشام غِرًّا وانا غريب . فسألت عن أخصّ الناس بهِ . فذكر لي رجلان احدهما من قيس والآخر من اليمن . فعدلت الى القيسيّ بالتُّؤَدة فقلت : هو أقربهما اليَّ واجدرهما بما احبّ . فجلست اليهِ ثم وضعت يدي على ذراعه وقلت لهُ : اني مستثنيك لتمسني رحمك انا رجل غريب شاعر من عشيرتك وانا غير عارف باخلاق هذا الخليفة وأَحببت ان ترشدني الى ما اعمل فينفعني عنده وعلى ان تشفع لي وتوصلني اليه . فقال : ذلك كلهُ لك عليَّ وفي الرجل شدَّة لا كمن عاهدت من اهله . واذا سئل وخاط مدحه بطلبٍ حرم الطالب فأَخلص لهُ المدح فاذا أَجدر أَن ينفعك . واغدُ اليهِ غدًا فاني منتظرك بالباب حتى اوصلك والله يعينك . فصرت من غد

(١) وحدث ابو عبيدة قال : دخل ابو نخيلة على عمر بن هبيرة وعنده رؤبة قد قام من مجلسه فاضطجع خلف ستر . فانشد ابو نخيلة مديحه لهُ . ثم قال ابن هبيرة : يا ابا نخيلة اي شيء احدثت بعدنا . فاندفع ينشده ارجوزة لرؤبة . فلما توسطها كشف رؤبة الستر واخرج راسه من تحته فقال له : كيف انت يا ابا نخيلة ألم ننهك ان لا تعرض لشعري اذا كنت حاضرًا فاذا ما غبت فشانك بهِ . فضحك ابو نخيلة وقال : هل انا الّا حسنة من حسناتك وتابع لك وحامل عنك . فعاد رؤبة الى موضعه فاضطجع ولم يراجعه حرفًا . والله اعلم

الى باب هشام . فاذا بالرجل منتظر لي فادخلني معهُ واذا بابي النجم قد سبقني فبدأَ فأَنشده قوله :

الى هشام والى مروان ... بيتان ما مثلهما بيتانِ
كفاك بالجود تباريان ... كما تبارى فرسا رهانِ
مال عليّ حدب الزمان ... وبيع ما يغلو من الغلمانِ
بالثمن الوكس من الاثمان ... والمهر بعد المهر والحصانِ

(قال) فاطال فيها واكثر المسأَلة حتى ضجر هشام وتبيَّنت الكراهة في وجهه . ثم استأذنت . فأذن لي فأَنشدته :

وقلت للعيس اعتلي وجدّي ... فهي تخدّي أبرحَ التخدّي
كم قد تعسّفت بها من نجدِ ... ومجرهدٍ بعد مجرهدِ
قد ادّرعنَ في مسيرٍ سمدِ ... ليلًا كلون الطيلسان الجردِ
الى امير المؤمنين المجدي ... ربّ معدٍّ وسوى معدِّ
ممن دعا من اصيد ونجدِ ... ذي المجد والتشريف بعد المجدِ
في وجههِ بدرٌ بدا في السعدِ ... أَنت الهمام القرم عقد الجدِّ
طوّقتها مجتمع الاشدِّ ... فانهلّ لما قمت صوب الرعدِ

(قال) حتى اتيت عليها وهممت ان اسأَلهُ ثم عزفتُ نفسي وقلت : قد استنصحت رجلًا واخشى ان اخالفه فأُخطئُ . وحانت مني التفاتة فرأَيت وجه هشام منطلقًا . فلما فرغت اقبل على جلسائهِ فقال : الغلام السعديُّ اشعر من الشيخ العجليّ . وخرجت . فلما كان بعد ايام اتتني جائزته . ثم دخلت عليهِ بعد ذلك وقد مدحتهُ بقصيدة . فألقى عليَّ جبة خزّ من جبابه مبطنة بسمور . ثم دخلت عليهِ يومًا آخر فكساني درّاجًا كان عليهِ من خزّ احمر مبطن

سمور . ثم دخلت عليهِ يوماً ثالثاً . فلم يأمر لي بشيءٍ فحملتني نفسي على ان قلت لهُ :

كسوتنيها فهي كالتجفاف   من خزك المصونة الكثافِ
كأنني فيها وفي اللحافِ   من عبد شمسٍ او بني منافِ
والخزُّ مشتاق الى الافوافِ

(قال) فضحك وادخل يده فيها ونزعها ورمى بها اليَّ وقال : خذها فلا بارك الله لك فيها . (قال محمد بن هشام) فلما افضت الخلافة الى السفاح نقلها اليهِ وغيرها وجعلها فيهِ يعنى الارجوزة الدالية فهي الآن تنسب في شعره الى السفاح

ابو نخيلة وابو العباس

اخبر ابو الفياض سوار بن ابي شراعة قال: حدثني ابي عبد الصمد المعذل قال : دخل ابو نخيلة على ابي العباس . (قال) وكان لا يجترئ عليهِ مع ما يعرفه بهِ من اصطناع مسلمة اياه وكثرة مديحه لبني مروان حتى علم انهُ قد عفا عن اكثر محلًا من القوم واعظم جرماً منهُ . فلما وقف بين يديه سلَّم عليه ودعا لهُ واثنى . ثم استأذنه في الانشاد . فقال لهُ: ومَن انت . قال: عبدك يا امير المؤمنين ابو نخيلة الحماني . فقال : لا حياك الله ولا قرب دارك يا نضو السوء . ألست القائل في مسلمة بن عبد الملك بالامس :

أمسلم يا من ساد كلَّ خليفة   ويا فارس الهيجا ويا قمر الارضِ

والله لولا اني قد امنت نظراءك لما ارتدَّ اليك طرفك حتى اخضبك بدمك . لا حاجة لنا في شعرك انا تنشدنا فضلات بني مروان . فقال : يا امير المؤمنين

كنا اناساً نرهب الاملاكا   اذ ركبوا الاعناق والافلاكا
قد ارتجينا زمناً اباكَ   ثم ارتجينا بعدهُ اخاكَ
ثم ارتجينا بعدهُ اياكَ   وكان ما قلت لمن سواكا
زوراً فقد كفَّر هذا ذاكا

فتبسَّم ابو العباس ثم قال لهُ : أنت شاعر وطالب خير وما زال الناس يمدحون الملوك في دولهم . والتوبة تكفّر الخطيئة . والظفر يزيل الحقد . وقد عفونا عنك واستأنفنا الصنيعة لك . وأنت الآن شاعرنا . فاتَّسم بذلك فيزول عنك ميسم بني مروان . فقد كفَّر هذا ذاك كما قلت

تحضيض ابي نخيلة المنصورَ على تولية المهدي العهدَ

اخبر عبد الله بن ابي سليم مولى عبد الله بن الحرث قال : بينا انا اسير مع ابي الفضل (يعني سليمان بن عبد الله) وحدي بين الحيرة والكوفة وهو يريد المنصور وقد همَّ بتولية المهدي العهد وخلع عيسى بن موسى وهو يروض ذاك اذا هو بابي نخيلة الشاعر ومعهُ ابنان لهُ وعبد وهم يحملون متاعه . فقال لهُ : يا أبا نخيلة ما هذا الذي أرى . قال : كنت نازلًا على القعقاع بن معبد احد ولد معبد بن زرارة . فقلت شعراً فيما عزم عليهِ امير المؤمنين من تولية المهدي العهد ونزع عيسى بن موسى فسألني التحوُّل عنهُ لئلاَّ يناله مكروه من عيسى اذ كان صنيعته . فقال سليمان : يا عبد الله اذهب بابي نخيلة فأنزلهُ منزلًا وأحسن نزله وردَّهُ . ففعلت . ودخل سليمان الى المنصور فأخبره الخبر . فلما كان يوم البيعة جاء بابي نخيلة فأدخله على المنصور . فقام فانشد الشعر على رؤوس الناس وهي قصيدته التي يقول فيها :

ليس وليُّ عهدنا بالاسعدِ   عيسى فزحلفها الى محمَّدِ
من عند عيسى معهدًا عن معهدِ   حتى تؤدّى من يدٍ الى يدِ

(قال) فاعطاه المنصور عشرة آلاف درهم. (قال) وبايع لمحمد بالعهد. فانصرف عيسى بن موسى الى منزله . (قال) فحدثني داود بن عيسى بن موسى قال : جمعنا ابي فقال : يا بنيَّ قد رأيتم تأخري فأيّما أحبّ اليكم ان يقال لكم يا بني المخلوع أو يقال لكم يا بني المفقود . فقلنا : لا بل يا بني المخلوع . فقال : وفقتم يا بنيّ . ومما قالهُ ابو نخيلة في قصيدته :

الى امير المؤمنين فاعمدِ   الى الذي يندى ولا يندى ندِ
سيري الى بحر البحار المزبدِ   الى الذي ان نفدت لم ينفد
اذ أثمدت اشراعها لم يثمدِ

ويقول في ذكر البيعة لمحمد بعد الابيات التي مضت في صدر الخبر :

فقد رضينا بالغلام الامردِ   وقد فرغنا غير ان لم نشهدِ
وغير انّ العقد لم يؤكدِ   فلو سمعنا قولك امددِ امددِ
كانت لنا كدعكة الورد الصدي   فناد للبيعة جمعًا نحشدِ
في يومنا الحاضر هذا أو غدِ   واصنع كما شئت وردّ يرددِ
وردّهِ منك رداء يرتدِ   فهو رداء السابق المقلَّدِ
وكان يروى انها كأن قدِ   عادت ولو قد نقلت لم تردد
اقول في كرى احاديث الغدِ   لله درّي من اخٍ ومنشدِ
لو نلت حظّ الحبشيّ الاسودِ (١)

حدث المدائني ان ابا نخيلة أظهر هذه القصيدة التي رواها الخدم

(١) يعني ابا دلامة

والخاصة وتناشدتها العامة. فبلغت المنصور فدعا بهِ وعيسى بن موسى عنده جالس عن يمينه فأنشده اياها وأنصت لهُ حتى سمعها الى آخرها . (قال ابو نخيلة) فجعلت أرى فيهِ السرور. ثم قال لعيسى بن موسى: ولئن كان عن رأيك لقد سررت عمك وبلغت من مرضاتهِ اقصى ما يبلغهُ الولد البار السار. فقال عيسى : لقد ضللت اذًا وما انا من المهتدين (قال) اخبرني ابو نخيلة : فلما خرجت لحقني عقال بن شبة فقال : اما أنت فقد سررت امير المؤمنين ولئن تمّ الامر فلعمري لتصيبنّ خيرًا ولئن لم يتمّ فابتغ نفقًا في الارض او سلّمًا في السماء. فقلت لهُ : « علقتْ معالقها وصرّ الجندبُ »

واخبر علي بن ابي نخيلة : ان ابا المنصور أمر أبا نخيلة ان يهرب الى خراسان فأخذهُ قطري وكتفه فاضجعه . فلما وضع السكّين على أوداجه قال : ايه ياخبيث ألست القائل : علقت معالقها وصرّ الجندب . الان صرّ جندبك . فقال : لعن الله ذاك جندبًا ما كان اشأم ذكره . ثم ذبحه قطري وسلخ وجههُ وألقى جسمه الى النسور واقسم لا يريم مكانه حتى تمزّق السباع والطيور لحمه . فاقام حتى لم يبقَ منهُ الّا عظامه ثم انصرف

عيينة بن حصن وعمرو بن معدي كرب

قدم عيينة بن حصن الكوفة فاقام بها اياما. ثم قال : والله ما لي بأبي ثور عهد منذ قدمنا هذا الغائط (يعني عمرو بن معد يكرب) اسرج لي يا غلام . فأسرج لهُ فرسًا انثى من خيله . فلما قرَّبها اليهِ قال لهُ : ويحك أرأيتني ركبت انثى في الجاهلية فأركبها في الاسلام . فاسرج لهُ حصانًا فركبه واقبل الى محلّة بني زُبيد . فسأل عن محلة عمرو فأُرشد اليها . فوقف ببابه ونادى : اي أبا ثور اخرج

الينا . فخرج اليهِ مؤتزرًا كأنما كسر وجُبر . فقال : أنعم صباحاً أبا مالك . فقال : أوليس قد ابدلنا الله تعالى بهذا : السلامُ عليكم . قال : دعنا مما لا نعرف . انزل فان عندي كبشًا سيّاحًا . فنزل فعمد الى الكبش فذبحه . ثم كشف عنه وعضاه والقاه في قدر جماع وطبخه حتى اذا ادرك جاء بجفنة عظيمة فثرد فيها فأكفأ القدر عليها . فقعدا فأكلاه . ثم قال لهُ : ايُّ الشراب أحبّ اليك أللبن أم ما كنا نتنادم عليه في الجاهلية . قال : أوليس قد حرّمها الله جلّ وعزّ علينا في الاسلام . قال : أنت اكبر سنًّا أم انا . قال : أنتَ . قال : فأنت اقدم اسلامًا ام انا . قال : انتَ . قال : فاني قد قرأت ما بين دفتي المصحف فوالله ما وجدت لها تحريمًا ألَا انه قال : فهل انتم منتهون . فقلنا : لا . فسكت وسكتنا . فقال لهُ : انت اكبر سنًّا وأقدم اسلامًا فجاءا فجلسا يتناشدان ويشربان ويذكران ايام الجاهلية حتى امسيا . فلما اراد عيينة الانصراف قال عمرو : لئن انصرف ابو مالك بغير حباء انهُ لوصمة عليّ . فأمر بناقة لهُ ارحبية كأنها حبيرة لجين فارتحلها وحملهُ عليها ثم قال : ياغلام هات المزود . فجاء بمزود فيهِ اربعة آلاف درهم فوضعها بين يديهِ . فقال : اما المال فوالله لاقبلتهُ . قال : والله انهُ لمن حباء عمر بن الخطاب رضي الله عنهُ . فلم يقبله عيينة وانصرف وهو يقول :

وانت لنا والله ذي العرش قدوةٌ	اذا صدّنا عن شربها المتكلّفُ
جُزيتَ ابا ثور جزاء كرامة	فنعم الفتى المزدار والمتضيّفُ
قريتَ فاكرمت القرى وافدتنا	تحية علم لم تكن قطُّ تُعرفُ
وقلتَ حلالٌ ان تدير مدامة	كلون انعقاق البرق والليل مسدفُ
وقدّمت فيها حجّة عربية	تردُّ الى الانصاف من ليس ينصفُ

يقول ابو ثور أُحلّ حرامها	وقول ابي ثور أسدّ وأعرفُ(١)

ابو حية النميري

ابو حية الهيثم بن الربيع شاعر مجيد مقدم من مخضرمي الدولتين الامويّة والعباسيّة وقد مدح الخلفاء فيهما جميعًا . وكان فصيحًا مقصدًا راجزًا من ساكني البصرة . وكان اهوج جبانًا بخيلًا كذابًا معروفًا بذلك اجمع . وكان ابو العلاء يقدمهُ . حدّث عبد الرحمن قال : سمعت عمي يقول : ابو حية في الشعراء كالرجل الربعة لا يعدُّ طويلًا ولا قصيرًا

اخبر ابراهيم بن ايوب عن ابي قتيبة قال : كان لابي حية سيف يسميهِ لعاب المنية ليس بينهُ وبين الخشبة فرق . وكان من اجبن الناس . (قال) فحدّثني جارٌ لهُ قال : دخل ليلة الى بيته كلب فظنهُ لصًّا . فاشرفت عليهِ وقد انتضى

(١) هكذا ورد في كتاب الاغاني . وجاء في الصفحة ٦٢٣ و ٦٢٤ من المجلد الثاني في باب حدّ الشرب من كتاب كفاية شرح الهداية المطبوع بكلكتّه (لمحمود بن عبيد الله بن محمود تاج الشريعة مؤلف الوقاية) ما نصهُ : « قوله : (ومن سكر من النبيذ حُدَّ) اي النبيذ الذي غلا واشتدّ . فاسم النبيذ يقع على نبيذ التمر والزبيب . فما دام حلوًا يحلّ شربه . واذا غلا واشتدّ وقذف بالزبد يُحرّم . واذا طبخ ادنى طبخة يحلّ شربه ما دام حلوًا . واذا غلا واشتدّ وقذف بالزبد على قول ابي حنيفة رحمة الله عليهِ وقول ابي يوسف رحمهُ الله الآخر يحلّ شربهُ ما دون السكر . وعند محمد والشافعيّ رحمها الله لا يحلّ » . وفي مقدمة ابن خلدون (الصفحة ١٤و١٦) بحروفه : « واما ما نُموّه بهِ الحكاية من معاقرة الرشيد الخمر واقتران سكره بسكر الندمان فحاشا لله ما علمنا عليهِ من سوء .... وحالُ ابن اكثم والمامون فى ذلك من حال الرشيد . وشرابهم انما كان النبيذ ولم يكن محظورًا عندهم واما السكر فليس من شأنهم» هذا ولا حاجة الى القول ان السكر مأثمة يحرّمها العقل فضلًا عن الدين

سيفه لعاب المنية وهو واقف في وسط الدار وهو يقول : ايها المغترّ بنا والمجترئ علينا بئس والله ما اخترت لنفسك . خير خليل . وسيف صقيل . لعاب المنيّة الذي سمعت بهِ . مشهورة ضربته . لا تخاف نبوته . اخرج بالعفو عنك قبل ان ادخل بالعقوبة عليك . اني والله ان ادعُ قيسًا اليك لا تقم لها . وما قيس . تملأ والله الفضاء خيلًا ورجلًا . سبحان الله ما اكثرها واطيبها . فبينــا هو كذلك اذا الكلب قد خرج . فقال : الحمد لله الذي مسخك كلبًا وكفاني حربًا

وحدّث عبد الله بن مسلم قال : كان ابو حية النميري من اكذب الناس . فحـدث يومًا انهُ يخرج الى الصحراء فيدعو الغربان فتقع حوله فيأخذ منها ما شاء . فقيل لهُ : يا أبا حية أفرأيت ان اخرجناك الى الصحراء فدعوتها فلم تأتك فماذا تصنع . قال : ابعدها الله اذًا . (قال) وحدث يومًا قال : عنّ لي ظبي يومًا فرميتهُ . فراغ عن سهمي . فعارضهُ السهم . ثم راغ فعـارضه . فما زال والله يروغ ويعارضه حتى صرعه ببعض الجبانات

عبد الله بن فضالة وعبد الله بن الزبير

حدّث ابن غزالة قال : اتى عبد الله بن فضالة بن شريك الوالبي ثم الاسديّ من بني اسد بن خزيمة عبـد الله بن الزبير فقـال : نفدت نفقتي ونقبت راحلتي . قال : احضرها . فاحضرها . فقال : اقبل بها ادبر بها . ففعل . فقال : ارقعها بِسِبتٍ واخصفها بهُلبٍ وأنجد بهـا يبرد خفُّها وسِر البردين تصحُّ . فقال ابن فضالة : اني أتيتكَ مستحملًا ولم آتك مستوصفًا . فلعن الله

ناقة حملتني اليك . قال ابن الزبير : انَّ وراكبها (١) . فانصرف عنهُ ابن فضالة وقال :

اقول لغلمـتي شـدوا ركابي ... اجاوز بطن مكة في سوادِ
فما لي حين اقطع ذات عرقٍ ... الى ابن الكاهلية من معـادِ
سيبعد بيننـا نصُّ المطـايا ... وتعليـق الاداوي والمـزادِ
وكل معبـد قد اعلمتهُ ... منـاسمهنَّ طـلّاعَ النجادِ
ارى الحاجات عند ابي خُبَيبٍ (٢) ... نُكدن ولا اميّة بالبـلادِ
من الاعياص (٣) او من آل حربٍ ... أغرُّ كغرّة الفرس الجوادِ

جود سعد بن العاص

حدّث ابو هارون المدائني قال : كان الرجل يأتي سعيد بن العـاص يسألهُ فلا يكون عنده فيقول ما عندي ولكن اكتبُ عليَّ بهِ . فيكتب عليـهِ كتابًا فيقول : أتروني اخذت منهُ ثمن هذا ولكن يجيءُ فيسألني فيتزو دم وجههِ في وجهي فاكره ان أردّهُ . فاتاهُ مولًى لقريش بابن مولاة وهو غلامٌ

(١) قال اليزيدي : « انَّ » هاهنا بمعنى نعم . كانهُ اقرار بما قال . ومثـله قول ابن قيس الرقيّات :

وَيَقُلْنَ شَيبٌ قـد علا ... كَ وقد كبرتَ فقلت إنَّه

(٢) ابو خُبيب عبد الله بن الزُبير كان يكنى ابا بكر . وخُبيبٌ ابن لهُ هو اكبر ولده . ولم يكُ يكنيهِ بهِ الّا من ذمَّهُ يجعله كاللقب لهُ

(٣) الاعيـاص العاص وابو العـاص والعيص وابو العيص والعويص . ومنهم العنابس وهم حرب وابو حرب وسفيان وابو سفيـان وعمروٌ وابو عمروٍ . وانما سموا العنابس لانهم ثبتـوا مع اخيهم حرب بن أُميَّة بعُكاظ وعقلوا انفسهم وقاتـلوا قتالاً شديدًا فشبّهوا بالأسد والأُسد يقال لها العنابس وواحدها عنبسة

فقال : ان أبا هذا هلك وقد اردنا تزويجه . فقال : ما عندي ولكن خذ في امانتي . فلما مات سعيد بن العاص جاء الرجل الى عمرو بن سعيد فقال: اني اتيت اباك بابن فلان واخبره القصة . فقال له عمرو : فكم أخذت . قال : عشرة آلاف . فأقبل عمرو على القوم فقال : من رأى اعجز من هذا . يقول له سعيد : خذ ما شئت في امانتي فيأخذ عشرة آلاف . لو أخذ مائة الف لاديتها عنهُ

واخبر عروة بن الزبير انَّ سعيد بن العاص لما حضرتهُ الوفاة وهو في قصرهِ قال له ابنهُ عمرو : لو نزلت الى المدينة . فقال : يا بنيَّ ان قومي لن يضنُّوا عليَّ بان يحملوني على رقابهم ساعة من نهارٍ . فاذا انا متُّ فآذنهم . فاذا واريتني فانطلق الى معاوية فانعني لهُ وانظر في دَيني واعلم انهُ سيعرض عليك قضاءه فلا تفعل واعرض عليهِ قصري هذا فاني انما اتخذتهُ نزهة وليس بمالٍ . فلما مات آذن بهِ الناس . فحملوهُ من قصره حتى دفن بالبقيع ورواحل عمرو بن سعيد مناخةٌ . فعزَّاه الناس على قبره وودَّعوه . فكان اوَّل من نعاهُ لمعاوية . فتوجع وترحم عليهِ ثمَّ قال : هل ترك ديناً . قال : نعم ثلاث مائة الف . قال : هي عليَّ . قال : قد ظنَّ ذلك وأمرني ان لا اقبله منك وأن اعرض عليك بعض مالهِ فتبتاعهُ فيكون قضاء دينهِ منهُ . قال : فاعرض عليَّ . قال : قصره بالعَرصة . قال : قد اخذتهُ بدينه . قال : هو لك على ان تحملها الى المدينة وتجعلها بالوافية . قال : نعم . فحملها لهُ الى المدينة وفرَّقها في غرمائه وكان اكثرها عداتٍ . فاتاه شابٌّ من قريش بصكٍّ فيهِ عشرون الف درهم بشهادة سعيد على نفسهِ وشهادة مولًى لهُ عليهِ . فارسل الى المولى فاقرأه الصكَّ . فلما قرأهُ بكى وقال : نعم هذا خطُّهُ وهذه شهادتي عليهِ . فقال لهُ عمرو : من اين يكون لهذا الفتى عليهِ عشرون الف درهم وانما هو صعلوك من

صعاليك قُريش . قال : اخبرك عنهُ . مرَّ سعيدٌ بعد عزلهِ فاعترض لهُ هذا الفتى فمشى لهُ حتى صار الى منزله . فوقف لهُ سعيد فقال لهُ : أَلكَ حاجة . قال : لا الَّا انني رأيتك تمشي وحدك فأحببت ان اصل جناحك . فقال : ائتني بصحيفة . فأتيتهُ بهذه . فكتب لهُ على نفسه هذا الدين وقال : انك لم تصادف عندنا شيئاً فخذ هذا فاذا جاءنا شيء فائتنا . فقال عمرو : لا جرم والله لا ياخذها الَّا بالوافية . اعطهِ اياها . فدفع اليهِ عشرين الف درهم وافية

والى قصر سعيد بن العاص يشير ابو قطيفة الشاعر في قصيدة لهُ . حدَّث محمد بن يونس بن الوليد قال : كان ابن الزبير قد نفى ابا قطيفة مع من نفاه من بني امية عن المدينة الى الشام . فلما طال مقامه بها قال :

ليت شعري واين منيَ ليتٌ	أعلى العهد يلبن فبرامُ
ام كعهدي العقيق ام غيَّرتهُ	بعدي الحادثات والايامُ
وبأهلي بُدّلتُ عكّاً ولخماً	وجُذاماً وأين مني جذامُ
وتبدَّلتُ من مساكن قومي	والقصور التي بها الآطامُ
كلَّ قصرٍ مشيَّدٍ ذي أواسٍ	يتغنَّى على ذراهُ الحمامُ (١)
أَقرِ مني السلام ان جئت قومي	وقليلٌ لهم لديَّ السلامُ
اقطع الليل كلهُ باكتئابٍ	وزفيرٍ فما اكاد انامُ

(١) يَلْبَنٌ وبرام موضعان . والآطام جمع أُطم وهي القصور والحصون . وقال الاصمعيّ : الآطام الدور المسطَّحة السقوف . وفي رواية ابن عمَّار : «ذي آواش» كانهُ اراد بهِ ان هذه القصور موشيَّة او منقوشة . ورواه اسحاق آواس . وقال : واحدها اسي وهو الاصل . (قال) ويقال : فلان في أُسيَّهِ اي في اصله . والأُسيُّ والاساس واحد . وذُرى كل شيء اعلاه . وهو جمع واحدته ذروة

نحو قومي اذ فرّقت بيننا الدارُ   وحالت عن قصدها الاحلامُ
خشيةً ان يصيبهُ عنت الدهر   وحربٌ يشيب فيها الغلامُ
فلقد حان ان يكون لهذا   الدهر عنا تباعدٌ وانصرامُ(١)

فلما بلغ ابن الزبير شعر ابي قطيفة هذا قال : حنَّ والله ابو قطيفة وعليه السلام ورحمة الله . من لقيه فليخبره انهُ آمنٌ فليرجع . فأُخبر بذلك . فانكفأ الى المدينة راجعًا فلم يصل حتى مات

معبد في بعض حمامات الشام

قال معبد: ارسل اليَّ الوليد بن يزيد فاشخصت اليهِ . فبينا انا يومًا في بعض حمامات الشام اذ دخل عليَّ رجلٌ لهُ هيبة ومعهُ غلمانٌ لهُ . فاطّلى واشتغل بهِ صاحب الحمام عن سائر الناس . فقلت : والله لئن لم أُطلع هذا على بعض ما عندي لأكوننَّ بزجر الكلب . فاستدبرتهُ حيث يراني ويسمع مني . ثم ترنمت . فالتفت اليَّ وقال للغلمان : قدموا اليهِ ما هنا . فصار جميع ما كان بين يديه عندي . ثم سألني ان اسير معهُ الى منزله فاجبتهُ . فلم يدع من البرّ والاكرام شيئًا الّا فعله . ثم وضع النبيذ فجعلت لا آتي بحسنٍ الّا خرجت الى ما هو احسن منهُ . وهو لا يرتاح ولا يحفل لما رأى مني . فلما طال عليهِ امري قال : يا غلام شيخنا شيخنا . فأُتي بشيخ . فلما رآهُ هشَّ اليه . فاخذ الشيخ العود ثم اندفع يغني :

(١) حدَّث المدائني ان امرأة من اهل المدينة تزوَّجها رجل من اهل الشام . فخرج بها الى بلده على كرهٍ منها . فسمعت منشدًا يُنشد شعر ابي قطيفة هذا . فشهقت شهقة وخرّت على وجهها ميتة

سِلَّوْرٌ (١) في القدر ويلي علَوَهْ   جاء القط اكلهُ ويلي علَوَهْ

(قال) فجعل صاحب المنزل يصفق ويضرب برجليه طربًا وسرورًا . (قال) ثم غنّاه

ويرميني الخليل بالدرّاقن (٢)   ويحسبني الخليل لا اراهُ

(قال) فكاد ان يخرج من جلده طربًا . (قال) وانسللت منهم فانصرفت ولم يعلم بي . فما رأيت مثل ذلك اليوم قط غناء اضيع ولا شيخًا اجهل

الوليد بن عبد الملك وابن سُريج

اخبر الحسين بن يحيى عن حماد عن ابيهِ عن جدّه قال : كتب الوليد بن عبد الملك الى عامل مكة أن : اشخص اليَّ ابن سريج . فاشخصه . فلما قدم مكث اياماً لا يدعو بهِ ولا يلتفت اليهِ . ثم انهُ ذكره وطرب لهُ . فقال : ويحكم اين ابن سريج . قالوا : حاضر . قال : عليَّ بهِ . قالوا : اجب امير المؤمنين . فتهيأ وتلبس واقبل حتى دخل على الوليد فسلّم . فاشار اليهِ ان : اجلس . فجلس بعيدًا . فاستدناهُ فدنا حتى كان قريبًا منهُ . فقال : ويحك يا عبيد قد بلغني عنك ما حملني على الوفادة من كثرة ادبك وجودة اختيارك مع ظرف لسانك وحلاوة منطقك . قال : جُعلت فداك يا امير المؤمنين تسمع بالمَعِيديّ . قال : اني لأرجو أن تكون أنت ذاكَ . هات ما عندك . واندفع ابن سريج يغني بشعر الاحوص « امنزلتَي سلمى على القدم اسلما » . حتى قال :

(١) السلّور السمك الجريّ بلغة اهل الشام
(٢) الدرّاقن اسم الخوخ بلغة اهل الشام

فدعها واخلف للخليفة مدحة — تزل عنك بؤسى او تزيدك انعما
فانَّ بكفيهِ مفاتيح رحمةٍ — وغيث حيًا تحيي بهِ الناس مذ هما
امامٌ اتاه الملك عفوًا ولم يُثب — على ملكهِ مالًا حرامًا ولا دما
تخيَّرهُ ربُّ العباد لخلقهِ — وليًّا وكان الله بالناس اعلما
فلما قضاه الله لم يدعُ مسلمًا — لبيعتهِ الَّا اجاب وسلَّما
ينال الغنى والعزَّ من نال ودَّهُ — ويوهب موتًا عاجلًا من تشاما

فقال الوليد : احسنت واحسن الاحوص . ثم قال : يا عبيد هيهِ . فغنَّى بشعر عديّ بن الرِقاع العاملي يمدح الوليد :

طار الكرى وألمَّ الهمّ فاكتنعا — وحيل بيني وبين النوم فامتنعا
كان الشباب قناعًا استكنُّ بهِ — وأستظلُّ زمانًا ثُمّتَ انقشعا
واستبدل الرأس شيبًا بعد داجيةٍ — فينانةٍ ما ترى في صدغها نزعا

الى ان قال :

صلى الذي الصلوات الطيبات له — والمؤمنون اذا ما جمَّعوا الجمعا
على الذي سبق الاقوام ضاحيةً — بالاجر والحمد حتى صاحباه معا
هو الذي جمع الرحمن امَّتهُ — على يديهِ وكانوا قبلهُ شيعا
عذنا بذي العرش ان نحيا ونفقده — وان نكون لراعٍ بعدهُ تبعا
ان الوليد امير المؤمنين لهُ — ملكٌ عليهِ أعان الله فامتنعا
لا يمنع الناس ما اعطى الذين لهم — بهِ عبيدٌ لا يعطون من منعا

فقال لهُ الوليد : صدقتَ يا عبيد انَّى لكَ هذا . قال : هو من عند الله . قال الوليد : لو كان غير هذا لاحسنت ادبك . قال ابن سريج : ذلك فضل الله يؤتيهِ من يشاء . قال الوليد : يزيد في الخلق ما يشاء . قال ابن سريج :

هذا من فضل ربي ليبلوني أ أشكر ام اكفر . قال الوليد : علمك والله اكثر واعجب اليَّ من غنائكَ . غنني . فغناه بشعر عديّ بن الرقاع يمدح الوليد :

عرف الديار توهمًا فاعتادها — من بعد ما شمل البلا ابلادها

حتى قال :

صلى الاله على امرئ ودَّعتهُ — واتمَّ نعمتهُ عليهِ وزادها
واذا الربيع تتابعت انواؤهُ — فسقى خناصرة الاحصّ وجادها
نزل الوليد بها فكان لاهلها — غيثًا اغاث انيسها وبلادها
أَوَلا ترى ان البريَّة كلها — القت خزائمها اليهِ فقادها
ولقد اراد الله اذ ولَّاكها — من امَّةٍ اصلاحها ورشادها
اعمرتَ ارض المسلمين فاقبلت — وكففت عنها من اراد فسادها
واصبت في ارض العدوّ مصيبةً — عمت اقاصي طرفها ونجادها
ظفرًا ونصرًا ما تناول مثلهُ — احدٌ من الخلفاء كان ارادها
واذا نشرت لهُ الثناء وجدتهُ — جمع المكارم طِرفها وتِلادها

فاشار الوليد الى بعض الخدم . فغطوهُ بالخلع ووضعوا بين يديهِ كيسة الدنانير وبدَر الدراهم . ثم قال الوليد : أمولى نوفلِ بن الحرث لقد اوتيتَ امرًا جليلًا . فقال ابن سريج : وانت يا امير المؤمنين فقد آتاك الله ملكًا عظيمًا وشرفًا عاليًا وعزًّا بسط يدك فيهِ فلم يقبضه ولا يفعل ان شاء الله . فأدام الله لكَ ما ولَّاك . وحفظك فيما استرعاك . فانك اهل لما اعطاك ولا نزعهُ منك اذ رآك موضعًا لما استرعاك . قال : انوفليٌّ وخطيب ايضًا . قال ابن سريج : عنك نطقتُ . وبلسانك تكلمتُ . وبعزك اثنيت

مفاخرة اسحق الموصلي اباه بالغناء

اخبر اسحق قال : لما صنع ابي لحنه في « ليت هندًا » خاصمتهُ وعبتهُ في صنعته وقلت لهُ : امّا بازائكَ من ينتقد انفاسك ويعيب محاسنك وانت لا تفكر تجيء الى صوت قد عمل فيهِ ابن سريج لحنًا فتعارضه بلحن لا يقاربه. والشعر اوسع من ذلك. فدع ما قد اعتورتهُ صناعة القدماء وخذ في غيره. فغضب. وكنت لا ازال افاخره بصنعتي واعيب ما يعاب من صنعته. فان قبل مني فذلك. وان غضب داريتهُ وترضّيته . فقال لي: ما يعلم الله اني أدعك او تفاخرني بخير صوت صنعته في الثقيل الثاني في طريقة هذا الصوت . فلما رأيت الجدّ منهُ اخترت صنعتي في هذا اللحن :

قل لمن صدّ عاتبا   ونأى عنك جانبا
قد بلغتَ الذي اردتَ وان كنت لاعبا

وكان ما تجاريناه ونحن نتساير خارجين الى الصحراء نقطع فضلة خمارنا . فقال : من تحبّ ان يحكم بيني وبينك . فقلت : من ترى ان يحكم ههنا. قال : أوّل من يطلع اغنيه لحني وتغنيه لحنك . فطمعت فيهِ وقلت : نعم . فأقبل شيخ نبطيّ يحمل شوكًا على حمار لهُ . فأقبل عليهِ ابي فقال : اني وصاحبي هذا قد تراضينا بكَ في شيء . قال : واي شيء هو . فقلنا : زعم كل واحد منا انهُ احسن غناء من صاحبه . فتسمع مني ومنهُ وتحكم . فقال : على اسم الله . فبدأ ابي فغنّى لحنه . وتبعته فغنيت لحني . فلما فرغت اقبل عليَّ فقال لي: قد حكمت عليك عافاك الله . ومضى . فلطمني ابي لطمة ما مرَّ بي مثلها منهُ

قط . وسكتُّ فما اعدت عليهِ حرفًا ولا راجعتهُ بعد ذلك في هذا المعنى حتى افترقنا

نصيحة جعفر بن يحيى لابراهيم الموصلي

حدّث حماد عن ابيهِ قال : قال ابي : قال جعفر بن يحيى يومًا وقد علم ان الرشيد اذن لي وللمغنين في الانصراف يومئذٍ صرْ اليَّ حتى اهبك شيئًا حسنًا . فصرت اليهِ . فقال لي : ايما احبّ اليك أهب لكَ الشيء الحسن الذي وعدتك بهِ او ارشدك الى شيء تكسب به الف الف درهم . فقلت : بل يرشدني الوزير اعزّهُ الله الى هذا الوجه فانهُ يقوم مقام اعطائهِ اياي هذا المال. فقال : ان امير المؤمنين يحفظ شعر ذي الرمّة حفظ الصبا ويحبه ويؤثره . فاذا سمع فيهِ غناء اطربه اكثر مما يطربه غيره مما لا يحفظ شعره . فاذا غنيتهُ فاطربتهُ وأمر لكَ بجائزة فقم على رجليك قائمًا وقبل الارض بين يديه وقل لهُ : حاجة لي غير هذه الجائزة اريد ان اسألها امير المؤمنين وهي حاجة تقوم عندي مقام كل فائدة ولا تضرُّه ولا ترزؤه . فانهُ سيقول لكَ : ايُّ شيء حاجتك . فقل : قطيعة تقطعنيها سهلة عليك لا قيمة لها ولا منفعة فيها لاحد . فاذا اجابك الى ذلك فقل لهُ : تقطعني شعر ذي الرمّة أغنّي فيهِ ما اختاره وتحظر على المغنين جميعًا ان لا يداخلوني فيهِ . فاني احبُّ شعره وأستحسنه فلا احبُّ ان ينغصه عليَّ احد منهم . وتوثّق منهُ في ذلك . فقبلت ذلك القول منهُ . وما انصرفت من عنده بعد ذلك الّا بجائزة . وتوخيت وقت الكلام في هذا المعنى حتى وجدتهُ فقمت فسألت كما قال لي وتبينت السرور في وجههِ

وقال : ما سألت شططاً وقال : اقطعتك سؤلتك . فجعلوا يتضاحكون من قولي ويقولون : لقد استضخمت القطيعة . وهو ساكت . فقلت : يا امير المؤمنين اتأذن لي في التوثُّق . قال : توثق كيف شئت . فقلت : بالله وبحق رسوله وبتربة امير المؤمنين المهدي الّا جعلتني على ثقة من ذلك بانك لا تعطي احداً من المغنين جائزة على شيء يغنيهِ في شعر ذي الرمة فان ذلك وثيقتي . فحلف مجتهداً لهم لئن غناه احد منهم في شعر ذي الرمة لا أثابه بشيء ولا برّه ولا سمع غناءه . فشكرت فعله وقبلت الارض بين يديه وانصرفنا . فغنيت مائة صوت وزيادة عليها في شعر ذي الرمة . فكان اذا سمع منها صوتاً طرب وزاد طربه ووصلني فاجزل . ولم ينتفع بهِ احد منهم غيري . فاخذت منهُ والله بها الف الف درهم والف الف درهم

غنى ابراهيم الموصلي وجوده

قال حماد : قال لي ابي : نظرت الى ما صار الى جدك من الاموال والغلّات وثمن ما باع من جواريهِ فوجدتهُ اربعة وعشرين الف الف درهم (١) سوى ارزاقه الجارية وهي عشرة آلاف درهم (٢) في كل شهر وسوى غلّات ضياعه وسوى الصلات النزرة التي لم يحفظها . ولا والله ما رأيت أكمل مروءة منه . كان لهُ طعام معدّ في كل وقت . فقلت لابي : ا كان يمكنه ذلك . فقال : كان لهُ في كل يوم ثلاث شياه واحدة مقطعة في القدور واخرى

(١) اعني ثمانمائة الف فرنك وستة عشر الف الف فرنك

(٢) مايساوي سبعة آلاف فرنك

مسلوخة ومعلقة واخرى حيّة . فاذا اتاه قوم طعموا ما في القدور . فاذا فرغت قُطِعت الشاة المعلقة ونصبت القدور وذبحت الحية فعلقت وأُتي باخرى فجعلت وهي حية في المطبخ . وكانت وظيفتهُ لطعامه وطيبه وما يتخذ لهُ في كل شهر ثلاثين الف درهم سوى ما كان يجري وسوى كسوته . ولقد اتفق عندنا مرةً من الجواري الودائع لاخوانه ثمانون جارية ما منهنّ واحدة الّا ويجري عليها من الطعام والكسوة والطيب مثل ما يجري لاخصّ جواريه . فاذا رُدّت الواحدة منهنّ الى مولاها وصلها وكساها . ومات وما في ملكه الّا ثلاثة آلاف دينار وعليهِ من الدين سبعمائة دينار قضيت منها

كبر نفس ابراهيم الموصلي ونُبله

اخبر مخارق قال : اتى ابراهيم الموصلي محمد بن يحيى بن خالد في يوم مهرجان . فسألهُ محمد ان يُقيم عنده . فقال : ليس يمكنني لانّ رسول امير المؤمنين قاعد . قال : فتمرّ بنا اذا انصرفت ولك عندي كل ما يُهدى اليّ اليوم . فقال : نعم . وترك في المجلس صديقاً لهُ يحصي ما يبعث اليهِ . (قال) فجاءت هدايا عجيبة من كل ضرب . (قال) وأُهدي اليهِ تمثال فيل من ذهب عيناه ياقوتتان . فقال محمد للرجل : لا تخبره بهذا حتى نبعث بهِ الى فلانة . ففعل . وانصرف ابراهيم اليهِ فقال : احضرني ما أُهدي لك . فاحضره ذلك كلهُ الّا التمثال وقال : لا بدّ من صدقك كان من الامر كذا وكذا . فقال : لا الّا على الشريطة وكما ضمنت . فجيء بالتمثال . فقال ابراهيم : اليس الهدية لي فأعمل فيها ما اريد . قال : بلى . قال : فردّ التمثال على الجارية . وجعل

يفرق الهدايا على جلساء محمد شيئاً شيئاً وعلى جميع من حضر من اخوانه
وغلمانه وعلى من في دور الخدام من جواريه حتى لم يبق منها شيء . ثم اخذ
من المجلس تفاحتين لما اراد الانصراف وقال : هذا اليَّ . وانصرف . وجعل
محمد يعجب من كبر نفسه ونبله

ابن جامع في دار الرشيد

حدث اسمعيل بن جامع السهمي قال : ضمني الدهر ضماً شديداً بمكة
فانتقلت منها بعيالي الى المدينة . فاصبحت يوماً وما املك الا ثلاثة دراهم . فهي
في كمي اذا انا بجارية حمراء على رقبتها جرة تريد الرُكِي تسعى بين يديَّ وتترنم
بصوت شجي تقول :

شكونا الى احبابنا طول ليلنا — فقالوا لنا ما اقصر الليل عندنا
وذاك لانَّ النوم يغشى عيونهم — سراعاً وما يغشى لنا النوم اعينا
فلو انهم كانوا يلاقون مثل ما — نلاقي لكانوا في المضاجع مثلنا

(قال) فأخذ الغناء بقلبي ولم يدرُ لي منهُ حرف . فقلت : يا جارية
لقد اعجبني والله حسن غنائكِ فلو شئتِ اعدتِ . قالت : حباً وكرامة .
ثم اسندت ظهرها الى جدار قرب منها ورفعت احدى رجليها فوضعتها على
الاخرى ووضعت الجرة على ساقها ثم انبعثت تغنيه . فوالله ما دار لي منهُ
حرف . فقلت : احسنتِ فلو شئتِ اعدتيه مرة اخرى . ففطنت وكلحت وقالت :
ما اعجب امركم احدكم لا يزال يجيءُ الى الجارية عليها الضريبة فيشغلها . فضربت
بيدي الى الثلاثة الدراهم فدفعتها اليها وقلت : اقيمي بها وجهكِ اليوم

الى ان نلتقي . (قال) فاخذتها كالكارهة وقالت : انت الآن تريد ان تأخذ
مني صوتاً احسبك ستأخذ بهِ الف دينار والف دينار والف دينار . (قال)
وانبعثت تغني . فاعملت فكري في غنائها حتى دار لي الصوت وفهمته
وانصرفت مسروراً الى منزلي اردده حتى خفَّ على لساني . ثم اني خرجت
اريد بغداد فدخلتها . فنزل بي المكاري على باب محول . فبقيت لا ادري اين
اتوجه ولا من اقصد . فذهبت امشي مع الناس حتى اتيت الجسر فعبرت معهم
ثم انتهيت الى شارع المدينة فرأيت مسجداً بالقرب من دار الفضل بن الربيع
مرتفعاً . فقلت : مسجد قوم سراة . فدخلتهُ وحضرت صلاة المغرب واقمت
بمكاني حتى صليت العشاء الآخرة على جوع وتعب . وانصرف اهل المسجد وبقي
رجل يصلي خلفهُ جماعة خدم وفحول ينتظرون فراغهُ . فصلَّى ملياً . ثم انصرف
فرآني فقال : احسبك غريباً . قلت : اجل . قال : فمتى كنت في هذه
المدينة . قلت : دخلتها آنفاً وليس لي بها منزل ولا معرفة وليست صناعتي
من الصنائع التي يُمَتُّ بها الى اهل الخير . قال : وما صناعتك . قلت : اتغنَّى .
(قال) فوثب مبادراً ووكل بي بعض من معهُ . فسألت الموكل بي عنهُ . فقال :
هذا سلام الابرش . (قال) واذا رسول قد جاء في طلبي . فانتهى بي الى
قصر من قصور الخلافة وجاوزني مقصورة الى مقصورة . ثم أُدخلت مقصورة
في آخر الدهليز ودعا بطعام . فاتيت بمائدة عليها من طعام الملوك . فاكلت حتى
امتلأت . فاني لكذلك اذ سمعت ركضاً في الدهليز وقائلاً يقول : أين الرجل .
قيل : هو هذا . قال : ادعوا لهُ بغسول وخلعة وطيب . ففعل ذلك بي .
فحملت على دابة الى دار الخليفة وعرفتها بالحرس والتكبير والنيران . فجاوزت
مقاصير عدَّة حتى صرت الى دار قوراء فيها اسرَّة في وسطها قد أُضيف

بعضها الى بعض . فامرني الرجل بالصعود فصعدت . واذا رجل جالس عن
يمينه ثلاث جوار في حجورهنّ العيدان وفي حجر الرجل عود . فرحب الرجل بي .
واذا مجالس حياله كان فيها قوم قد قاموا عنها . فلم ألبث ان خرج خادم من
وراء الستر فقال للرجل : تغنّ . فانبعث يغني بصوت لي وهو :

لم تمشِ ميلًا ولم تركب على قتب ولم ترَ الشمس الّا دونها الكللُ
تمشي الهوينا كأنّ الريح ترجعها مشي اليعافير في جيآتها الوهلُ

فغنّى بغير اصابة واوتار مختلفة ودساتين مختلفة . ثم عاد الخادم الى الجارية التي
تلي الرجل فقال لها : تغني . فغنت ايضًا بصوت لي كانت فيهِ احسن
حالًا من الرجل . وهو قوله :

لئِن مصر فاتتني بما كنت ارتجي واخلفني فيها الذي كنت آملُ
فما كل ما يخشى الفتى بمصيبه ولا كل ما يرجو الفتى هو نائلُ

ثم عاد الى الثانية . واحسبه اغفلها وما تغنت بهِ . ثم عاد الخادم الى
الجارية التي تليها فانبعثت تغني بصوت لحكم الوادي وهو:

تعيّرنا انّا قليل عديدنا فقلت لها ان الكرام قليلُ
وما ضرّنا انّا قليل وجارنا عزيز وجار الاكثرين ذليلُ
وانّا لقوم ما نرى القتل سبّةً اذا ما رأته عامرٌ وسلولُ
يقرّب حبُّ الموت آجالنا لنا وتكرهه آجالهم فتطولُ

(قال) وتوقعت مجيء الخادم اليّ فقلت للرجل : بأبي انت خذ العود فشدّ
وتر كذا وارفع الطبقة وحط دستان كذا . ففعل ما أمرتهُ . وخرج الخادم
فقال ليّ : تغني عافاك الله . فتغنيت بصوت الرجل الاول على غير ما غنّاه .
فاذا جماعة من الخدم يحضرون حتى استندوا الى الاسرّة وقالوا : ويحك

لمن هذا الغناء . قلت لي : فانصرفوا عني بتلك السرعة . وخرج اليّ الخادم
وقال : كذبت هذا الغناء لابن جامع . ودار الدور فلما انتهى الغناء اليّ
قلت للجارية التي تلي الرجل : خذي العود . فعلمت ما أريد فسوّت العود
على غنائها للصوت الثاني . فتغنيتُ بهِ . فخرجت اليّ الجماعة الاولى من الخدم
فقالوا : ويحك لمن هذا . قلت : لي . فرجعوا وخرج الخادم فتغنيت بصوت
لي فلا يعرف الّا بي . وسقوني فتزيدت وهو :

وما لي لا ابكي واندب ناقتي اذا صدر الرعيان ورد المناهل
وكنت اذا ما اشتدّ شوقي رحلتها فسارت بمحزونٍ كثير البلابلِ

(قال) فتزلزلت والله الدار عليهم . وخرج الخادم فقال : ويحك لمن هذا
الغناء . قلت : لي . فرجع ثم خرج فقال : كذبت هذا غناء ابن جامع .
فقلت : فانا اسمعيل ابن جامع . فما شعرت الّا وامير المؤمنين وجعفر بن يحيى
قد اقبلا من وراء الستر الذي كان يخرج منهُ الخادم . فقال لي الفضل بن
الربيع : هذا امير المؤمنين قد اقبل اليك . فلما صعد السرير وثبت قائمًا
فقال لي : ابن جامع . قلت : ابن جامع جعلني الله فداك يا امير المؤمنين .
قال : ويحك متى كنت في هذه البلدة . قلت : آنفًا دخلتها في الوقت الذي
علم بي امير المؤمنين . قال : اجلس ويحك يا ابن جامع . ومضى هو وجعفر
فجلسا في بعض تلك المجالس وقال لي : ابشر وابسط املك . فدعوت لهُ .
ثم قال : غني يا ابن جامع : فخطر بقلبي صوت للجارية الحميراء . فأمرت الرجل
باصلاح العود على ما اردت من الطبقة . فعرف ما اردت فوزن العود وزنًا
وتعاهده حتى استقامت الاوتار واخذت الدساتين مواضعها وانبعثت أغني بصوت
للجارية الحميراء . فنظر الرشيد الى جعفر وقال : أسمعت كذا قط . فقال :

لا والله ما خرق مسامعي قطّ مثلهُ . فرفع الرشيد رأسهُ الى خادم بالقرب منهُ فدعا بكيس فيهِ الف دينار . فجاءَ بهِ فرمى بهِ اليَّ . فصيَّرتهُ تحت فخذي ودعوت لامير المؤمنين . فقال : يا ابن جامع رد على امير المؤمنين هذا الصوت . فرددتهُ وتزيَّدت فيهِ . فقال لهُ جعفر : يا سيدي أما تراه كيف يتزيد في الغناء هذا خلاف ما سمعناه اولاً وان كان الامر في اللحن واحداً . (قال) فرفع الرشيد رأسهُ الى ذلك الخادم فدعا بكيس فيهِ الف دينار . فجاءَني بهِ فصيَّرتهُ تحت فخذي . وقال : تغنَّ يا اسمعيل ما حضرك . فجعلت اقصد الصوت بعد الصوت مما كان يبلغني انهُ يشتري عليهِ الجواري فاغنيهِ . فلم ازل افعل ذلك الى ان عسعس الليل . فقال : اتعبناك يا اسمعيل هذه الليلة بغنائك فأَعد على امير المؤمنين الصوت (يعني صوت الجارية) . فتغنيت . فدعا الخادم وأمره فأَحضر كيساً ثالثاً فيهِ الف دينار . (قال) فذكرت ما كانت الجارية قالت لي فتبسَّمت . ولحظني فقال : ويحك مما تبسمت . فجثوت على ركبتي وقلت : يا امير المؤمنين الصدق منجاة . فقال لي بانتهار : قل . فقصصت عليهِ خبر الجارية . فلما استوعبهُ قال : صدقت قد يكون هذا . وقام . ونزلت من السرير ولا ادري اين اقصد . فابتدرني فرَّاشان فصارا بي الى دار قد أَمر بها امير المؤمنين ففُرشت وأُعدَّ فيها جميع ما يكون في مثلها من آلة جلساء الملوك وندمائهم من الخدم ومن كل آلة وخَوَل الى جوار ووصفاء . فدخلتها فقيرًا واصبحت من جلَّة اهلها ومياسيرهم

معبد والغريض

حدث معبد قال : خرجت الى مكة في طلب لقاء الغريض وقد بلغني حسن غنائهِ في لحنه :

وما أَنسَ مِل اشياء لا أَنسَ شادنًا بمكة مكحولًا اسيلًا مدامعهْ

وقد كان بلغني انهُ اول لحن صنعهُ وان الجنَّ نهتهُ ان يغنيهِ لانهُ فتن طائفة منهم فانتقلوا عن مكة من اجل حسنه . فلما قدمت مكة سأَلت عنهُ فدُللت على منزله فاتيتهُ . فقرعت الباب . فما كلمني احد . فسأَلت بعض الجيران فقلت : هل في الدار احد . فقال لي : نعم فيها الغريض . فقلت : اني قد اكثرت دقَّ الباب فما اجابني احد . قالوا : ان الغريض هناك . فرجعت فدققت الباب . فلم يجبني احد . فقلت : ان نفعني غنائي يومًا نفعني اليوم . فاندفعت فغنيت لحني في شعر جميل . فوالله ما سمعت حركة الباب . فقلت : بطل سحري وضاع سفري وجئت اطلب ما هو عسير عليَّ واحتقرت نفسي وقلت : لم يتوهمني لضعف غنائي عنده . فما شعرت الَّا بصائح يصيح يا معبد المغنّي . افهم وتلقَّ عني . شعر جميل الذي تغني . فيهِ يا شقيَّ البخت وغني : وما انس مل اشياء لا أَنس قولها . . . . »

(قال) فلقد سمعت شيئًا لم اسمع احسن منهُ وقصر اليَّ نفسي وعلمت فضيلته عليَّ بما احسَّ من نفسه وقلت : انهُ لحريّ بالاستتار من الناس تنزيهًا لنفسه وتعظيمًا لقدره وان مثله لا يستحق الابتذال ولا ان تتداوله الرجال . فاردت الانصراف الى المدينة راجعًا . فلما كنت غير بعيد اذا بصائح يصيح بي : يا معبد انظر اكلمك . فرجعت . فقال لي : ان الغريض يدعوك .

فأسرعت فرحًا فدنوت من الباب . فقال لي : أتحب الدخول . فقلت: وهل الى ذلك من سبيل . فقرع الباب ففُتح . فقال لي : ادخل ولا تطل الجلوس . فدخلتُ . فاذا شمس طالعة في بيت . فسلمتُ فردّ السلام ثم قال : اجلس . فجلست . فاذا أنبل الناس واحسنهم وجهًا وخَلقًا وخُلقًا . فقال : يا معبد كيف طرأت الى مكة . فقلت : جعلت فداءك وكيف عرفتني . فقال : بصوتك . فقلت : وكيف وانت لم تسمعهُ قطّ . قال : لما غنيت عرفتك بهِ وقلت : ان كان معبد في الدنيا فهذا . فقلت : جعلت فداك فكيف اجبتني بقولك: « وما انسَ مل اشياء لا أنس قولها » . فقال : قد علمت انك تريد ان اسمعك صوتي :

وما انس مل اشياء لا أنس شادنًا   بمكة مكحولاً اسيلاً مدامعه

ولم يكن الى ذلك سبيل لانهُ صوت قد نهيت ان اغنيهِ فغنيتكَ هذا الصوت جوابًا لما سألت وغنيتَ . فقلت : والله ما عدوتَ ما اردتُ فهل لكَ حاجة . فقال لي : يا أبا عباد لولا ملالة الحديث وثقل اطالة الجلوس لاستكثرت منك فاعذر . فخرجت من عنده وانهُ لاجلُ الناس عندي ورجعت الى المدينة . فتحدثت بحديثه وعجبت من فطنته وقيافته فما رأيت انسانًا الّا وهو اجلُّ منهُ في عيني

طويس وعبد الرحمن بن حسان

حدّث المدائني قال : كان عبد الله بن جعفر معهُ اخوان لهُ في عشية من عشايا الربيع . فراحت عليهم السماء بمطر جود فانسال كل شيء . فقال

عبد الله : هل لكم في العقيق . وهو منتزه اهل المدينة في ايام الربيع والمطر . فركبوا دوابهم . ثم انتهوا اليهِ فوقفوا على شاطئه وهو يرمي بالزبد مثل مدّ الفرات . فانهم لينظرون اذ هاجت السماء . فقال عبد الله لاصحابه : ليس معنا جنّة نستجنُّ بها وهذه سماء خليقة ان تبلّ ثيابنا فهل لكم في منزل طويس فانهُ قريب منا فنستكنَّ فيهِ ويحدثنا ويضحكنا . وطويس في النظارة يسمع كلام عبد الله بن جعفر . فقال لهُ عبد الرحمن بن حسان بن ثابت : جعلت فداءك وما تريد من طويس عليهِ غضب الله مخنّث شائن لمن عرفه . فقال لهُ عبد الله : لا تقل ذلك فانهُ مليح خفيف لنا فيهِ انس . فلما استوفى طويس كلامهم تعجّل الى منزله فقال لامرأته : ويحكِ قد جاءنا عبد الله بن جعفر سيد الناس فما عندكِ . قالت : نذبح هذه العناق وكانت عندها عنيقة قد ربتها باللبن وأختبز خبزًا رقاقًا . فبادر فذبحها وعجنت هي . ثم خرج فتلقاه مقبلًا اليهِ . فقال لهُ طويس : بابي انت وامي هذا المطر فهل لك في المنزل فتستكنَّ فيهِ الى ان تكفّ السماء . قال : اياك اريد . قال : فامضِ يا سيدي على بركة الله . وجاء يمشي بين يديهِ حتى نزلوا . فتحدثوا حتى ادرك الطعام . فقال : بابي انت وامي تكرمني اذ دخلت منزلي بان تعشى عندي . قال : هات ما عندك . فجاءهُ بعناق سمينة ورقاق . فاكل واكل القوم حتى تملأوا فاعجبه طيب طعامه فلما غسلوا ايديهم قال : بابي انت وامي اتمشّى معك واغنيك . قال : افعل يا طويس . فاخذ ملحفة فاتزر بها وارخى لها ذنبين ثم اخذ المربع فتمشى وانشأ يغني :

يا خليلي نابني سهدي   لم تنم عيني ولم تكدِ

فطرب القوم وقالوا : احسنت والله يا طويس . ثم قال : يا سيدي اتدري لمن

هذا الشعر . قال: لا والله ما ادري لمن هو. الّا اني سمعت شعرًا حسنـًا . قال : هو لقارعة بنت ثابت اخت حسان بن ثابت في عبد الرحمن بن الحرث بن هشام المخزومي . فنكس القوم رؤوسهم وضرب عبد الرحمن برأسه فلو شُقَّت الارض لهُ لدخل فيها خالدًا

الفرزدق وجرير على باب الحجاج

حدث شيخ من هذيل كان خالاً للفرزدق من بعض اطرافه قال: سمعت بالفرزدق وجرير على باب الحجاج فقلت: لو تعرضت ابن اختنا. فامتطيت اليهِ بعيرًا حتى وجدتهما قبل ان يخلصا ولكل واحد منهما شيعة . فكنت في شيعة الفرزدق . فقام الآذن يومًا فقال: اين جرير. فقال جرير: هذا ابو فراس . فاظهرتْ شيعته لومه واسرّته . فقال الآذن : اين الفرزدق . فقام فدخل . فقالوا لجرير: أتناويه وتهاجيهِ وتشاخصه ثم تُبدّى عليه فتأبى وتبدّيه . قضيتَ لهُ على نفسك . فقال لهم : انهُ نزر القول ولم ينشب ان ينفد ما عنده وما قال فيهِ فيفاخره ويرفع نفسه عليهِ . فما جئت بهِ بعد حُمدت عليهِ واستُحسن . فقال قائلهم: لقد نظرتَ نظرًا بعيدًا . (قال) فما نشبوا ان خرج الآذن فصاح: اين جرير . فقام جرير فدخل. (قال) فدخلت . فاذا ما مدحه بهِ الفرزدق قد نفد واذا هو يقول :

اين الذين بهم تسامي دارمًا ام من الى سفلى طهيَّة تجعلُ

(قال) وعمامته على راسه مثل المنسف. فصحت من ورائه :

هذا ابن يوسف فاعلموا وتفهموا برح الخفاء فليس حين تناجي

من سدَّ مطلع النفـاق عليكمُ ام من يصول كصولة الحجاجِ
قل للجبـان اذا تأخر سرجهُ هل أنت من شرك المنية ناجِ

قال : وما تشبيبها . وطرب . فقال جرير :

لجَّ الهوى بفؤادك المجـاجِ فاحبس بتوضح باكر الاحداجِ

وامرّها. (أو قال : امضاها) . فقال : اعطوهُ كذا وكذا . فاستقللت ذلك . (فقال الهذلي) وكان جرير عربيًا قرويًا فقال للحجاج: قد أمر لي الامير بما لم يُفهم عنهُ فلو دعا كاتبًا وكتب بما أمر بهِ الامير. فدعا كاتبًا واحتاط فيهِ باكثر من ضعفهِ. واعطى الفرزدق ايضًا. (قال الهذلي) فجئت الفرزدق فأمر لي بستين دينارًا وعبد. ودخلت على رواتهِ فوجدتهم يعدلون ما انحرف من شعره فاخذت من شعره ما اردت. ثم قلت لهُ : يا ابا فراس من اشعر الناس. قال: اشعر الناس بعدي ابن المراغة . قلت: فمن انسب الناس . قال: الذي يقول :

ومريحةٌ همّي عليّ كأنني حتى الصباح معلّقٌ بالفرقدِ

قلت: ذاك الاحوص. قال: ذاك هو. (قال الهذلي) ثم اتيت جريرًا فجعلت استقلّ عنده ما اعطاني صاحبي أستخرجُ بهِ منه . فقـال : كم اعطاك ابن اختك. فاخبرتهُ. فقال : ولك مثله . فاعطاني ستين دينارًا وعبدًا. (قال) وجئت رواته وهم يقوّمون ما انحرف من شعره وما فيهِ من السنـاد . فاخذت منهُ ما اردت. ثم قلت : يا ابا حزرة من أنسب الناس . قـال : الذي يقول :

ياليت شعري عمّن كلفت بهم من خثعم اذ نأيتُ ما صنعوا
قوم يحلّـون بالسـدير م وبالحيرة منهم مرأى ومستمعُ
ان شطّت الدار عن ديارهمِ أأمسكوا بالوصـال أم قطعوا

بل هم على خير ما عهدت وما   ذلـك الّا التأميـل والطمعُ

قلت: ومن هو. قـال: الاحوص. فاجتمعا على ان الاحوَص أنسب الناس

ضرب الوليد بن عقبة الحدّ لشربهِ الخمر

اخبر ابو الضحاك قال: كان ابو زينب الازديّ وابو مزرع يطلبان عثرة الوليد بن عقبة. فجاءا يومًا فلم يحضر الصلاة. فسألا عنهُ وتلطّفا حتى علما انهُ يشرب. فاقتحما عليهِ الدار فوجداه يقيئ. فاحتملاه وهو سكران فوضعاه على سريره واخذا خاتمـه من يده. فأفاق فافتقد خاتمـه فسأل عنهُ. فقالوا: لا ندري وقد رأينا رجلين دخلا الدار فاحتملاك فوضعاك على سريرك. فقال: صفوهما لي. فقالوا: احدهما آدم طويل حسن الوجه والآخر عريض مربوع عليه خميصة. فقال: هذا ابو زينب وابو مزرع. ولقي ابو زينب وصاحبه عبدَ الله بن حبيش الاسديّ وعلقمة بن يزيد البكريّ وغيرهمـا فاخبراهم. فقالوا: اشخصوا الى امير المؤمنين فاعلموه. فقال بعضهم: لا يقبل قولنا في اخيـهِ. فشخصوا اليهِ وقالوا: انّا جئناك في امرٍ ونحن مخرجوهُ اليك عن اعناقنا وقد قلنا انك لا تقبله. قال: وما هو. قالوا: رأينا الوليـد وهو سكران من خمر قد شربها وهذا خاتمه اخذناه وهو لا يعقل. فارسل الى عليّ رضيَ الله تعالى عنـهُ فشاوره. فقال: ارى ان تشخصه فان شهدوا عليهِ بمحضر منهُ حددتهُ. فكتب عثمان رضيَ الله تعالى عنهُ الى الوليد بن عقبة. فقدم عليهِ. فشهد عليـهِ ابو زينب وابو مزرع وجندب الاسديّ وسعد بن مالك الاشعريّ ولم يشهد عليهِ

الايمان. فقال عثمان لعليّ: قم فاضربه. فقال عليّ للحسن: قم فاضربه. فقـال الحسن: مالك ولهذا يكفيك غيرك. فقال عليّ لعبـد الله بن جعفر: قم فاضربه. فضربه بمخصرة فيها سير لهُ رأسان. فلما بلغ اربعين قال لهُ عليّ: حسبك

اسحق الموصليّ وجاريته دمن

حدّث محمد بن موسى اليزيديّ قال: حدّثتني دمن جارية اسحـق الموصليّ وكانت من كبار جواريهِ واحظى من عنده ولقيتها فقلت لها: ايّ شيءٍ اخذتِ عن مولاكِ من الغناء. فقالت: لا والله ما اخذت انا عنهُ ولا واحدة من جواريه صوتًا قط. كان ابخل بذلك. وما اخذت منهُ قط الّا صوتًا واحدًا. وذلك انهُ انصرف من دار الخليفة وهو مثخن سكران فدخل الى بيت كان ينام فيهِ فرأى عودًا معلقًا كان يكون في بيت منامه فاخذه بيده وقال لخادمه: يا غلام صِحْ لي بدمن. فجاءني الغلام فخرجتُ. فلما بلغت الباب اذا هو مستلقٍ على فراشـه والعود في يده وهو يصنع هذا الصوت ويردّده وقد استخفر في نغمه وتنوّق فيها حتى استقام لهُ وهو:

أبى ليلي أن يذهبْ   ونيط الطرفُ بالكوكبْ

وهذا الصبح لا ياتي   ولا يـدنو ولا يقربْ

فلما سمعتهُ علمت اني ان دخلت اليـهِ امسك. فوقفت استمعه حتى فرغ منهُ واخذتهُ عنهُ. فلما فرغ منهُ وضع العود من يده وذكر انهُ قد طلبني فقال: يا غلام اين دمن. فقلت: ها أنذا. فارتاع وقال: مذ كم انت واقفة.

فقلت : منذ ابتدأتَ بالصوت وقد اخذتهُ بغير حمدك . فنظر اليَّ نظر مغضب
أسف . ثم قال : غنيهِ . فغنيته حتى استوفيته وهو يكاد يتميز غيظاً . ثم قال
لي وقد فتر وخجل : قد بقيت عليكِ فيهِ بقية انا اصلحها لكِ . فقلت : لست
احتاج الى اصلاحك اياه فأصلحه لنفسك وقد والله اخذتهُ على رغمك . فاضطجع
في فراشه ونام وانصرفت . فمكث اياماً اذا رآني قطب وجهه

حاجز بن عوف

هو احد الصعاليك المغيرين على قبائل العرب وممن كان يعدو على رجليهِ
عدوًا يسبق بهِ الخيل . حدث العباس بن هشام ان عوف بن الحرث الازدي
قال لابنه حاجز : اخبرني يا بنيَّ باشدّ عدوك . قال : نعم . افزعتني خثعم فنزوت
نزوات استفزتني للخيل واصطفَّ لي ظبيان . فجعلت انهنهما بيدي عن الطريق
لضيقه ومنعاني ان اتجاوزهما في العدو لضيق الطريق . حتى اتسع واتسعت بنا
فسبقتهما . فقال لهُ : فهل جاراك احد في العدو . قال : ما رأيت احداً جاراني
الّا أُطيلس أُغيبر من البقوم (١) . فانّا عدونا معًا فلم اقدر على سبقه . (قال)
واغار عوف بن الحرث بن الاختم على بني هلال بن عامر بن صعصعة في يوم
داجٍ مظلم فقال لاصحابه : انزلوا حتى اعتبر لكم . فانطلق حتى اتى صرمًا من
بني هلال . وقد عصب على يد فرسه عصابًا ليظلع فيطمعوا فيهِ . فلما اشرف
عليهم استرابوا بهِ فركبوا في طلبه . وانهزم من بين ايديهم وطمعوا فيهِ . فهجم
بهم على اصحابه بني سلامان . فأُصيب يومئذٍ بنو هلال وملأَ القوم ايديهم
من الغنائم

(١) البقوم بطن من الازد من ولد ناقم واسمهُ عامر بن خواله بن الهيق بن الازد

(وقال ابو عمرو) بينما حاجز في بعض غزواتهِ اذ احاطت بهِ خثعم . وكان
معهُ بشير ابن اخيه . فقال لهُ : يا بشير ما تشير . قال : دعهم حتى يشربوا
ويقفلوا ويعضوا ونغضي معهم فيظنونا بعضهم . ففعلا . وكانت في ساق حاجز
شامة . فنظرت اليها امرأة من خثعم فصاحت : يا آل خثعم هذا حاجز .
فطاروا يتبعونه . فقالت لهم عجوز منهم كانت ساحرة : اكفيكم سلاحه أَو
عدوَه . فقالوا : لا نريد ان تكفينا عدوه فان معنا عوفًا وهو يعدو مثله .
ولكن اكفينا سلاحه . فسحرت لهم سلاحه . وتبعهُ عوف بن الاغرّ الخثعمي
حتى قاربه . فصاحت بهِ خثعم . يا عوف ارمِ حاجزًا . فلم يقدم عليهِ
وجبن . فغضبوا وصاحوا : يا حاجز لك الذمام فاقتل عوفًا فانهُ قد فضحنا .
فنزع في قوسهِ ليرميه فانقطع وتره لان المرأة الخثعمية كانت قد سحرت سلاحه .
فاخذ قوس بشير ابن اخيهِ فنزع فيها فانكسرت . وهربا من القوم ففاتاهم .
ووجد حاجز بعيرًا في طريقه فركبهُ فلم يسر في الطريق الذي يريده ونجا به نحو
خثعم . فنزل حاجز عنهُ فرَّ فنجا وقال في ذلك :

فدى لكما رحلي أُمّيَّ وخالتي ... بسعيكما بين الصفا والاثائبِ
أَوان سمعت القوم خلفي كانهم ... حريق اباء شبَّ في الريح ثاقبِ
سيوفهمُ تغشى الجبان ونبلهم ... يضيء لدى الاقوام نار الحباحبِ
فغير قتالي في المضيق اغاثني ... ولكن صريح العدو غير الاكاذب
نجوت نجاء لا أَبيك تبثهُ ... وينجو بشير نحو ازعر خاضبِ
وجدت بعيرًا هاملاً فركبتهُ ... فكادت تكون شرَّ ركبة راكب

قال ابو عمرو : وخرج حاجز من اسفاره فلم يعد ولا عرف لهُ خبر . فكانوا
يرون انهُ مات عطشًا او ضلَّ فقالت اختهُ ترثيه :

أحيٌّ حاجزٌ أم ليس حيٌّ فيسلك بين خِندِفَ والبهيمِ
ويشرب شربةً من ماء ترجٍ فيصدر مشية السبع الكليمِ

الواثق وقلم الصالحية

كانت قلم الصالحية جارية صالح بن عبد الوهاب احدى المغنيات المحسنات المتقدمات . فغُنّي بين يدي الواثق لحنٌ لها في شعر محمد بن كناسة قال :

فيَّ انقباضٌ وحشمة فاذا صادفتُ اهل الوفاء والكرمِ
ارسلتُ نفسي على سجيّتها وقلتُ ما قلتُ غير محتشمِ

فسأل لمن الصنعة فيهِ . فقيل: لقلم الصالحية جارية صالح بن عبد الوهاب . فبعث الى محمد بن عبد الملك الزيات فاحضره . فقال : ويلكَ من صالح بن عبد الوهاب هذا . فأخبره . قال: اين هو . قال : أَبعث فاشخصهُ واشخص معهُ جاريته . فقدما على الواثق . فدخلت عليهِ قلم . فامرها بالجلوس والغناء فغنت . فاستحسن غناءها وأمر بابتياعها . فقال صالح : ابيعها بمائة الف دينار وولاية مصر . فغضب الواثق من ذلك وردَّ عليهِ . ثم غنّى بعد ذلك زرزر الكبير في مجلس الواثق صوتًا الشعر فيهِ لاحمد بن عبد الوهاب اخي صالح والغناء لقلم وهو :

أَبت دار الاحبّة ان تبينا اجدَّك ما رأيت لها معينا

فسأل لمن الغناء . فقيل: لقلم جارية صالح . فبعث الى ابن الزيات : اشخص صالحًا ومعهُ قلم . فلما اشخصهما دخلت على الواثق فأمرها ان تغنيهِ هذا الصوت . فغنتهُ . فقال لها : الصنعة فيهِ لكِ . قالت : نعم يا امير المؤمنين .

قال : بارك الله عليكِ . وبعث الى صالح فأُحضر فقال : اما اذا وقعت الرغبة فيها من امير المؤمنين فما يجوز ان املك شيئًا لهُ فيهِ رغبة وقد أَهديتها الى امير المؤمنين فان من حقها علي اذا تناهيت في قضائهِ ان أُصيّرها ملكه فبارك الله لهُ فيها . فقال لهُ الواثق: قد قبلتها . وأَمر ابن الزيات ان يدفع اليهِ خمسة آلاف دينار وسمّاها احتياطًا . فلم يعطهِ ابن الزيات المال ومطله بهِ . فوجّه صالح الى قلم مَن اعلمها ذلك . فغنّت الواثق وقد اصطبح صوتًا . فقال لها : بارك الله فيكِ وفيمن ربّاكِ . فقالت : يا سيدي وما نفع من رباني مني الّا التعب والغرم عليَّ والخروج مني صفرًا . قال . او لم آمر لهُ بخمسة آلاف دينار . قالت : بلى ولكن ابن الزيات لم يعطهِ شيئًا . فدعا بخادم من خاصة الخدم ووقّع الى ابن الزيات بحمل الخمسة آلاف الدينار اليهِ وخمسة آلاف دينار اخرى معها . (قال صالح) فصرت مع الخادم اليه بالكتاب فقرّبني وقال: اما الخمسة آلاف الاولى فخذها فقد حضرت . والخمسة الآلاف الاخرى انا ادفعها اليك بعد جمعة . فقمت . ثم تناساني كانهُ لم يعرفني . وكتبت اقتضيهِ . فبعث اليَّ : اكتب لي قبضًا بها وخذها بعد جمعة . فكرهت ان اكتب قبضًا بها فلا يحصل لي شيء . فاستترت وهو في منزل صديق لي . فلما بلغهُ استتاري خاف ان اشكوهُ الى الواثق فبعث اليَّ بالمال وأَخذ كتابي بالقبض . ثم لقيني الخادم بعد ذلك فقال لي: امرني امير المؤمنين ان اصير اليك فأَسالك هل قبضت المال . قلت : نعم قد قبضتهُ . (قال صالح) وابتعت بالمال ضيعة وتعلقت بها وجعلتها معاشي وقعدت عن عمل السلطان فما تعرضت منهُ لشيء بعدها

المهاجر بن خالد

هو المهاجر بن خالد بن الوليد بن المغيرة . وكان الوليد بن المغيرة سيداً من سادات قريش وجواداً من اجوادها . وكان يلقب بالوحيد وامه صخرة بنت الحرث بن عبد الله بن عبد شمس امرأة من بجيلة ثم من قيس . ولما مات الوليد بن المغيرة ارّخت قريش بوفاتهِ لاعظامها اياه . حتى كان عام الفيل جعلوهُ تاريخاً . (هكذا ذكر ابن دأب) . واما الزبير بن بكار فذكر عن عمر بن ابي بكر الموصلي انها كانت تؤرّخ بوفاة هشام بن المغيرة سبع سنين الى ان كانت السنة التي بنوا فيها الكعبة فأرّخوا بها

ولخالد بن الوليد آثار في قتال اهل الردّة في ايام ابي بكر رضي الله عنهُ مشهورة يطول ذكرها . وهو فتح الحيرة بعث اليهِ اهلها عبد المسيح بن عمرو بن نفيلة فكلّمهُ خالد فقال لهُ : من اين اقبلت . قال : من ورائي . قال : واين تريد . قال : امامي . قال : ابن كم أنت . قال : ابن رجل واحد وامرأة . قال : فاين اقصى اثرك . قال : منتهى عمري . قال : أتعقل . قال : نعم واقيد . قال : ما هذه الحصون . قال : بنيناها نتقي بها السفيه حتى يردعه الحليم . قال : لامر ما اختارك قومك . ما هذا في يدك . قال : سمّ ساعة . قال : وما تصنع بهِ . قال : اردت ان انظر ما تردني بهِ فان بلغت ما فيهِ صلاح لقومي عدتُ اليهم والّا شربتهُ فقتلت نفسي ولم ارجع الى قومي بما يكرهون : قال لهُ خالد : أرنيهِ . فناولهُ اياه . فقال خالد : بسم الله الذي لا يضرّ مع اسمه شيء في الارض ولا في السماء وهو السميع العليم . ثم اكلهُ . فتجلّتهُ غشية ثم افاق يمسح العرق عن وجهه . فرجع ابن نفيلة الى قومه فأخبرهم بذلك وقال :

ما هؤلاء القوم الّا من الشياطين وما لكم بهم طاقة فصالحوهم على ما تريدون . ففعلوا

حدث محمد بن الضحاك عن ابيهِ ان عمر بن الخطاب رضي الله عنهُ كان اشبه الناس بخالد بن الوليد . فخرج عمر سحراً . فلقيهُ شيخ فقال لهُ : مرحباً بك يا ابا سليمان . فنظر اليهِ عمر فاذا هو علقمة بن علاثة فردّ عليهِ السلام . فقال لهُ علقمة : عزلك عمر بن الخطاب . فقال لهُ عمر : نعم . قال : ما يشبع لا أشبعَ الله بطنه . قال لهُ عمر : فما عندك . قال : ما عندي الّا السمع والطاعة . فلما اصبح دعا بخالد وحضر علقمة بن علاثة . فأقبل على خالد فقال لهُ : ماذا قال لكَ علقمة . قال : ما قال لي شيئاً . فقال : اصدقني . فحلف خالد بالله ما لقيهُ ولا قال لهُ شيئاً . فقال لهُ علقمة : حلا أبا سليمان . فتبسم عمر . فعلم خالد ان علقمة قد غلط فنظر اليهِ . وفطن علقمة فقال : قد كان ذلك يا امير المؤمنين فاعفُ عني عفا الله عنك . فضحك عمر فأخبره الخبر

حدث ابو سهيل ان معاوية لما اراد ان يظهر العقد ليزيد قال لاهل الشام : ان امير المؤمنين قد كبرت سنه ودقّ عظمه واقترب أجله ويريد ان يستخلف عليكم . فمن ترون . قالوا : عبد الرحمن بن خالد بن الوليد . فسكت واضمرها ودسّ ابن أثال الطبيب اليهِ . فسقاه سمّاً فمات . وبلغ ابن اخيهِ خالد بن المهاجر بن خالد بن الوليد خبره وهو بمكة . وكان أسوأ الناس رأياً في عمه لانّ اباه المهاجر كان مع عليّ عليهِ السلام بصفّين . وكان عبد الرحمن بن خالد بن الوليد مع معاوية وكان خالد بن المهاجر على رأي ابيهِ هاشميّ المذهب دخل مع بني هاشم الشعبَ فاضطغن ذلك ابن الزبير عليهِ فألقى عليهِ زقّ خمر وصبّ

بعضهُ على رأسه وشنَّع عليهِ انهُ وجده ثملًا من الخمر فضربه الحدّ . فلما قتل عمه عبد الرحمن مرّ بهِ عروة بن الزبير فقال له : يا خالد أتدع ابن أثال يفني أوصال ابن عمك بالشام وأنت بمكة مسبل ازارك تجرُّه وتخطر فيه متخايلًا . فحمي خالد ودعا مولًى لهُ يدعى نافعًا فأخبره الخبر وقال لهُ : لا بدّ من قتل ابن أثال وكان نافع جلدًا شهمًا . فخرجا حتى قدما دمشق وكان ابن أثال يمسي عند معاوية . فجلس لهُ في مسجد دمشق الى اسطوانة وجلس غلامه الى اخرى حتى خرج . فقال خالد لنافع : اياك ان تعرض لهُ فاني اضربه . ولكن احفظ ظهري واكفني من ورائي فان رابك شيء تراه من خلفي فشأنك . فلما حاذاه وثب عليهِ خالد فقتله . وثار اليه من كان معهُ . فصاح بهم نافع فانفرجوا . ومضى خالد ونافع وتبعهما من كان معهُ . فلما غشوهما حملا عليهم فتفرَّقوا حتى دخل خالد ونافع زقاقًا ضيقًا ففاتا القوم . وبلغ معاوية الخبر فقال : هذا خالد بن المهاجر . اقلبوا الزقاق الذي دخل فيهِ . ففتش عليهِ فأُتي بهِ . فقال : لا جزاك الله من زائر خيرًا قتلت طبيبي . قال : قتلت المأمور وبقي الآمر . فقال لهُ : عليك لعنة الله اما والله لو كان تشهد مرَّة واحدة لقتلتك بهِ . امعك نافع . قال : لا . قال : بلى والله ما اجترأت الّا بهِ . ثم أمر بهِ فطلب فوجد فأُتي بهِ فضربه مائة سوط . ولم يهج خالدًا بشيء اكثر من ان حبسه والزم بني مخزوم دية ابن أثال اثني عشر الف درهم أدخل بيت المال منها ستة آلاف درهم . واخذ ستة آلاف درهم . ولم يزل ذلك يجري في دية المعاهد حتى ولي عمر بن عبد العزيز فأبطل الذي يأخذه السلطان لنفسه واثبت الذي يدخل بيت المال . ولمَّا حبس معاوية خالد بن المهاجر قال في السجن :

اما خطاي تقاربت	مشي المقيَّد في الحصارِ
فبما امشي في الاباطح	يقتفي اثري ازاري
دع ذا ولكن هل ترى	نارًا تشبّ بذي مزارِ
ما ان تشبّ لقرة	بالمصطلين ولا قتارِ
ما بال ليلك ليس ينقص	طولهُ طول النهارِ
أتقاصر الايام ام	عرض الاسير من الاسارِ

(قال) فبلغت أبياته معاوية فرقَّ لهُ واطلقهُ . فرجع الى مكة . فلما قدمها لقي عروة بن الزبير . فقال لهُ : اما ابن أثال فقد قتلتهُ وهذا ابن جرموز يفني أوصال الزبير بالبصرة فاقتله ان كنت ثائرًا . فشكاه عروة الى أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحرث بن هشام . فاقسم عليهِ ان يمسك عنهُ . ففعل

ابو دلف وجعيفران الموسوس

حدَّث عليّ بن يوسف قال : كنت عند أبي دلف القاسم بن عيسى العجليّ . فاستأذن عليهِ حاجبه لجعيفران الموسوس . فقال لهُ : أيّ شيء أصنع بموسوس . قد قضينا حقوق العقلاء . وبقي علينا حقوق المجانين . فقلت لهُ : جعلتُ فداء الامير موسوس أفضل من كثير من العقلاء . وانّ لهُ لسانًا يُتقى وقولًا مأثورًا يبقى . فالله الله أن تحجبهُ . فليس عليك منهُ أذى ولا ثقل . فأذن لهُ . فلما مثل بين يديهِ قال :

يا أكرم العالم موجودا	ويا أعزّ الناس مفقودا
لما سألت الناس عن واحدٍ	أصبح في الامّة محمودا

قالوا جميعًا انهُ قاسم | أشبه آباء لهُ صيدا
لو عبدوا شيئًا سوى ربّهم | أصبحتَ في الأمّة معبودا
لا زلت في نُعمى وفي غبطةٍ | مكرّمًا في الناس معدودا

(قال) فأمر لهُ بكسوة وبألف درهم. فلما جاء بالدراهم أخذ منها عشرة وقال: تأمر القهرمان ان يعطيني الباقي مفرّقًا كلما جئت لئلاّ يضيع مني. فقال للقهرمان: أعطه المال وكلما جاءك فأعطه ما شاء حتى يفرّق الموت بيننا. فبكى عند ذلك جعيفران وتنفّس الصعداء وقال:

يموت هذا الذي أراه | وكلّ شيء لهُ نفادُ
لو غير ذي العرش دام شيءٌ | لدام ذا المفضل الجوادُ

ثم خرج. فقال أبو دلف: أنت كنت أعلم بهِ مني. (قال) وغبر عني مدة. ثم لقيني وقال: يا أبا الحسن ما فعل أميرنا وسيدنا وكيف حالهُ. فقلت: بخير وعلى غاية الشوق اليك. فقال: أنا والله يا أخي أشوق. ولكني أعرف أهل العسكر وشرَهم وإلحاحهم. والله ما أراهم يتركونهُ من المسئلة ولا يتركهم ولا يتركه كرمهُ أن يخلّيهم من العطية حتى يخرج فقيرًا. فقلت: دع هذا عنك وزره فانّ كثرة السؤال لا تضرّ بماله. فقال: وكيف. أهو أيسر من الخليفة. قلت: لا. قال: والله لو تبذّل لهم الخليفة كما يتبذل أبو دلف وأطمعهم في ماله كما يطمعهم لأفقروه في يومين. ولكن اسمع ما قلتهُ في وقتي هذا. فقلت: هاته يا أبا الفضل. فأنشأ يقول:

أبا حسن بلّغنْ قاسمًا | بأنّيَ لم أجفه عن قلا
ولا عن ملال لاتيانهِ | ولا عن صدود ولا عن عنا
ولكن تعفّفت عن مالهِ | وأصفيتهُ مدحتي والثنا

أبو دلف سيدٌ ماجدٌ | سنيُّ العطيّة رحب الفنا
كريم اذا انتابه المعتفون م | عمّهمُ بجزيل الحبا

(قال) فأبلغتها أبا دلف وحدّثتهُ بالحديث الذي جرى. فقال لي: قد لقيتهُ منذ ايام فلما رأيتهُ وقفت لهُ وسلمت عليهِ وتحفّيت بهِ. فقال لي: سِرْ أيها الامير على بركة الله. ثم قال لي:

يا معدي الجود على الاموالِ | ويا كريم النفس في الفعالِ
قد صنتني عن ذلّة السؤالِ | بجودك الموفي على الآمالِ
صانك ذو العزّة والجلالِ | من غِيَر الايام والليالي

(قال) ولم يزل يختلف الى أبي دلف ويبرّه حتى افترقا

القتّال الكلابيّ

القتّال لقب غلب عليهِ لتمرّده وفتكه واسمهُ عبد الله بن المضرحي بن عامر. وكان فارسًا شاعرًا شجاعًا. حدّث شيخ من بني ابي بكر بن كلاب يُكنى ابا خالد قال: كان القتال اغاظ ابن عمّ لهُ. فحلف هذا لئن رآه ليقتلنهُ. فلما كان بعد ذلك بايام رآه فأخذ السيف. وبصر بهِ القتّال فخرج هاربًا. وخرج في أثره. فلما دنا منهُ ناشده القتال بالله والرحم. فلم يلتفت اليه. فبينا هو يسعى وقد كاد يلحقهُ وجد رمحًا مركوزًا فأخذه وعطف على زياد فقتلهُ وقال:

نهيت زيادًا والمهامه بيننا | وذكّرتهُ بالله حولًا محرّما
فلما رأيت أنهُ غير منتهٍ | ومولاي لا يزداد الّا تقدما
أملتُ لهُ كفّي بابيض صارمٍ | حسام اذا ما صادف العظم صمّما

بكفّ امرىء لم تخدم الحيَّ امّهُ ... أخي نجداتٍ لم يكن متهضّما

ثم خرج هاربًا وأصحاب القتيل يطلبونهُ . فمرّ بابنة عمّ لهُ تُدعى زينب متنحيّة عن الماء . فدخل عليها . فقالت لهُ : ويحك ما دهاك . قال : ألقي عليّ ثيابكِ . فألقت عليهِ ثيابها وألبستهُ برقعها . وكانت تمسّ حناء . فأخذ الحناء فلطخ بها يديهِ . وتنحّت عنهُ . وجدّ الطلبُ . فلما أتوا البيت قالوا وهم يظنّون انهُ زينب : أين الخبيث . فقال لهم : أخذ ههنا لغير الوجه الذي أراد أن يأخذه . فلما عرف ان قد بعدوا أخذ في وجهٍ آخر فلحق بعماية (١) فاستتر فيهِ . وقال في ذلك :

فمن مبلغ فتيـان قوميَ انني ... تسمّيت لما شبّت الحرب زينبا

وأرخيت جلبابي على نبت لحيتي ... وأبديت للناس البنان المخضبا

وقال فيها :

جزى الله عنّا والجـزاء بكفّهِ ... عمايةَ خيرًا امّ كلّ طريدِ

فما يزدهيها القوم ان نزلوا بها ... وان أرسل السلطان كل بريدِ

حمتني منها كلُّ عنقاء عيطلٍ ... وكل صفًا جمّ القُلات كؤودِ

فمكث بعماية زمانًا يأتيهِ أخ لهُ بما يحتاج اليهِ . فأقام في شِعب من شعابهِ وكان يأوي الى ذلك الشعب نمر . فراح اليهِ كعادتهِ . فلما رأى القتّال كشّر عن أنيابه . فجرّد القتّال سيفهُ من جفنهِ . فربض بازائهِ وأخرج براثنه . فسلّ القتّال سهامهُ من كنانته . فضرب بيده وزأر . فأوتر القتّال قوسهُ وانبض وترها . فسكن النمر وألفهُ . فقال ابن الكلبي في هذا الخبر ووافقهُ عمر بن شبة في روايته : كان النمر يصطاد الاروى فيجيء بما يصطاده فيلقيهِ بين يدي القتّال فياخذ منهُ ما يتقوّتهُ

(١) عماية جبل بالبحرين . وسُمّي عماية لانّ الناس يضلّون فيهِ

ويُلقي الباقي للنمر فيأكلهُ . وكان القتّال يخرج فيجرح الوحش بنبله فيصيب منهُ الشيء بعد الشيء فيأتي بهِ الكهف فيأخذ لقوته بعضه ويُلقي الباقي للنمر . وكان القتّال اذا ورد الماء قام عليهِ النمر حتى يشرب ثم يتنحّى عنهُ . ويرد النمر فيقوم عليهِ القتّال حتى يشرب . فقال القتّال في ذلك من قصيدة لهُ :

ولي صاحب في الغار يعدل صاحبًا ... أبا الجون (١) الّا أنهُ لا يعلَّـلُ

كلانا عدوٌّ لا يرى في عدوّه ... مهزًّا وكلٌ في العداوة مجمـلُ

اذا ما التقينا كان أُنسَ حديثنا ... صماتٌ وطرف كالمعابلِ أكحلُ

لنا موردٌ صافٍ بأرض مضلّةٍ ... شريعتنا لا أيّنـا جاء اولُ

تضمّنت الاروى لنا بقبولنا ... كلانا لهُ منها سديف مخردلُ

فأُعامهُ في صنعـة الودّ أنني ... أُميط الاذى عنهُ وما ان يهلّلُ (٢)

ثم أُخذ القتّال فحُبس زمانًا في السجن . وكان بين ابن هبّار القرشيّ وبين ابن عمّ لهُ من قريش إحنة . فبلغ ابن عمه ان القتّال محبوس بالمدينة . فاتاه فقال لهُ : أرأيت ان أنا اخرجتك أتقتل ابن عمي المعروف بابن هبار . قال : نعم . قال : فاني سأرسل اليك بحديدة في طعامك فعالج بها قيدك حتى تفكّه ثم البسـه حتى لا تُنكر . فاذا خرجت الى الوضوء فاهرب من الحرس فاني جالس لك ومخلصك ومعطيك فرسًا تنجو عليهِ وسيفًا تمتنع بهِ . فان خلصك ذلك والّا فأبعدك الله . فقال : قد رضيت . (قال) وكان اهل المدينة يُخرجون المحتبسين اذا أمسوا للوضوء ومعهم الحرس . ففعل ما امره بهِ . واتاه القرشي فخلصهُ وآواه حتى أمسك

(١) ابو الجون صديق لهُ كان يانس بهِ فشبههُ بهِ . وفي رواية عمر بن شبة : « اخي الجون » . فانّ القتّال كان لهُ اخ اسمهُ الجون فشبههُ بهِ

(٢) اي ما يسمّي الله عليهِ عند صيده

عنهُ الطلب . ثم جاء بهِ واعطاه سيفًا . فقتل ابن عمه المعروف بابن هبار .
ووهب لهُ نجيبًا فنجا عليهِ وقال :

تركت أبن هبار لدى الباب مسندًا واصبح دوني شابةٌ واروم
بسيف امرئ لا أُخبر الناس باسمهِ ولو أجهشت نفسي اليَّ هموم

عبث الحسن باشعب

حدث عبيدة بن اشعب عن ابيهِ قال : كان الحسن بن الحسن يعبث بابي اشد عبث . وربما اراهُ في عبثهِ انهُ قد ثمل وانهُ يعربد عليهِ . ثم يخرج بسيف مسلول ويُريه انهُ يريد قتله . فيجري بينهما في ذلك كلُّ مستمع . فهجره ابي مدة طويلة . ثم لقيه يومًا فقال لهُ : يا أشعب هجرتني وقطعتني ونسيت عهدي . فقال لهُ : بابي انتَ وامي لو كنت تعربد بغير السيف ما هجرتك ولكن ليس مع السيف لعب . فقال لهُ : فانا اعفيك من هذا فلا تراه مني ابدًا . وهذه عشرة دنانير ولك حماري الذي تحتي احملك عليهِ وصر اليَّ ولك الشرط ان لا ترى في داري سيفًا . قال : لا والله أو تخرج كل سيف في دارك قبل ان نأكل . قال : ذلك لك . (قال) فجاءَهُ ابي ووفى لهُ بما قال من الهبة واخراج السيوف . وخلّف عنده سيفًا في الدار . فلما توسّط الامر قام الى البيت فاخرج السيف مشهورًا ثم قال : يا أشعب انما أخرجت هذا السيف لخير اريده بكَ . قال : بابي انت وامي وايُّ خير يكون مع السيف . ألست تذكر الشرط بيننا . قال لهُ : فاسمع ما اقولهُ لك . لست اضربك بهِ ولا يلحقك منهُ شيء تكرهه . وانما اريد ان اضجعك واجلس على صدرك ثم

آخذ جلدة حلقك باصبعي من غير ان اقبض على عصب ولا ودج ولا مقتل فاحزها بالسيف . ثم اقوم عن صدرك واعطيك عشرين دينارًا . فقال : نشدتك الله يا ابن رسول الله ان لا تفعل بي هذا . وجعل يصرخ ويبكي ويستغيث . والحسن لا يزيده على الحلف لهُ انهُ لا يقتله ولا يتجاوز بهِ ان يحز جلده فقط . ويتوعّده مع ذلك بأنّهُ ان لم يفعله طائعًا فعله كارهًا . حتى اذا طال الخطب بينهما واكتفى الحسن من المزح معه أراه انهُ يتغافل عنهُ وقال لهُ : أنت لا تفعل هذا طائعًا ولكن اجيءُ بحبل فاكتفك بهِ . ومضى كانهُ يجيءُ بحبل . فهرب اشعب وتسوّر حائطًا بينهُ وبين عبد الله بن حسن اخيهِ فسقط الى داره فانفكت رجله وأُغمي عليهِ . فخرج عبد الله فزعًا فسأَلهُ عن قصته . فاخبره . فضحك منهُ وأَمر لهُ بعشرين دينارًا واقام في منزله يعالجه ويعوله الى ان صلحت حاله . (قال) وما رآه الحسن بن الحسن بعدها

وحدث الزبير بن بكار قال : دعا الحسن بن الحسن اشعب فاقام عنده . فقال لاشعب يومًا : انا اشتهي كبد هذه الشاة لشاةٍ عنده عزيزة عليه فارهة . فقال لهُ اشعب : بابي انت وامي اعطنيها وانا اذبح لك اسمن شاة بالمدينة . فقال : أخبرك اني اشتهي كبد هذه وتقول لي اسمن شاة بالمدينة . اذبح ياغلام . فذبحها وشوى لهُ من كبدها واطايبها فاكل . ثم قال لاشعب من الغد : يا اشعب انا اشتهي من كبد نجيبي هذا النجيب كان عنده ثمنه الوف دراهم . فقال لهُ اشعب : يا سيدي في ثمن هذا والله غناي فاعطنيه وانا والله اطعمك من كبد كل جزور بالمدينة . فقال : اخبرك اني اشتهي من كبد هذا وتطعمني من غيره . يا غلام انحر . فنحر النجيب وشوى كبده فاكلا . فلما كان اليوم الثالث قال لهُ : يا اشعب انا والله اشتهي ان آكل من كبدك .

فقال لهُ : سبحان الله أتأكل من اكباد الناس . قال : قد اخبرتك .
فوثب اشعب فرمى بنفسه من درجة عالية فانكسرت رجله . فقيل لهُ : ويلك
اظننت انهُ يذبحك . فقال : والله لو ان كبدي وجميع اكباد العالمين جميعاً
اشتهاها لأكلها . وانما فعل حسن بالشاة والنجيب ما فعل توطئة للعبث
باشعب

حيلة المغيرة بن شعبة في شراء الخمر

قال المغيرة بن شعبة : اوَّل ما عرفني بهِ العرب من الحزم والدهاء اني
كنت في ركب من قومي في طريق لنا الى الحيرة . فقالوا لي : قد اشتهينا
الخمرة وما معنا الَّا درهم زائف . فقلت : هاتوهُ وهلمُّوا زقَّين . فقالوا :
وما يكفيك لدرهم زائف زقٌّ واحد . قلت : اعطوني ما طلبت وخلاكم ذمٌّ .
ففعلوا وهم يهزأون من قولي . فصببت في احد الزقين شيئًا من ماء ثم جئت
الى خمَّار فقلت لهُ : كِلْ لي ملءَ هـذا الزق . فملأه . فاخرجت الدرهم الزائف
فاعطيتهُ اياه . فقال : انَّ ثمن هذا الزق عشرون درهمًا جيادًا وهذا درهم
زائف . فقلت : انا رجل بدويّ وظننت ان هذا يصلح كما ترى . فان صلح والَّا
فخذ شرابك . فاكتال مني ما كالهُ وبقي في زقي من الشراب بقدر ما كان
فيهِ من الماء . فافرغتهُ في الزقّ الآخر وحملتهما على ظهري وخرجت . فصببت
في الزقّ الاول ماء ودخلت الى خمار آخر فقلت : اني اريد ملءَ هذا الزق
خمرًا فانظر الى ما معي منهُ فان كان عندك مثلهُ فأعطني . فنظر اليهِ . وانما
اردت ان لا يستريب بي اذا رددتُ الخمر عليهِ . فلما رآهُ قال : عندي
اجود منهُ . قلت : هات . فأخرج اليَّ شرابًا . فاكتلته في الزق الذي فيهِ الماء ثم

دفعت اليهِ الدرهم الزائف . فقال لي مثل قول صاحبه . فقلت : خذ خمرك .
فاخذ ما كان لي وهو يرى اني خلطتهُ بالشراب الذي اريتـه اياه . وخرجت
فجعلتـه مع الخمر الاول . ثم لم ازل افعـل ذلك بكل خمَّار في الحيرة حتى
ملأت زقي الاول وبعض الآخر . ثم رجعت الى اصحابي فوضعت الزقين بين
ايديهم ورددت درهمهم . فقالوا : ويحك ايَّ شيءٍ صنعت . فحدثتهم .
فجعلوا يعجبون . وشاع لي الذكر في العرب بالدهاء حتى اليوم

نوح برصوما الزامر على ابراهيم الموصلي

حدث اسحق الموصلي قال : قال لي برصوما الزامر : اما في حقي وخدمتي
وميلي اليكم وشكري لكم ما استوجبُ بهِ ان تهب لي يومًا من عمرك تفعل بهِ
ما اريد ولا تخالفني في شيءٍ . فقلت : بلى ووعدتهُ بيوم . فأتاني فقال :
مرْ لي بخلعة . ففعلت وجعلت فيها جبة وشي . فلبسها ظاهرة وقال : امضِ
بنا الى المجلس الذي كنت آتي اباك فيه . فمضينا جميعًا اليه وقد خلَّقتهُ وطيَّبتهُ .
فلما صار على باب المجلس رمى بنفسـه الى الارض فتمرَّغ في التراب وبكى
واخرج نايه وجعل ينوح في زمره ويدور في المجلس ويقبـل المواضع التي كان
ابو اسحق يجلس فيها ويبكي ويزمر حتى قضى من ذلك وطرًا . ثم ضرب
بيده الى ثيابه يشقُّها . وجعلت اسكته وابكي معهُ . فما سكن الَّا بعد حين .
ثم دعا بثيابه فلبسها وقال : انما سألتكَ ان تخلع عليَّ لئلاَّ يقال انَّ برصوما
انما خرَّق ثيابه ليخلع عليهِ هو خيرًا منها . ثم قال : امضِ بنا الى منزلك فقد
اشتفيت مما اردت . فعدت الى منزلي واقام عندي يومه وانصرف بخلعـة
مجدَّدة

جنازة معبد

حدث كردم بن معبد المغني مولى ابن قَطَن قال : مات ابي وهو في عسكر الوليد بن يزيد وانا معهُ . فنظرت حين اخرج نعشهُ الى سلامة القَسّ جارية يزيد بن عبد الملك وقد أضرب الناس عنهُ ينظرون اليها وهي آخذة بعمود السرير وهي تندب ابي وتقول :

قد لعمري بتُّ ليلي   كأخي الداء الوجيعِ
ونجيَّ الهمّ مني   بات ادنى من ضجيعِ
كلما ابصرت ربعاً   خالياً فاضت دموعي
قد خلا من سيدٍ كا   ن لنا غير مضيعِ
لا تلمنا ان خشعنا   او هممنا بخشوعِ

قال كردمٌ : وكان يزيدُ امر ابي ان يعلمها هذا الصوت فعلمها اياه فندبتهُ بهِ يومئذٍ (قال) فلقد رأيت الوليد بن يزيد والغمر اخاه متجردَين في قميصين ورداءين يمشيان بين يدي سريره حتى اخرج من دار الوليد لانهُ تولّى امرهُ واخرجه من داره الى موضع قبره

وقوف صديقين لابن سريج على قبره

حدَّث اسحق بن يعقوب العثماني مولى آل عثمان عن ابيهِ قال : انَّا لبفناء دار عمر بن عثمان بالابطح في صبح خامسةٍ من الثاني يعني ايام الحج فما ان دريت الَّا برجلين على راحلتين قد جنبا اليهما فرسًا وبغلًا . فوقفا عليَّ وسألاني . فانتسبت لهما عثمانيا . فنزلا وقالا : رجلان من اهلك اقدمتنا حاجةٌ نحبُّ ان تقضيها قبل ان نُنشدهَ بامر الحجّ . فقلت : حاجتكما . قالا : نريد انسانًا يوقفنا

على قبر عبيد بن سريج . (قال) فنهضتُ بهما حتى بلغت بهما محلَّة بني قارة من خُزاعة بمكة وهم موالي عبيد بن سريج . فالتمست لهما انسانًا يصحبهما حتى يوقفهما على قبرهِ بدسمٍ . فوجدت ابن ابي دُباكل فانهضتهُ معهما . فاخبرني بعدُ انهُ لما أوقفهما على قبرهِ نزل احدهما فحسر عمامته عن وجهه فاذا هو عبد الله ابن سعيد بن عبد الملك بن مروان فعقر ناقته واندفع يندبه بصوت شجٍ ويقول:

وقفنا على قبرٍ بدسمٍ فهاجنا   وذكّرنا بالعيش اذ هو مصحبُ
فجالت بارجاء الجفون سوافحٌ   من الدمع تستغني الذي يتعقبُ
اذا ابطأت عن ساحة الخد ساقها   دمٌ بعد دمعٍ اثرهُ يتصببُ
فان تسعدا نندب عبيدًا بعولةٍ   وقلَّ لهُ منَّا البكا والتنحبُ

ثم نزل صاحبه فعقر ناقته . وقال لهُ القرشيُّ : خذ في صوت ابي يحيى . فاندفع يغني :

أسعِداني بعبرةٍ اترابي   ودموعٍ كثيرة التسكابِ
انَّ اهل الحصاب قد تركوني   مولعًا مولهًا باهل الحصابِ
اهل بيتٍ تتابعوا للمنايا   ما على الموت بعدهم من عتابِ
فارقوني وقد علمت يقينًا   ما لمن ذاق ميتةً من ايابِ
كم بذاك الحجون من حيّ صدقٍ   وكهولٍ اعفَّةٍ وشبابِ
سكنوا الجزع جزع بيت ابي موسى م   الى النخل من صفيّ السبابِ
فليَ الويل بعدهم وعليهم   صرت فردًا وملَّني اصحابي

(قال ابن ابي دباكل) فوالله ما تمّ صاحبهُ منها ثلاثًا حتى غشي على صاحبه . وأقبل يصلح السرج على بغلته وهو غير معرّج عليهِ . فسألتهُ من هو . فقال : رجلٌ من جُذامٍ . قلت : بمَ تعرف . قال : بعبد الله بن ابي المنتشر .

(قال) ولم يزل القرشي على حاله ساعة ثم افاق . فجعل الجذامي ينضح الماء على وجهه ويقول كالمعاتب له : أنت ابداً مصبوب على نفسك من كلفك ما ترى . ثم قرّب اليه الفرس . فلما علاه استخرج الجذاميّ من خرج على البغـل قدحاً واداوة ماء . فجعل في القدح تراباً من تراب قبر ابن سريج وصبّ عليه من ماء الاداوة . ثم قال : هاك فاشرب هذه السلوة . فشرب . ثم فعل هو مثل ذلك وركب البغل واردفني . فخرجنا لا والله ما يعرّضان بذكر شيء مما كانا فيه ولا ارى في وجوههما شيئاً مما كنت ارى قبل ذلك . فلما اشتمل علينـا ابطحُ مكة قالا : انزل يا خزاعي . فنزلتُ . فأومأ الفتى الى الجذامي بكلام . فمد يده اليّ وفيها شيء . فأخذتهُ فاذا هو عشرون ديناراً . ومضيا . فانصرفت الى قبره ببعيرينِ فاحتملتُ عليهما اداة الراحلتين اللتين عقراهما فبعتهما بثلاثين ديناراً

الحكم فى الغناء

حدث ابراهيم الشافعي قال : جاء سُندة الخيـاط المغنّي الى الأقلح المخزوميّ وكان يوصف بعقل وفضل . فقال لهُ : من اين اقبلت والى اين تمضي . قال : اليك قصدت من مجلس لبعض القرشيّين اقبلت محاكماً اليك . قال : فيماذا . قال : كنت عند هذا الرجل وحضرتْ مجلسه رقطاء الحبطيّـة وصفراء العلقميين فتناولتا بينهما رمل ابن سريج :

ليت شعري كيف ابقى ساعةً … معَ ما ألقى اذا الليـل حضر
من يذق نومـاً ويهدأ ليلـهُ … فلقـد بدّلت بالنوم السهر

فغنتاهُ جميعاً . فاختلفنا في تفضيلهما . ففضّل كل فريق منّا احداهما . فرضينا جميعاً بحكمك . (قال) فوجم ساعة . واهل الحجاز اذا ارادوا ان يحكموا تأملوا ساعةً ثم حكموا فاذا حكم المحكم مضى حكمهُ كائناً ما كان ففُضّل من فضّلهُ وأُسقط من اسقطه اذا تراضى الخصمان به . فكره الاقلح ان يُرضي قوماً ويُسخط الآخرين . فقال لسندة : صفهما انت كيف كانتا اذ غنتا واشرح لي مذهبهما فيه كما سمعت ثم انا احكم بعد ذلك . فقال سندة : اما جارية الحبطيـين فانها كانت تـلوك لحنهُ كما يلوك الفرس العتيق لجامه ثم تلقيه في هامةٍ لدنة ثم تخرجهُ من منخرٍ أغنّ . والله ما ابتدأتهُ فتوسطتهُ وانا أغفلُ ولا فرغتْ منهُ فأفقت الّا وانا اظنّ اني رأيتهُ في نومي . واما صفراء العلقمية فانهـا احسنهما خلقاً وأصحهما صوتاً وألينهما تثنياً والله ما سمعهـا احدٌ قطّ فانتفع بنفسه ولا دينه . فهذا ما عندي فاحكم انت يا أخا بني مخزوم . فقال : قد حكمت بانهما بمنزلة العينين في الرأس بايهما نظرتَ ابصرت . ولو كان في الدنيا من عبيد بن سريج خلفٌ لكانتا . (قال) فانصرفوا جميعاً راضين بحكمه

وقال مالك بن ابي السمح : سـألت ابن سريج عن قول الناس فلانٌ يُصيب وفلان يخطئ وفلان يحسن وفلان يسيء . فقال : المصيبُ من المغنين هو الذي يُشبع الألحان . ويملأ الانفاس . ويُعدل الاوزان . ويُفخّم الالفاظ . ويعرف الصواب . ويقيم الاعراب . ويستوفي النغم القصار . ويُصيب اجناس الايقاع ويختلس مواضع النبرات . ويستوفي ما يشاكلها من الضرب من النقرات . فعرضت ما قال على معبد . فقال : لو جاء في الغناء قرآنٌ ما جاء الّا هكذا

اعرابي في عرس

حدث الفضل بن العباس الهاشمي من ولد قثم بن جعفر بن سليمان عن ابيهِ قال : كان ناهض بن ثومة الكلابيّ يفد على جدّي قثم . فيمدحه ويصله جدي وغيره . وكان بدويًا جافيًا كانهُ من الوحش . وكان طيب الحديث . فحدثنهُ يومًا انهم انتجعوا ناحية الشـــام . فقصد صديقًا لهُ من ولد خالد بن يزيد بن معاوية كان ينزل حلب . فاذا نزل نواحيها اتاه فمدحه وكان برًّا بهِ . (قال) فمررت بقرية يقال لها قرية بكر بن عبد الله الهلاليّ فرأَيت دورًا متباينة وخصاصًا قد ضمّ بعضها الى بعض . واذا بها ناس كثير مقبلون ومدبرون عليهم ثيـــاب تحكي الوان الزهر . فقلت في نفسي : هذا احد العيدين الاضحى او الفطر . ثم ثاب اليَّ ما عزب عن عقلي فقلت : خرجت من اهلي في بادية البصرة في صفر وقد مضى العيدان قبل ذلك فما هذا الذي ارى . فبينـــا انا واقف متعجب اتاني رجل فاخذ بيدي فادخلني دارًا قوراء وادخلني منها بيتًا قد نُجِّد في وجههِ فرش ومهدت وعليها شاب ينال فروع شعره منكبيهِ والنـــاس حوله سماطان . فقلت في نفسي : هذا الامير الذي حكي لنا جلوسه على النـــاس وجلوس الناس بين يديه . فقلت وانا ماثل بين يديه : السلام عليك ايهـــا الامير ورحمة الله وبركاته . فجذب رجل بيدي وقال : اجلس فان هذا ليس بامير . قلت : فما هو . قال : عروس . فقلت : وا ثكل اماه لربَّ عروسٍ رأَيتـــهُ بالبادية اهون على اهله . فلم أَنشب ان دخل رجال يحملون هنات مدورات . امَّا ما خفَّ منها فيحمل حملًا وامَّا ما كبر وثقل فيُدحرج . فوُضع ذلك امامنا وتحلَّق القوم عليهِ حلقًا . ثم أُتينا بخرق بيض فالقيت بين ايدينا . فظننتها ثيابًا

وهممت ان اسأَل القوم منها خرقًا أَقطعها قميصًا . وذلك اني رأَيت نسجًا متلاحمًا لا يبين لهُ سدًى ولا لحمة . فلما بسطهُ القوم بين ايديهم اذ هو يتمزق سريعًا . واذا هو فيما زعموا صنف من الخبز لا أَعرفهُ . ثم أُتينا بطعـــام كثير بين حلو وحامض وحارّ وبارد . فاكثرت منهُ وانا لا اعلم ما في عقبـــه من التخم والبشم . ثم أُتينا بشراب احمر في غُثاء شنّ . فقلت : لا حاجة لي فيـــهِ فاني اخاف ان يقتلني . وكان الى جنبي رجل ناصح لي احسن الله جزاءه فانهُ كان ينصح لي من بين اهل المجلس . فقـــال : يا اعرابي انك قد اكثرت من الطعام وان شربتَ الماءَ همّا بطنك . فلما ذكر البطن تذكرت شيئًا أَوصاني بهِ ابي والاشياخ من اهلى قالوا : لا تزال حيًّا ما زال بطنـــك شديدًا فاذا اختلف فأَوصِ . فشربت من ذلك الشراب لأَتداوى بهِ وجعلت اكثر منـــهُ فلا املُّ شربهُ . فتداخلني من ذلك صلف لا أَعرفهُ من نفسي . وبكاء لا أَعرف سببهُ ولا عهد لي بمثله واقتدار على امر اظنّ معـــهُ اني لو اردت نيلَ السقف لبلغته ولو شاَوت الاسد لقتلته . وجعلت التفت الى الرجل الناصح لي فتحدّثني نفسي بهتم اسنانه وهشم انفه . واهمُّ احيانًا ان اشتمـــه . فبينا نحن كذلك اذ هجم علينا شياطين اربعة . احدهم قد علَّق في عنقـــهِ جعبة فارسية مسنَّجة الطرفين دقيقة الوسط مشبوحة بالخيوط شبحًا منكرًا . ثم بدر الثاني فاستخرج من كمهِ هنة سوداء كخرطوم الفيل . فوضعها في فيـــهِ وصوَّت بهـــا صوتًا لم اسمع وبيت الله اعجب منـــهُ . فاستتمَّ بها امرهم . ثم حرَّك اصابعه على أَحجرة فيهـــا فأَخرج منها اصواتًا ليس كما بدأَ ولكنهُ اتى منها لما حرَّك اصابعه بصوت عجيب متلائم متشاكل بعضهُ لبعض كانهُ علم الله ينطق . ثم بدأَ ثالث كزّ مقيت عليهِ قميص وسخ معهُ مرآتان . فجعل

يصفق بهما بيديه احداهما على الاخرى . فخالطت بصوته ما يفعله الرجلان .
ثم بدأ رابع عليهِ قميص مَصون وسراويل مصون وخفّان اجذمان لا ساق
لواحد منهما . فجعل يقفز كأنهُ يثب على ظهور العقارب . ثم التبط بهِ على
الارض . فقلت : معتوه وربّ الكعبة . ثم ما برح مكانهُ حتى كان اغبط
القوم عندي . ورأيت القوم يحذفونهُ بالدراهم حذفًا منكرًا . ثم ارسل النساء
الينا ان : امتعونا من لهوكم هذا . فبعثوا بهم . وجعلنا نسمع اصواتهم من
بُعد . وكان معنا في البيت شاب لا أبه لهُ فعلت الاصوات بالثناء والدعاء عليه .
فخرج فجاء بخشبة عيناها في صدرها فيها خيوط اربعة . فاستخرج من خلالها
عودًا فوضعه خلف اذنه ثم عرك آذانها وحرّكها بخشبة في يده . فنطقت
ورب الكعبة واذا هي احسن قينة رأيتها قطّ . وغنّى عليها فاطربني حتى استخفّني
من مجلسي . فوثبت فجلستُ بين يديهِ وقلت : بابي أنت وامي ما هذه الدابة
فلستُ اعرفها للاعراب وما اراها خُلقت الّا قريبًا . فقال : هذا البَربط .
فقلت : بابي انت وامي فما هذا الخيط الاسفل . قال : الزير . قلت : فالذي
يليهِ . قال : المثنى . قلت : فالثالث . قال : المثلث . قلت : فالاعلى . قال : البم .
فقلت : آمنت بالله اولًا وبكَ ثانيًا وبالبربط ثالثًا وبالبم رابعًا . (قال)
فضحك ابي والله حتى سقط . وجعل ناهض يعجب من ضحكه . ثم كان
بعد ذلك يستعيدهُ هذا الحديث ويطرف بهِ اخوانه فيعيده ويضحكون منهُ .

تمّ الجزء الاول بحوله تعالى

فهرس